هل نحن في حاجة إلى الإمام علي زين العابدين عليه السلام

(١٨/ذي الحجّة/عام ١٠ للهجرة)

تأليف

الدكتور محمد الصادق بوعلاق

دار الوارث للطباعة والنشر

عنوان الكتاب : هل نحن في حاجة الى الامام علي زين العابدين عليه السلام

تأليف : الدكتور محمد الصادق بوعلاق

الناشر : الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة - مهرجان تراتيل سجادية العاشر

الإشراف والتنسيق والمتابعة : السيد جمال الدين الشهرستاني

المطبعة : دار الوارث للطباعة والنشر

الطباعة : الاولى

سنة النـشر : ٢٠٢٤م -١٤٤٦هـ

عدد الصفحات : ١٥٢

محفوظة جميع الحقوق

دار الوارث للطباعة والنشر
DARALWARITH Printing & Publishing

العراق - كربلاء المقدسة
المكتب الرئيسي، سيف سعد خلف المخازن الغذائية
٠٧٧١٦٦٣٣٢٠٤ - ٠٧٧١٦٦٣٣٢٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

« إنَّ الذِينَ يَكْتمُونَ مَا أنْزَلْنَا مِنَ الَبيّناتِ وَالهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَناهُ للنَّاسِ فِي الكِتابِ أولَئِكَ يَلْعَنُهُم الله وَيَلْعَنُهُم اللاّعِنُونَ. إلا الذِينَ تَابُوا وَأصْلَحُوا وَبيّنُوا فأولَئِكَ أتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنا التَوَّابُ الرَّحِيمُ »

البقرة : ١٥٩ – ١٦٠

« قُلْ إنَّ صَلاتِي وَنسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لله رَبِّ العَالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرْتُ وَأنَا أوَّلُ المُسْلِمِينَ »

الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣

مقدّمة : طرح السؤال

الحمد لله ديّان الدّين، ربّ العالمين، ناصر المستضعفين، وليّ المجاهدين، قاصم الجبّارين، مبير الظالمين، معتمَد المؤمنين، سامع الحامدين. أحمده بصفات الجمال وكلّ جماله جميلٌ، وأشكره بنعوت الجلال وكلّ جلاله جليلٌ، وأثني عليه بمقتضيات الكمال وكلّ كماله كاملٌ؛ حمْدًا لا يحدّه زمان غير أزله، وشكرًا لا يسعه مكان غير قلب وليٍّ استمسك بعروته، وثناءً ما كَلَّ لسان عن لذيذ ذكره. وأصلّي وأسلّم على نور حضرة التمكين، ومرآة ذات العزيز المتين، سيّد الأنبياء والمرسلين، وقائد الغرّ المحجّلين، المبعوث رحمةً للعالمين، وقُدوةً للسّالكين، ونبراسًا للصّادقين، وعلامةً للواصلين. وعلى آل بيته أهل الطّهر والنّقاء، ومعدن الجود والصّفاء، حرّاس الشريعة الغرّاء، أمانٌ لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمانٌ لأهل السّماء، سفن النّجاة ومصابيح الأنوار في الظلمة الظلماء، ومطلع شموس الحقائق في سماء الأسماء. وعلى كلّ من سار على درب حبيبه بصدق وإيباء، وحفظ الأمانة بإخلاص ووفاء، واستمسك بالعروة الوثقى، واجتهد في مودّة القربى. يقول الحق سبحانه وتعالى في محكم تنزيله: « وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » (الذاريات : ٥٦) يتّضح من الآية المباركة أنّ الغرض من خلق الإنسان – والجان – هو العبادة؛ بمعنى أن يكون (الإنسان) عابِدًا لله، لا أن يكون معبودًا أو عابِدًا لغيره تعالى. عبادة الله عز وجل غاية..... غاية متوسّطة وليست غاية نهائيّة وأخيرة. لأنّنا نقرأ في سورة الحجر المباركة قول الله عزّ وجلّ: « وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ » (الحجر : ٩٩) الغاية السّامية والأخيرة التي من الممكن أن يصل إليها الإنسان هي اليقين. نرصد عند تدبّر القرآن الكريم تطلّع خليل الرحمان، إبراهيم عليه السلام ، صوب هذه الغاية السّامية حيث يقول الله سبحانه وتعالى في شأنه:

« وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ » (الأنعام : ٧٥)

كان ذلك في بداية حياته الشريفة عليه السلام ولازمه ذلك التطلّع إلى كِبَر سنّه الشريفة حيث يواصل المشهد القرآني الشريف مدّنا بنفس الصورة فيُخبِر الباري جلّ ثناؤه قائلا:

« وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ »(البقرة : ٢٦٠)

ببلوغ الإنسان مقام اليقين يكون قد بلغ مقام القرب الإلهيّ، وببلوغه مقام القرب

الإلهيّ يكون قد أدرك كمالا ليس بعده كمالٍ الكمال إذن أسمى وأسنى ما يجب أن يبحث عنه الإنسان؛ لكن:

- هل بإمكان الإنسان أن يشخّص ما هو كماله، لوحده وبحسب ما يملكه من وسائل؟
- هل بإمكان الإنسان أن يعرف لوحده مصداق الكمال؟
- هل بإمكان الإنسان أن يشخّص أقرب الطّرق الموصلة إلى الكمال؟

ليس بإمكان الإنسان لوحده إدراك ذلك؛ لذلك يتدخّل اللّطف الربانيّ ليهدي الإنسان للوصول إلى الكمال..... لذلك تتدخّل الرّحمة الإلهيّة لتهدي الإنسان لبلوغ القرب الإلهيّ.

بتدبّر القرآن الكريم نجد أنّ الحق سبحانه وتعالى بمنّه وكرمه وهب الإنسان ثلاث أصناف من الهدايات [1]:

- الهداية الأولى: الهداية الفطريّة التي يقول في شأنها الحق سبحانه وتعالى: « فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » (الروم : ٣٠)

والتي يقول في شأنها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: « ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه » [2].

لا يمكن لهذه الهداية الفطريّة أن تتخلّف أو تختلف، فهي لا تختصّ بالإنسان لوحده دون غيره من الموجودات، بل هي مركوزة في ذات كلّ الموجودات. يقول الحق سبحانه وتعالى:

« قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ » (طه : ٥٠)

من أهمّ خصائص هذه الهداية أنّها قد تشتدّ وقد تضعف لكنّها لا تموت أبدًا. هذه الهداية محدودة، لا تُعيّن المصداق ولا تحدّد الطّريق بل كلّ ما تفعله هو تحريك الإنسان لطلب الكمال وشدّه إليه. من هنا كانت حاجة الإنسان، الباحث عن الكمال، إلى السّماء إلى الشّرائع

١- راجع على سبيل المثال : « الميزان في تفسير القرآن»، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، (قدس الله سره، ج١٤، ص ١٦٥ - ١٦٧، الطبعة الأولى المنقحة سنة ١٩٩٧ ميلادي، منشورات الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان

٢- راجع تخريج الحديث في « فهرس الروايات وتخريجها » في آخر الكتاب »

السّماويّة..... إلى الأنبياء والمرسلين..... إلى المبشّرين والمنذرين..... إلى سِنخ آخر من الهداية.

- الهداية الثانية: الهداية التشريعيّة، وهي من أهمّ وظائف الأنبياء والمرسلين. تحفّز هذه الهداية إلى ما يقرّب إلى الحضرة الإلهيّة وتنهى عمّا يُبعِد عن تلك الحضرة السنيّة. يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: « يا أيّها الناس! والله ما من شيء يقرّبكم من الجنّة ويُباعدكم عن النار إلا وقد أمرتكم به؛ وما من شيء يقرّبكم من النار ويُباعدكم عن الجنّة إلا وقد نهيتكم عنه »[1]. المدار – في الحديث النبوي الشريف – هو القرب والبعد الإلهيّ، فتكليف الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله – وكذلك كل الأنبياء والمرسلين – هو أن ينير الطّريق ويبيّن ما يقرّب إلى الله عز وجل وينهى عمّا يُبعد عنه تعالى. هذه الهداية الثانية هي هداية النبوّة، أو هداية التشريع، أو إراءة الطريق، وهي درجة من الهداية فوق درجة الهداية الفطريّة.
- الهداية الثالثة: ما يُطلق عليها « الهداية التكوينيّة » أو « الإيصال إلى المطلوب ». يضرب لنا المحققون المتمكنون مثالا يوضّح الفرق بين الهداية التشريعيّة والهداية التكوينيّة..... بين « إراءة الطريق » و« الإيصال إلى المطلوب « فيقولون: » إذا ما سألك شخص عن طريق يوصل إلى مكان معيّن، أمامك أسلوبان لإرشاده: الأول تقف عند أول الطريق وتقول له: اذهب من هنا لتصل إلى هناك. قد يصل هذا الإنسان إلى المقصود وقد لا يصل؛ لكن الأسلوب الثاني يتمثل في أن تأخذ بيده وتوصله إلى المكان المطلوب بنفسك. من الواضح أنّ الأسلوب الثاني لا يحتمل الخطأ، ولا الاشتباه، كما لا ينطوي على نقص ولا عيب، لأنّ الهادي يعرف الطريق جيّدًا فلا مجال للخطئ ولا للاشتباه ولا للضلال ولا لعدم الوصول إلى الهدف «. هذا السنخ من الهداية غير قابل للتخلّف، لذلك سُمّيت الهداية بـ « الهداية التكوينيّة » بخلاف « الهداية التشريعيّة » التي يقوم فيها الهادي بدوره لكنّ المَهدي بتلك الهداية قد يهتدي وقد لا يهتدي، قد يصل إلى مطلوبه وقد لا يصل. بالرّجوع إلى القرآن الكريم تدبّرًا وتأمّلا نلاحظ ترابطًا وثيقًا بين الهداية والإمامة، ذلك أنّه كلّما وقع التطرّق إلى معنى الإمامة إلا وتعرّض

١- راجع تخريج الحديث في « فهرس الروايات وتخريجها » في آخر الكتاب »

الخطاب القرآني الشريف إلى الهداية. نقرأ مثلا قول الحق سبحانه وتعالى: « وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِأَيٰتِنَا يُوقِنُونَ » (السجدة:٢٤)

وكذلك قوله عزّ وجلّ: « وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ » (الأنبياء : ٧٣) « الهداية التكوينيّة » من مسؤوليّات الإمام وهي هداية خاصّة وليست مطلقة، بمعنى أنّها لا تُعطى لكل الناس، بل تُعطى فقط لمن أراد الهداية لنفسه. الآخذ باليد والموصل إلى المطلوب هو الإمام..... « الهداية التكوينيّة » جزء من نظام التكوين وليست أمرًا اعتباريًّا. من هذا المنظار، وأخذًا بجميع الاعتبارات السّابقة، يمكننا الجزم بأنّ الإمامة سنّة إلهيّة وجوديّة [1]، وقانون تكوينيّ وجوديّ يمثل حقيقة وجوديّة تكوينيّة تأتي بعد حقيقة النبوّة. معنى ذلك أنّ الإمامة جزء من نظام التكوين والوجود، وقانون ربانيّ لا يتخلّف، وحقيقة وجوديّة لا تخمد ولا تنطفئ أبدًا. لذلك نقرأ في الروايات الشريفة ما معناه: « لولا الحجّة لساخت الأرض »؛ من معاني ذلك أنّ الأرض بما فيها وبما عليها من كائنات، لو غاب عنها الإمام، الذي هو حجّة الله على خلقه، طرفة عينٍ لساخت أي غابت كما يغيب المطر في باطن الأرض. أمّا لماذا ذلك، فلأنّ الحكمة الإلهيّة واللطف الربانيّ جعلا الإمام محور الوجود وعليه المدار في الولاية والتّصريف، إذا غاب – طرفة عينٍ – تعطّل كل شيء وإنهار معمار الوجود عن أبي حمزة الثمالي، رضوان الله تعالى عليه، قال: « قلت لأبي عبد الله (الإمام جعفر الصادق عليه السلام): أتبقى الأرض بغير إمام؟ قال عليه السلام : » لو بقيت الأرض بغير إمامٍ لساخت « [2] من جهة أخرى، خُتِمت جميع الرسالات السّماويّة بالرسالة الإسلاميّة الغرّاء فيما أفاد القرآن الكريم حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: « وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ » (سبأ : ٢٨) ما عالميّ الرّسالة الإسلاميّة وكوْنيّتها إلا قبس من أشعّة أنوار الرّحمة المحمّديّة التي هي عيْن الرّحمة الربانيّة المستوعبة للبشريّة

١ - راجع كذلك كتابنا « علم السنن الإلهية »، الدكتور محمد الصادق بوعلاقالطبعة الأولى ٢٠٠٩، دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان

٢ - « الكافي »، محمد بن يعقوب الكليني، ج ١، ص ١٧٩، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان

جمعاء حيث يقول الباري جلّ ثناؤه: « وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ » (الأنبياء: ١٠٧) لا تستوعب الرّحمة المحمّديّة البشريّة فقط بل كلّ الوجود لأنّ في لفظة « للعالمين » إطلاق في المكان والجنس والسنخ..... إدراك هذا الطرح لا يحتاج إلى عناءٍ ولا إلى زادٍ معرفيٍّ كبيرٍ فرسالة الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ذات بُعدٍ كوْنيّ – عالميّ، ومعجزته عليه وآله الصلاة والسلام ذات مَدركٍ عالميّ، والكتاب الذي جاء به جامعٌ محفوظٌ ومهيمنٌ. من سار على النهج المحمّدي الأصيل، دون تبديل ولا تغيير ولا انقلاب على الأعقاب، فهو مع الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: « مُحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ » (الفتح: ٢٩) وفي طليعة الأبرار السائرين على نهج المختار، نجد أئمّة أهل البيت عليهم السلام، الثقل الأكبر، حُرّاس عروش الشريعة، ونور بدْر الطّريقة، ورُعاة كل كثيفة ورقيقة، الموكول إليهم حِفظ الدّين الإلهيّ والإرث المحمّديّ من الانحراف والتزوير، وإخراج البشريّة من حيْرة الضلالة وهدايتهم إلى أنوار الهداية، لقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله في حديث في حديث الثقلين: « إنّي تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فاظروا كيف تخلفوني فيهما » [١]. هم، سلام الله تعالى عليهم، أمانٌ للأمّة، بل للبشريّة جميعًا، حيث يصدق فيهم قول رسول الله صلى الله عليه وآله: « النجوم أمانٌ لأهل السماء، وأهل بيتي أمانٌ لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض » [٢]. يصدق فيهم حديث الرسول الأكرم، عليه وآله الصلاة والسلام، حيث يقول في شأنهم: « مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق » [٣]. قام كل إمام من الأئمّة الأطهار، عليهم السلام، بوظيفته الربانيّة على أكمل وجه، في ظل قيادة رشيدة تحفظ جوهر الإسلام من الانحراف، تتصدّى للظلم والظالمين، تحارب الفساد والمفسدين، وترأف بالعباد المستضعفين.

١ - راجع تخريج الحديث في « فهرس الروايات وتخريجها » في آخر الكتاب

٢ - راجع تخريج الحديث في « فهرس الروايات وتخريجها » في آخر الكتاب

٣ - راجع تخريج الحديث في « فهرس الروايات وتخريجها » في آخر الكتاب

يتموقع الإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، عليهم جميعًا السلام، بأنّه رابع الأئمّة الأطهار عليهم السلام. قُدّر له أن يعاصر أكثر حكام بني أميّة بطشًا وجورًا واستبدادًا، وأن يعاين أوضاعًا مفصليّة في سيرورة الأمّة الإسلاميّة، بلغ فيها الانحراف ذروته مُشكّلا تهديدًا وجوديًّا للإسلام الأصيل، وممهّدًا الطريق لنظام الجاهليّة بأن يطل بقرنه طامحًا في العودة باسم الدين. قُدّر له أن يعاصر ويعاين كل ذلك فملأ الدنيا تقوى وعبادة وخلوات، واشتهر بالتضرّع والدّعاء والمناجاة، وانفرد بالاهتمام بحقوق الإنسان ووضع في حقها أقدم وأرقى وأكمل الرسالات، كما إهتمّ بشراء العبيد وتربيتهم ثم عتقهم وتحريرهم لأنبل الغايات. نجح سلام الله تعالى عليه في أداء تلك المهامّ الربانيّة العظيمة بما أُوتي من نفس زكيّة، وسريرة نقيّة، وقلب طاهر، وبصيرة نافذة، وعقل راجح، وذهنيّة ربانيّة، وبلاغة فريدة، وقوّة تعبيريّة عجيبة..... فحصّن الثغور، ونشر في المجتمع الإسلاميّ جوًّا روحيًّا طاهرًا، سليمًا، ونقيًّا ساهم في التصدِّي لصدمة الانحراف، وإيقاف زحف الانحطاط، والتمهيد لبناء الجماعة الصّالحة الرّائدة التي سوف تكون من بعده منارة تأخذ على عاتقها حِفظ الدّين بجميع أبعاده والحفاظ على أصالة نهجه. من جهة أخرى، يشهد العالم اليوم إنهيار المنظومة الغربيّة الحديثة حيث استشرى الفساد في مفاصل الحضارة الغربيّة فشمل جميع المجالات: العقيدة والتصوّر..... النفس والمجتمع..... السلوك والمعاملات..... السياسة والاقتصاد..... التربية والاجتماع..... الفنون والأخلاق..... يشكل السقوط الأخلاقي في المنظومة الغربيّة رأس حيّة فساد جميع المجالات الأخرى حيث شمل مظاهر حسّاسة يشكّل الشذوذ الجنسي بأنواعه، وهدم أسس الأسرة، والإقبال على تعاطي المخدّرات بأشكالها، والاغتصاب، والإقبال على الإنتحار أهمّها. يخلّف هذا السقوط المدوّي، بالنسبة للشرفاء من الغربيّين خصوصًا، ومن جميع الحضارات عمومًا، قلقًا داخليًّا، واضطرابًا نفسيًّا، وتزعزعًا، وضربًا لمصداقيّة ما تطرحه المنظومة الغربيّة من مبادئ وقِيَم وقوانين، وخاصّة فيما يتعلّق بمسألة « حقوق الإنسان تجرّنا هذه الوضعيّة المأساويّة التي يتخبّط فيها إنسان هذا العصر إلى طرح سؤالٍ جوهريّ:

هل نحن في حاجة إلى الإمام علي زين العابدين عليه السلام ؟ سؤال قد يبدو عند البعض

سفسطة، حنين للماضي، استدعاء للتراث، واستحضار لحلول لفّها النسيان ودفنها الزمان؛ فكيف نساوي بين طرح طرحه إنسان منذ أكثر من أربعة عشر (١٤) قرنا ومتطلّبات القرن الواحد والعشرين للميلاد المُتّسم بانفجار في شتّى تطيقات العلوم والمعارف..... سؤال قد يبدو للبعض الآخر إنحيازٍ إلى مدرسة بعينها وتعصّب وإنتصار لتوجّه على حساب التوجّهات العديدة الأخرى داخل الحاوية الإسلاميّة..... سؤال قد لا يعني لبعضٍ آخر شيئًا يُذكر لأنّهم لا يعرفون شخصيّة ولا آثار من يدور حوله السؤال.....

سؤال قد يعدّه البعض الآخر من المسلّمات ومن البديهيّات لمغالاتهم في حبّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام وتبنّي كل ما يُقال حولهم دون إقامة دليلٍ ولا برهانٍ... يمثل هذا السؤال – بالنسبة إلينا – مفصليّة مهمّة في الرؤية الإسلاميّة على مستوى البنية الأخلاقيّة والتربويّة والعقديّة والاجتماعيّة، وحلاًّ للعديد من المعضلات التي يتخبّط فيها إنسان هذا العصر. نسعى إلى الإجابة عنه (السؤال) متسلّحين بتجرّدٍ بعيدٍ عن التعصّب المذهبي والإنحياز الفِرَقي، وموضوعيّةٍ لا تعادي ولا تجامل بل تبحث عن الحقيقة ولا شيء غيرها، ومنهجيّةٍعلميّةٍ تتّخذ من الجرأة والدقة سلاحًا. للذين يعتبرون السؤال سفسطة وحنينًا للماضي، وللذين يرونه إنحيازًا وتعصّبًا لمدرسة دون غيرها، وللذين يعتبرونه من المسلّمات ومن البديهيّات..... لجميع أولئك نقول: يحتّم علينا التجرّد والموضوعيّة والمنهجيّة العلميّة أن نقف عند الإنطلاق على نفس المسافة من الجميع، نبحث عن الدليل وندور أينما دار لأنّنا أبناء الدليل نرفض بدليلٍ ونقبل بدليلٍ.تتطلّب الإجابة الموضوعيّة، العلميّة، والمتجرّدة، عن السؤال: تسليط شيءٍ من الضوء على قبسٍ من حياة الإمام علي زين العابدين عليه السلام وِفق نظرة جزئيّة مستقلة عن حياة بقيّة الأئمّة الأطهار عليهم السلام. البحث عن موقعيّة الإمام علي زين العابدين عليه السلام بين الأئمّة الأطهار عليهم السلام. وِفق نظرة كليّة تتناول حياة جميع بقيّة الأئمّة الأطهار كوحدة مترابطة. دراسة الاستراتيجيا التي اتخذها الإمام علي زين العابدين عليه السلام للتغيير والإصلاح، بحثًا عن مقوّمات الابتكار فيها، وعن وجوه الاختلاف بينها وبين ما طرحه الأئمّة الباقين عليهم السلام. قراءة تحليليّة « للصّحيفة السجّاديّة »، التي تُعتبَر أهمّ آثار الإمام علي زين العابدين عليه السلام ؛ وما قدّمته – وما يمكن أن تقدّمه – مدرسة الدّعاء السجّاديّة من علاج لأوضاع الإنسان. قراءة

تحليليّة « لرسالة الحقوق »، التي تُعتبَر كذلك من أهمّ ما أفاض به لنا الإمام السجّاد عليه السلام ، والبحث عن الخصائص التي تنفرد بها.دراسة الخلفيّة الفلسفيّة للفكر الحقوقي الغربي ومحتويات المواثيق العالميّة لحقوق الإنسان. إجراء دراسة تحليليّة لرصد الفروقات بين ما تنادي به « رسالة الحقوق » للإمام علي زين العابدين عليه السلام من مبادئ وقِيَم وما بين تدعو إليه المواثيق العالميّة لحقوق الإنسان من قوانين. رصد أهمّ المشاكل العويصة التي تسرّع في إنهيار المنظومة الغربيّة الحديثة النظر في هل أنّ ما قدّمه الإمام علي زين العابدين عليه السلام يصلح أن يكون علاجًا لإنهيار أوضاع إنسان هذا العصر أم لا؟ تمثل هذه النقاط الفصول الرئيسيّة لهذا البحث، والسبيل إلى استيعاب خصوصيّة محاور هذا الموضوع. ربّنا تقبّل منّا هذا القليل، اجعله خالصًا لوجهك، وهديّة متواضعة منّي إلى الإمام علي زين العابدين عليه السلام ، وسبيلا لنيل شفاعة إمام عظيم من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، إنّك عليم بذات الصّدور..... اللهمّ نمِّه بمنّك وادّخره لي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتاك بقلب سليم « وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ » (الأحزاب : ٤) « وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ « (هود : ٨٨)

الدكتور محمد الصادق بوعلاق ٤ شوال ١٤٤٥ هجري – ١٣ أفريل ٢٠٢٤ ميلادي

تونس

قبس من حياة الإمام علي زين العابدين عليه السلام

التعريف والنشأة

تذكر بطون أمّهات كتب التاريخ [1] أنّ هشام بن عبد الملك بن مروان (٧١ – ١٢٥ هجري الموافق لسنة ٦٩١ – ٧٤٣ ميلادي) – قبل أن يلي الخلافة – لمّا حجّ مع جماعته

١- راجع مثلا: « تاريخ الطبري – تاريخ الأمم والملوك »، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، راجعه وقدم له نواف الجراح، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان – كذلك » البداية والنهاية »، عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي، راجع نصه وضبطه وقدم له الأستاذ الدكتور سهيل زكار، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان – وأيضا « المفيد في ذكرى السبط الشهيد – الحسين بن علي عليه السلام »، السيد عبد الحسين ابراهيم العاملي، الطبعة الثالثة ١٩٨٤، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان؛ وغيرها كثير من الكتب الأخرى

من أهل الشام اجتهد أن يستلم الحجر الأسود فلم يمكنه ذلك من كثرة الزحام وعدم افساح الناس له فنُصِبَ له منبر جلس عليه ينتظر. أثناء ذلك أقبل الإمام علي زين العابدين بن الحسين عليهما السلام وأخذ يطوف، فكان إذا بلغ موضعالحجر انفرجت له الجماهير وتنحّى الناس وفسحوا له المجال حتى يستلم الخجر لعظيم معرفتهم بجلال قدره ونقاء نسبه وحبّهم له على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم. اغتاظ هشام بن عبد الملك لذلك الموقف وكظم غيظه، لكنّ أهل الشام عاينوا بأمّ أعينهم كيف أنّ هيبة الحُكْم وجلال السلطان لم يستطيعا أن يشقّا لهشام طريقًا لاستلام الحجر بين الجموع المحبينما استطاعت هيبة هذا الرجل وجلال قدره أن تُلهِب مشاعرهم وتأخذ عقولهم فتوسّع له الطريق نحو الحجر. سأل أهل الشام من هذا الرجل الجليل الذي هابته الناس فأنكر هشام معرفته (مع أنّه كان يعرفه حق معرفة) مخافة أن يرغب به أهل الشام. كان ذلك الموقف بحضور الفرزدق (٢٠ – ١١٠ هجري الموافق لسنة ٦٤١ – ٧٢٨ ميلادي) شاعر أهل البيت عليهم السلام الذي لم يفوّت الفرصة ليعرّفهم بالإمام عليه السلام فأنشد مادحًا [١]:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحِلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلّهم ... هذا التقيّ النقيّ الطاهرالعَلَم
هذا عليٌّ رسول الله والده ... امست بنور هداه تهتدي الأمم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
يغضي حياء ويغَضى من مهابته ... فما يكلم إلا حين يبتسم
ينشَق نور الهدى عن صحن غرته ... كالشمس ينجاب عن اشرقها الظلم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجدّه أنبياء الله قد ختم
من معشر حبّهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم
ما قال لا قطّ إلا في تشهّده ... لولا التشهّد لكانت لائه نعم
تستدفع السوء والبلوى بحبّهم ... ويزداد به الإحسان والنّعم

١- راجع مثلا كتاب: « المفيد في ذكرى السبط الشهيد – الحسين بن علي عليه السلام »، السيد عبد الحسين ابراهيم العاملي، ص ١٦٩ – ١٧٠، الطبعة الثالثة ١٩٨٤، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان

مـقـدّم بـعـد ذكـر الله ذكـرهـم ... في كل يـوم ومختـوم بـه الكلـم
إن عُدّ أهـل التـقـى كـان أئمّتـهم ... أو قيـل مـن خـير النـاس قيـل هم
ولـيـس قـولك مـن هـذا بضائره ... فالعرب تعـرف من أنكرت والعجم
لا يـستـطيـع جـواد بعـد غايتـهم ... ولا يـدانـيـهـم قـوم وإن كـرم

تُجلّي هذه الحادثة التاريخيّة موقفين مختلفين تجاه الإمام علي بن الحسين عليه السلام:

حبّ العامّ النّاس له واحترامهم لرفعة مقامه وجليل قدره على اختلاف اتجاهاتهموتنوّع مذاهبهم. بُغض السلطة الحاكمة – ومن سار في ركابها – له ونصبها له العداء. بلغ ذلك البغض والمن الدناءة والوضاعة وضعه، عليه وآله السلام، تحت إقامة جبريّة ورقابة شديدة – طوال حياته الشريفة – كمّت فمه وشلّت حركته واضطهدت أنصاره وأراقت دماءهم. لكن، من هو الإمام علي بن الحسين، عليهما السلام، المُلقّب بـ« زين العابدين »؟

هو الإمام علي زين العابدين رابع أئمّة أهل البيت عليهم السلام الذين يقول الحق سبحانه وتعالى في شأنهم: « إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» (الأحزاب: ٣٣). جدّه أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله بنصّ الحديث النبويّ الشريف: » أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب « [1]؛ ونفس رسول الله صلى الله عليه وآله بنصّ آية المباهلة التي يقول فيها الله عز وجل: « فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ » (آل عمران :٦١)؛ جدّته الصدّيقة الكبرى فاطمة الزهراء، عليها السلام، بنت الرسول الأمجد، عليه وآله الصلاة والسلام، وسيّدة نساء العالمين كما كان أبوها يصفها [2]؛ أبوه الإمام الحسين، عليه السلام، أحد سيديْ شباب أهل الجنة، سبط

١- راجع تخريج الحديث في « فهرس الروايات وتخريجها » في آخر الكتاب

٢- لحديث لرسول الله، صلى الله عليه وآله، حيث خاطب فاطمة عليها السلام قائلا: « ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين وسيدة نساء المؤمنين وسيدة نساء هذه الأمة » راجع تخريج الحديث في « فهرس الروايات

الرسول وريحانته الذي قال فيه جدّه صلى الله عليه وآله: « حسين مني وأنا من حسين أحبّ الله من أحبّ حسينا » [1]؛ وعمّه الإمام الحسن المجتبى، السبط الأكبر و أحد سيديْ شباب أهل الجنة الذي قال فيه جدّه صلى الله عليه وآله: « اللهمّ إنّ هذا ابني وأنا أحبّه فأحبّه وأحبّ من يحبّه » [2].

وُلِد الإمام علي بن الحسين، عليها السلام، سنة ثمان وثلاثين (٣٨) للهجرة (الموافق لسنة ٦٥٩ ميلادي)، وقيل قبل ذلك بسنة أو سنتينوعاش تقريبًا سبعة وخمسين (٥٧) عامًا قضى منها:

- سنتين (٢) في كنف جدّه الإمام علي عليه السلام.
- عشر (١٠) سنوات في مدرسة عمّه الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.
- عشر (١٠) سنوات في مدرسة أبيه الإمام الحسين شهيد كربلاء عليه السلام.
- خمس وثلاثين (٣٥) سنة تقريبا مدّة إمامته الشريفة.

يُلقَّب الإمام علي بن الحسين، عليهما السلام، بعدّة ألقاب منها: السجّاد، ذو الثفنات، سيّد الساجدين، الزكيّ، سيّد العابدين وزين العابدين. لقبه الأخير منحه إيّاه جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله حيث نقرأ في الحديث النبويّ الشريف: « إذا كان يوم القيامة يُنادي منادٍ أين زين العابدين؟ فكأنّي أنظر إلى ولدي علي بن ابن علي بن أبي طالب يخطّ بين الصّفوف » [3]. رُوِي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام واصفًا عبادة أبيه الإمام علي بن الحسين، عليها السلام أنّه قال: « إنّ أبي علي بن الحسين ما ذكر لله عز وجل نعمة عليه إلا سجد، ولا قرأ آية من كتاب الله عز وجل فيها سجود إلا سجد، ولا دفع الله عز وجل عنه سوءًا يخشاه أو كيد كائد إلا سجد، ولا فرغ من صلاة مفروضة إلا سجد، ولا وفّق لإصلاح بين اثنين إلا سجد، وكان أثر السجود في جميع مواضع سجوده، فسمّي السجاد

وتخريجها » في آخر الكتاب

١- راجع تخريج الحديث في « فهرس الروايات وتخريجها » في آخر الكتاب

٢- راجع تخريج الحديث في « فهرس الروايات وتخريجها » في آخر الكتاب

٣- راجع تخريج الحديث في « فهرس الروايات وتخريجها » في آخر الكتاب

لذلك »[1].يقول الإمام محمد الباقر عليه السلام كذلك: « كان لأبي عليه السلام في موضع سجوده آثار ناتئة وكان يقطعها في السنة مرتين، في كل مرة خمس ثفنات، فسمي ذا الثفنات لذلك »[2] أمّا عن « الثفنات » فهي جمع ومفردها « ثفنة » « وهو ما يقع على الأرض من الأعضاء إذا استناخ وغلظ »[3]؛ لو أردنا أن نتعرّف على صفاته الشريفة فلا نجد أفضل منه، سلام الله عليه، مُعرِّفا لنفسه حيث تذكر بطون أمّهات كتب التاريخ[4] أنّه لّما أُحضِر إلى قصر يزيد بن معاوية في الشام مقيَّدا بالأغلال وأذِن له في الخطاب قام وصعد منبر بني أميّة وخطب خطبة بليغة قال فيها من جملة ما قال: « فُضِّلنا بسبع وأعطينا ستًّا، فُضِّلنا بأنّ النبيّ المختار منّا، ومنّا سبطا هذه الأمّة، ومنّا الصدّيق، ومنّا أسد الله وأسد رسوله، ومنّا سيدة نساء العالمين، ومنّا الطيّار؛ وأعطينا العلم والحلم والحكمة والفصاحة والشجاعة والمحبّة في قلوب المؤمنين »[5].

ينحدر، سلام الله تعالى عليه، من بيت النبوّة، وموضع الرسالة، ومهبط الوحي والتنزيل، ومختلف الملائكة، ومعدن العلم، ومنتهى الصفات الحسنة؛ فهو عالم ابن

١- « علل الشرائع والأحكام والأسباب »، المحدث الكبير الشيخ أبو جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي، رحمة الله تعالى عليه، الملقب بالصدوق، ص٨٨، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث - الحديث موجود كذلك في كتاب « بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام »، الشيخ محمد باقر المجلسي رحمه الله، طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي رحمه الله، ج ٤٦، ص ٦، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان

٢- المصدر الأسبق

٣- « معاني الأخبار المحدث الكبير الشيخ أبو جعفر محمد علي بن الحسين بن بابويه القمي، رحمة الله تعالى عليه، الملقب بالصدوق ، ص ٦٥، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان

٤- راجع مثلا: « تاريخ الطبري – تاريخ الأمم والملوك »، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، راجعه وقدم له نواف الجراح، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان – كذلك « البداية والنهاية »، عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي، راجع نصه وضبطه وقدم له الأستاذ الدكتور سهيل زكار، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان – وأيضا « المفيد في ذكرى السبط الشهيد – الحسين بن علي عليه السلام »، السيد عبد الحسين ابراهيم العاملي، الطبعة الثالثة ١٩٨٤، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان؛ وغيرها كثير من الكتب الأخرى

٥- راجع مثلا كتاب: « المفيد في ذكرى السبط الشهيد – الحسين بن علي عليه السلام »، السيد عبد الحسين ابراهيم العاملي، ص ١٥٥، الطبعة الثالثة ١٩٨٤، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان

عالم ابن عالم ابن عالم.... حليم ابن حليم ابن حليم ابن حليم..... حكيم ابن حكيم ابن حكيم ابن حكيم..... وهكذا تنطبق على صفاته جميع الشمائل النبويّة والصفات المحمديّة والمآثر الأحمديّة لا تفوته فصاحة، ولا تنقصه بلاغة، ولا تخونه شجاعة، ولا زهد، ولا يبتعد عنه سخاء. بالرغم من هذه الصفات السنيّة والمكانة العليّة إلا أنّ الإمام علي زين العابدين، عليه السلام ، فتح عينيه على واقع بلغ فيه انحراف الأمّة عن الصراط المحمديّ السويّ ذروته، واتّسم بالتنكر لأهل البيت، عليهم السلام، خاصّة وللصالحين من الصحابة والتابعين عامّة. عاين – على حداثة سنّه الشريف – مكابدة جدّه أمير المؤمنين، عليه السلام ، للناكثين والقاسطين والمارقين واستشهاده في محراب الولاية المحمديّة فائزًا زاهدًا ومجاهدًا، ما بدّل ولا غيّر ولا انقلب على الأعقاب. عايش – في طفولته – تقاعس أهل العراق عن نصرة عمّ الإمام الحسن المجتبى، عليه السلام ، حتى أجبِر على عقد صلح استراتيجيّ مع معاوية بن أبي سفيان (١٥ قبل الهجرة – ٦٠ هجري الموافق لسنة ٦٠٨ – ٦٨٠ ميلادي) حقن به الدماء وقوّم به شيئا من الانحراف، كما عاين كذلك استشهاد عمّه مسمومًا لافظا كبده في طست، وشاهد رفض القوم بشدّة على دفنه جوار جدّه رسول الله، صلى الله عليه وآله، والأحداث المخزية التي حفّت بدفنه. عايش – وهو في ريعان شبابه – مأساة أبيه الإمام الحسين، عليه السلام ، يوم الطف في كربلاء وشاهد بأمّ عينه هوان الدنيا على الله المتمثل في قتل حجّة الله (أبيه عليه السلام) وإخوته وأبناء عمومته وأنصار أبيه قتلا شنيعًا حُزّت خلاله الرؤوس، ووقع الطواف بها على أسنّة الرماح شماتة وتنكيلا من مصر إلى مصر، ورضّ الخيول الأعوجيّة للأجساد الطاهرة التي بقيت مطروحة على رمضاء كربلاء ثلاثة أيّام بلياليها يحرقها لهيب شمس الصحراء وتسفي عليها رمالها دُون تكفين ولا تغسيل ولا صلاة عليها؛ ولولا الألطاف الإلهيّة المتمثلة في مرضه الشديد، سلام الله تعالى عليه، يومها لكان من ضمن الشهداء. عايش أيضًا حرق الخيام، وسلب ممتلكات حرائر بيت النبوّة وسبيهنّ وأطفالهنّ، وسوقهنّ كالعبيد وتحت السياط من كربلاء إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى الشام، ودخولهنّ مجالس أمراء الفسق والجور لينلن الشماتة والتنكيل، تحمّل، عليه السلام ، أيضا ثقل الحديد وغلظة جلاوزة النظام وسوء أدبهم وألم القيود ومجابهةيزيد

بن معاوية (٢٦ – ٦٤ هجري الموافق لسنة ٦٤٧ – ٦٨٣ ميلادي)..... كل ذلك وأمّة جدّه خاذلة لهم ومتخذة موقف موقف المتفرّج على القتل والسبي والسجن والتنكيل ثم عادت بعد ذلك باكية عليهم نادبة نادمة وتائبة. عاصر، عليه السلام ، كذلك أحداث الحرّة (٦٣ هجري الموافق لسنة ٦٨٣ ميلادي) والهجمة الهمجيّة الشرسة على حرم رسول الله صلى الله عليه وآله ومدينته المنوّرة وسفك دماء أبناء الصحابة وهتك الأعراض وتدنيس المقدسات. عاين أيضًا رمي الكعبة الشريفة بالمنجنيق – في مناسبتين – وحرق أستارها والنيل من شرفها وقدسيّتها. لو أجرينا جواد البيان في تبيان جزئيّات السيرة العطرة للإمام علي زين العابدين، عليه السلام ، لأوقرنا في ذلك مجلدات ومجلدات، ولصنّفنا مصنّفات ومصنّفات. ربّما يدخلنا ذلك دوّامة التكرار حيث تحتوي المدوّنة الإسلاميّة على العديد من المصنّفات القيّمة التي تناولت االشخصيّة للإمام عليه السلام بجزئيّاتها وتفاصيلها. نكتفي في هذا الموضع من البحث بتسليط بعض الأضواء على علاقة الإمام، عليه السلام ، مع حكام الجور الذين عاصرهم مدّة إمامته الشريفة كمقدمة منهجيّة وموضوعيّة للإجابة عن السؤال المطروح آنفا.

علاقة الإمام زين العابدين عليه السلام مع حكام الجور

الحكّام الذين عاصرهم الإمام عليه السلام

كان عصر الإمام علي زين العابدين، عليه السلام ، عصر الطواغيت وسلطانها حيث قدم إلى هذه الدنيا عصر أول ملوك بني أميّة، معاوية بن أبي سفيان، الذي تربّع على عرش الخلافة مخالفًا لكتاب الله، محاربًا لعباد الله الصالحين، كائدًا للإسلام، متجنّيًا على المسلمين. حكم معاوية رعيّته بالسيف المسلول والمال المبذول. كان سيفًا مسلّطًا على كل من عارض مصالحه وشكل خطرا على استقرار سلطته، وماله (بل مال المسلمين) مدفوعًا متدفقًا في أيدي أنصاره أو كل من أراد كسب ودّه أو إلجام فمه. كانت سياسة معاوية أن لا يستخلف إلا ولاة الجور وأن لا يتخذ أعضادًا سوى أصحاب البطش. أعطى بذلك فرصة لطواغيت قريش وأبناء الطلقاء وأئمة الجور أن يتسلطوا على رقاب

المسلمين بغيًا وعدوانًا. دوّن لنا التاريخ أعوانه الذين كانوا قمّة في الظلم والإسراف في سفك الدماء وذروة في هتك الأعراض؛ نذكر منهم على سبيل المثال: عمرو بن العاص، زياد بن أبيه، المغيرة بن شعبة وسواهم من رموز البطش والاستبداد كثير. مضى معاوية بن أبي سفيان بأوزاره بعد أن « أسّس نظامًا أوتوقراطيًّا قلد فيه استبداديّة الامبراطوريّة الرومانيّة بثرائها وترفها ومجونها وظلمها » [1]. سعى إلى ترسيخ هذا النظام الخارج عن المنهج الإسلامي بتنصيب ابنه يزيد ملكا من بعده. كان ذلك التنصيب سابقة خطيرة لم تُعرَف من قبل في الإسلام. لم يكن يزيد بن معاوية موهّلا لولاية أمر المسلمين، وإنّما كان « فتى لهوٍ ومجونٍ وعبث، وربيب جوارٍ وعاهراتٍ ومغنياتٍ » [2]، يصدق عليه توصيف الإمام الحسين عليه السلام حين قال للوليد بن عتبة: « أيّها الأمير إنّا أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا ختم الله، ويزيد رجل فاسق، شارب الخمر، قاتل النفس المحرّمة، معلن بالفسق ليس له هذه المنزلة، ومثلي لا يبايع مثله... » [3]. بالغ يزيد بن معاوية في العبث بمقدرات الأمّة وفي استئصال أهل البيت عليهم السلام خصوصًا والصالحين من أبناء الصحابة والتابعين عمومًا. لم تطل المدّة بيزيد، فقد ارتدت عليه أعماله الشنيعة، وانتكثت عليه أفعاله القبيحة، وقصف الله عمره وانقضت أيّامه إلى مزبلة التاريخ. سيرًا على بدعة معاوية الجد بُويع لمعاوية الحفيد، أقصد بذلك معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (٤١ – ٦٤ هجري الموافق لسنة ٦٦٢ – ٦٨٤ ميلادي). يدفعنا الحق والانصاف قول أنّه كان فتى ذا عقل ورويّة وزهد ودين. وقف مع نفسه وقفة

١- راجع كتابنا « الحضارة الإسلامية – من سقوط صرحها إلى أفول نجمها – »، الدكتور محمد الصادق بوعلاق، ص ١٥، الطبعة الأولى ٢٠٠٥، دار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان

٢- راجع « الإمام زين العابدين عليه السلام القائد... الداعية... الإنسان... »، الدكتور محمد حسين علي الصغير، الطبعة الثالثة ٢٠٠٢ ميلادي، مؤسسة المعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان

٣- راجع مثلا:» مقتل الحسين عليه السلام – المسمى الملهوف على قتلى الطفوف «، علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس، ص ٩٨، الطبعة الأولى ١٤١٤ هجري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان؛ وكذلك « مقتل الحسين عليه السلام » للسيد عبد الرزاق المقرم، ص ١٣٤، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هجري، انتشارات المكتبة الحيدرية، قم – الجمهورية الإسلامية الإيرانية؛ وأيضا «مقتل الحسين عليه السلام – المسمى بمقتل الخوارزمي «، أبو المؤيد الموفق بن أحمد – أخطب خوارزم، تحقيق الشيخ السماوي، دار أنوار الهدى

حق وإنصاف، وأراد أن يرجع الحق إلى أهله فخلع نفسه بنفسه، وأنقذ نفسه من الأوحال والأوزار التي ورّثها له جدّه وأباه، غير عابئ بنكير الأمويين، ولا مستمع لآراء المحيطين به. ما أن نصّبوه خليفة حتى جمع القادة والعسكر والمسؤولين والمقربين وخطب فيهم خطبة بليغة دوّنتها صفحات التاريخ، قال في آخرها: « .... وصرت أنا ثالث القوم، والساخط عليّ أكثر من الراضي، وما كنت لأتحمّل آثامكم، ولا يراني الله جلّت قوّته متقلّدا أوزاركم، وألقاه بتبعاتكم، فشأنكم وأمركم خذوه، ومن رضيتم به عنكم فولّوه، فلقد خلعت بيعتي من أعناقكم والسلام »[1]. بهذه الوقفة الإيمانيّة الصادقة أنهى معاوية بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان حكم آل سفيان ليتسلم الحكم بنو العاص؛ كان أولهم طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وابن طريده، أقصد بذلك: مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أميّة (٢ – ٦٥ هجري الموافق لسنة ٦٢٣ – ٦٨٥ ميلادي)، المسؤول الفعلي عن الفتنة الكبرى أيّام الخليفة عثمان بن عفان، وأول شاهري سيف البغض والعداء في الجمل وصفين. ما إن أمسك مقاليد الحكم حتى اتبع نهج السابقين من بني عمومته، وواصل سياسة العنف والقسوة، والكيد للإسلام الأصيل والعمل على الانحراف به بعيدًا عن نهجه القويم.

كانت أيّام حكم مروان بن الحكم قصيرة معدودة، فقد هلك بعد أشهر من خلافته على يد زوجته، أمّ هاشم بنت هاشم العبشيّة القرشيّة، وكانت أرملة ليزيد بن معاوية. لواقعة قتله قصّة وعِبرة نضرب الصفح عن ذكرها حتى لا نخرج عن محدوديّة هذه الدراسة.

تسلّم زمام أمور المسلمين بعده عبد الملك بن مروان (٢٦ – ٨٦ هجري الموافق لسنة ٦٤٦ – ٧٠٥ ميلادي). تذكر مصادر التاريخ[2] أنّه عندما وصله خبر توليه أمر المسلمين

١- راجع « الإمام زين العابدين عليه السلام القائد... الداعية... الإنسان... »، الدكتور محمد حسين علي الصغير، ص ٨٥ – ٨٦، الطبعة الثالثة ٢٠٠٢ ميلادي، مؤسسة المعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان

٢- راجع مثلا: « السيرة النبوية » لأبي محمد عبد الملك بن هشام، قراءة وضبط وشرح دكتور نبيل طريفي، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ ميلادي، دار صادر، - لبنان، وكذلك « تاريخ الطبري – تاريخ الأمم والملوك »، أبو جعفر

كان يقرأ القرآن الكريم فرماه جانبًا وقال: « هذا آخر عهدنا بك. فراق بيني وبينك » ثم خرج يخطب بالمسلمين فقال من جملة ما قال: « فإنّي لست بالخليفة المستضعف يقصد عثمان بن عفان) ولا بالخليفة المداهن (يقصد معاوية بن أبي سفيان) ولا بالخليفة المأفون (يعني يزيد بن معاوية) ألا وإنّي لا أداوي هذه الأمّة إلا بالسيف حتى تستقيم لي قناتكم. والله لا يأمرني أحد بتقوى الله بعد مقامي هذا إلا ضربت عنقه » [١]. عانت الأمّة كثيرا من عبد الملك بن مروان، ومن ولاته، ما فاق حدّ التصوّر ظلمًا وجورًا وسفكًا للدماء وهتكًا للأعراض. يكفي أن نعرف أنّ عضده ووالیه على العراق كان الحجّاج بن يوسف الثقفي الذي قال عنه الخليفة الأموي بن عبد العزيز: « لو جاءت كل أمّة بخبيثها وفاسقها وجئنا بالحجاج لغلبناهم » [٢]، وأنّ واليه على المدينة المنوّرة كان الطاغية هشام بن إسماعيل المخزومي، ولم يكن بقيّة ولاته إلا أصحاب بطش وظلم. انقضت أيّام عبد الملك بن مروان في الحكم ونصّب من بعده ابنه الوليد بن عبد الملك بن مروان (٤٦ – ٩٦ هجري الموافق لسنة ٦٦٨ – ٧١٥ ميلادي) وترك له وصيّة شهيرة بالحجّاج بن يوسف الثقفي حيث قال: « وانظر الحجّاج فأكرمه، فإنه هو الذي وطأ لكم المنابر، وهو سيفك يا وليد، ويدك على من ناواك، فلا تسمعنّ فيه قول أحد، وأنت أحوج منه إليك، وادعُ الناس إذا متُّ للبيعة فمن قال رأسه هكذا فقل بسيفك هكذا » [٣]. سار الوليد بن عبد الملك على نهج أبيه وجدّه وأبناء عمومته في الظلم والجور وتكريس نهج الانحراف بالإسلام عن نهجه الأصيل.

محمد بن جرير الطبري، راجعه وقدم له نواف الجراح، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان – أيضا « البداية والنهاية »، عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي، راجع نصه وضبطه وقدم له الأستاذ الدكتور سهيل زكار، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان

١- « تاريخ الخلفاء »، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، ص ٢١٦، من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر

٢- « الطبقات الكبرى »، محمد بن سعد بن منتع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عبد القادر عطاء، الطبعة الأولى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان

٣- « تاريخ الخلفاء »، جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، ص ٢٢، من مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر

طال زمن خلافة الوليد فملأ الأرض قسوة وظلما وعنفا واعتسافا؛ وحسبنا تقييم عمر بن عبد العزيز (٦١ – ١٠١ هجري الموافق لسنة ٦٨١ – ٧٢٠ ميلادي) له حيث قال: « إنّه ممّن امتلأت الأرض به جورا » [١] ورأي المؤرّخ المسعودي فيه القائل: « إنّه كان جبّارًا عنيدًا ظلومًا غشومًا » [٢]. كان الوليد بن عبد الملك من أحقد الناس على الإمام علي زين العابدين، عليه السلام ، لاعتقاده أنّه لا يأمن له الملك، ولا يتمّ له السلطان، مع وجود الإمام السجّاد، سلام الله تعالى عليه، لما كان يتمتّع به من حبّ الناس له، وإجلالهم لقدره، وإكبارهم لعلمه، وإعجابهم بعبادته وسيرته. تذكر كتب التاريخ أنّ الوليد بن عبد الملك بعث سمًّا قاتلا إلى واليه على المدينة المنوّرة وأمره أن يدسّه للإمام علي زين العابدين، عليه السلام . نفذ الوالي ذلك الأمر ففاضت روح الإمام إلى خالقها في الخامس والعشرين (٢٥) من شهر محرّم لسنة خمس وتسعون (٩٥) للهجرة (الموافق لسنة ٧١٣ ميلادي). مضى، سلام الله تعالى عليه، شهيدًا مسمومًا بعد أن ملأ الدنيا علمًا وعبادة وجهادًا وتقوى، وظلت مبادئ الإمام – وستبقى – حيّة، نابضة وفعّالة طيلة هذه القرون – وستبقى إلى ما بعدها – بما أوقره، عليه السلام في « الصحيفة السجاديّة » من دعاء أحيى به الأمّة من موتها، ناشرًا من خلاله جوّا روحانيّا في جسدها ساهم – ويساهم – في تثبيت المسلم عندما تعصف به المغريات، وفي إرجاعه إلى بارئه حين تهجم عليه الشهوات وتحيط به النزوات. دبّجه في « رسالة الحقوق » من مبادئ وحقوق تنادي بضرورة إحترام حقوق الإنسان، صاغها، سلام الله تعالى عليه، بروح أخلاقيّة عالية مخاطبًا بها الفطرة الإنسانيّة ومتجاوزا صرامة القانون ودقة العدل إلى روح العفو والتسامح والإيثار. أحياه من أهداف الملحمة الحسينيّة التي « هي نهضة عظيمة رسمت لكل أجيال العالم – عبر التاريخ – طريقا نيّرا يساعدها على دحر الظلم والجور والاستبداد، وإرساء قِيَم الحق والعدل والقسط » [٣]. لولا جهود الإمام زين العابدين مع عمّته العقيلة زينب، عليهما السلام، لقُبِرت تلك

١- المصدر السابق ص ٢٢٣

٢- « مروج الذهب ومعادن الجوهر »، أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، شرحه وقدمه الدكتور مفيد محمد قميحة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان

٣- راجع كتابنا « الملحمة الحسينية في الذاكرة الجماعية – »، الدكتور محمد الصادق بوعلاق، ص ١٩٣،

الأهداف في صحراء كربلاء وللفّها الجهل بها والنسيان.

يعرض الجدول التالي ملخصّا لحكام الجور- من بني أميّة - الذين عاصرهم الإمام علي زين العابدين عليه السلام.

الحاكم	فترة حياته	فترة حكمه	فترة معاصرة الإمام لحكمه
معاوية بن أبي سفيان	١٥ ق هـ - ٦٠ هجري ٦٠٨ – ٦٨٠ ميلادي	٤١ – ٦٠ هجري ٦٦١ – ٦٨٠ ميلادي	كامل الفترة
يزيد بن معاوية	٢٦ – ٦٤ هجري ٦٤٧ – ٦٨٣ ميلادي	٦٠ – ٦٤ هجري ٦٨٠ – ٦٨٣ ميلادي	كامل الفترة
معاوية بن يزيد	٤١ – ٦٤ هجري ٦٦٢ – ٦٨٤ ميلادي	٦٤ – ٦٤ هجري ٦٨٤ – ٦٨٤ ميلادي (٤٠ يوما)	كامل الفترة
مروان بن الحكم	٢ – ٦٥ هجري ٦٢٣ – ٦٨٥ ميلادي	٦٤ – ٦٥ هجري ٦٨٤ – ٦٨٥ ميلادي (أقل من سنة)	كامل الفترة
عبد الملك بن مروان	٢٦ – ٨٦ هجري ٦٤٦ – ٧٠٥ ميلادي	٦٥ – ٨٦ هجري ٦٨٥ – ٧٠٥ ميلادي	كامل الفترة
الوليد بن عبد الملك	٤٦ – ٩٦ هجري ٦٦٨ – ٧١٥ ميلادي	٨٦ – ٩٦ هجري ٧٠٥ – ٧١٥ ميلادي	بين ٨ و ٩ سنوات

جدول (١) : حكام الجور – من بني أميّة – الذين عاصرهم الإمام علي زين العابدين عليه السلام

سلوك حكّام بنو أميّة مع الإمام زين العابدين عليه السلام

قُدِّر للإمام علي زين العابدين، عليه السلام ، أن يتسلم الإمامة، بما تعنيه من مسؤوليّة قياديّة وروحيّة للأمّة، بعد استشهاد والده الإمام الحسين، عليه السلام ، أي في فترة عنفوان عنف واستبداد بني أميّة. فترة اتسمت بقبضة حديديّة سلطها حكام بنو أميّة وولاتهم على أهل البيت، عليهم السلام، خاصّة وعلى عموم الصالحين عامّة. من ملامح تلك الحقبة التاريخيّة: تصاعد وهج استبداد وظلم وبطش الحكام، بما يخلقه من دوس وتعدٍّ على حقوق الإنسان.

- فقدان الوعي العقائدي لعموم أفراد الأمّة.
- تتالي الأزمات السياسيّة الخانقة.

الطبعة الأولى ٢٠٢٢، نقوش عربية – تونس. حائز على « الجائزة العالمية الحادية والثلاثين لكتاب العام في إيران » (فيفري – فبراير ٢٠٢٤)

- تدنّي الأوضاع الأمنيّة.
- تصفية جسديّة، سجن واعتقال لجمهرة من الأعيان وروّاد الحق.
- انفتاح المسلمين على ثقافات متنوّعة وأعراف تشريعيّة مختلفة وأوضاع اجتماعيّة متباينة بحكم تفاعلهم مع الشعوب التي دخلت حديثا في الدين الإسلامي.
- موجة الرخاء التي سادت المجتمع الإسلامي في أعقاب الامتداد الهائل للخارطة الإسلاميّة مشكلة خطر انسياق المجتمع مع ملذات الدنيا أمام تراجع للقِيَم الأخلاقيّة والصلة الروحيّة

. خيّمت تلك الأجواء باهتة الألوان بظلالها على واقع الأمّة فحجبت بظلماتها المتراكمة الرؤية الثابتة، وزعزعت اليقين الراسخ، وعرّضت المسيرة الإسلاميّة إلى نكسات كبيرة ومتتالية انحرف معها الإتجاه الصّحيح طوليّا. نتيجة لذلك خمدت جذوة الدين في النفوس إلا من رحم ربّك، وهدأت ثورة الفكر إلا جذابا، وانكمشت فاعليّة الروح التي بقيت حبيسة السرائر فحسب، أُبتُليت الأمّة بسيل من اللذات واتجهت نحو حياة الترف والعبث والسّرف في هذا الواقع الرديء، كانت جميع الأنظار متّجهة نحو الإمام علي زين العابدين، عليه السلام ، بما يتّصف به من صفات نبويّة، وبما يحمله من شمائل محمديّة، وبما في صدره من معارف وعلوم سنيّة. بل كان يمثل – في ذلك الزمن – أمل الأمّة المنشود والوحيد في تقويم الاعوجاج والتصدي للانحراف، والرمز المنتظَر منه العودة بالأمّة إلى وضعها الطبيعي: إسلام أصيل ونقيّ من جميع الشوائب. كانت المسؤوليّة الملقاة على الإمام السجّاد، سلام الله تعالى عليه، في تلك الظروف، جسيمة وكبيرة، وكانت تتعارض كليّا مع مصالح وأطماع حكام بنو أميّة، وتصطدم مع أحلامهم وآمالهم. إذا أضفنا إلى ذلك الحقد الدفين والكره الكبير الذي توارثه بنو أميّة أبا عن جدٍّ؛ أدّى كل ذلك إلى نتيجة حتميّة: اصطدام عنيف وتناطح دائم بين حكام بنو أميّة والإمام علي زين العابدين عليه السلام . اتّبع حكام بنو أميّة مع الإمام أسلوبًا يراوح بين الترهيب والترغيب. الترهيب عندهم إرهاب؛ وإرهابهم إرهابان: إرهاب جسدي وآخر نفسي. تمثل الإرهاب الجسدي في إيذاء الإمام، عليه السلام ، جسديّا بل تفنّنوا في إيذائه تضييقًا عليه، وتنكيلًا

به، واعتقالًا، وسجنًا ونفيًا. مُورِس كلّ ذلك الإرهاب الجسدي على الإمام فكان، سلام الله تعالى عليه، شامخًا كالطود، صابرًا، ثابتًا، لم يلن له عزم ولم ينكسر له جناح، بل على العكس من ذلك كان يستنكر على الناس القنوط من رحمة الله تعالى، ويحذرهم اليأس من رَوحه عز وجل، ويسعى إلى إرجاعهم إلى الحياة بهروبهم منها. يذكر « الأربلي » في كتابه « كشف الغمّة » حادثة حصلت مع الزهري حيث أصاب دمًا خطأ، لم يقوى على استيعاب الموقف فهجر الناس وتوحّش، ودخل إلى غارٍ معتزلا وطال شعره. أدخِل على الإمام السجّاد عليه السلام فقال له: « إنّي أخاف عليك من قنوطك ما لا أخاف عليك من ذنبك، فابعث بديّة مسلَّمة إلى أهله، واخرج إلى أهلك ومعالم دينك، فقال الزهري: فرّجت عني يا سيدي، والله عز وجل وتبارك وتعالى أعلم حيث يجعل رسالته » (أمّا الإرهاب النفسي فتمثل في إرسال حكام بنو أميّة الرسائل والكتب وبعثهم الوفود للإمام عليه السلام تتوعده وتهدّده بقطع رزقه. لم يكن ذلك الأسلوب ليؤثر في نفسيّة الإمام، عليه السلام ، ولا في مواقفه، بل زاده صلابة وحزما وثقة والتجاءً إلى ركنه الشديد: ربّ العالمين المبدئ المعيد. يورد المجلسي في « بحار الأنوار » قصّة نسوقها بالمعنى؛ ملخصها أنّ عبد الملك بن مروان بلغه أن سيف الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عند الإمام زين العابدين، عليه السلام ، فبعث يستوهبه منه. اعتذر الإمام وأبى عليه ما كان من عبد الملك إلا أن يهدّده بقطع رزقه من بيت المال. أجاب، سلام الله تعالى عليه، جواب الإيمان والتقوى حيث قال: « أمّا بعد، فإنّ الله ضمن للمتقين المخرج من حيث يكرهون، والرزق من حيث لا يحتسبون؛ وقال جل ذكره: » إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ » (الحج : ٣٨)، فانظر أيّنا أولى بهذه الآية

تعامل الإمام زين العابدين عليه السلام مع حكّام بنو أميّة

الإمام علي زين العابدين، عليه السلام رجل دين وقِيَم وعقيدة، وصاحب رسالة ووظيفة ربانيّة، وإن كان أرباب السلطة الجائرة غصبوا حقه ودوره القيادي في سياسة الأمّة إلا أنّه لم يعطّل دوره الشرعي في التصدّي للانحراف، وواجبه الربانيّ في تصحيح المسار، ونشر

مفاهيم الإسلام الأصيل، والتذكير بالله، ومقاومة الفساد والإفساد. من أجل جميع هذه الاعتبارات النبيلة اتبع، سلام الله تعالى عليه، مع حكام الجور أسلوب الحذر، والحزم، وعدم المجاملة، وعدم المدارات، وعدم المداهنة. لم يذكر لنا التاريخ أنّه ساوم لحظة، ولا داهن في دين الله ساعة، ولا جامل يوما، ولا تقرّب إلى حاكم، ولا مدح أحدهم. كان، عليه السلام يجهر بكلمة الحق مُظهِرًا الأخطاء والعيوب، رافضًا الفساد والانحراف، مقارعًا الظلم بكلمة، ومتمثلا لكلام الله: « فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا » (الفرقان : ٥٢)

ولقول جدّه رسول الله صلى الله عليه له: » أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر « لا يخشى في الله لومة لائم كلّفه ذلك ما كلّفه. تذكر مصادر التاريخ أنّ الإمام علي زين العابدين، عليه السلام ، لمّا أُدخِل، مع ركب السبايا بعد حادثة الطف ، إلى مجلس يزيد بن معاوية، ، وهو عليل، مريض، مكدوم، مكضوم موثق بيديه، صعد المنبر وخطب في الجمْع خطبة بليغة دوّنتها المصنفات التاريخيّة بأحرف من ذهب. لم يخش بطش الطغاة، ولم يهن، ولم يستكن بل استصغر في كلامه قدر يزيد وأعضاده، وبيّن مكانة وقدر أهل البيت عليهم السلام، وأوضح فضاعة الجرْم وثقل الجريمة التي ارتكبها آل أميّة في حق أولياء الله. لم يزل يشرح، ويبيّن، ويوضّح، ويحذّر، ويعض حتى ضجّ الناس بالبكاء في المسجد الأموي ومن بينهم يزيد نفسه. إلى جانب وقفته الصلبة والحازمة في وجه ظلم وجور حكام بني أميّة حِفظا لتعاليم الدين، وتصديا للانحراف والمنحرفين حيث كان، سلام الله تعالى عليه، سدّا منيعا، وحصنا حصينا، وشوكة في حلق الظالمين..... إلى جانب كل ذلك كان ملجأ للجميع حين يستعصي عليهم حل المعضلات، ومفزعا في كل مشاكل الحياة وقضاياها – بما فيهم جهاز السلطة الظالمة – بوصفه خزينة المعارف الربانيّة، ومعدن الحكمة الإلهيّة، وامتدادا للحكمة المحمديّة. لم يمنعه سلوك الحزم والجزم والحذر مع السلطة من تقديم المشورة وإعطاء النصيحة إذا كان هناك مصلحة للإسلام ومنفعة للمسلمين ودفاعا عن بيضة الدين. بذلك السلوك النبيل، أعاد سلام الله تعالى عليه عقارب ساعة التاريخ إلى الوراء لينتهج نهج جدّه أمير المؤمنين عليه السلام حين كان ملجأ الخلفاء الثلاثة يقدّم ولا يبخل بالنصيحة، حفاظا على قِيَم ومبادئ الإسلام،

مع كل الذي كان بينه وبينهم. نكتفي في هذا السياق بذكر مأزقين وقع فيهما عبد الملك بن مروان، نتيجة تهديد إمبراطور الروم، كادا يعصفان بوجود الأمّة ويجتثان كيانها. كان المخرج والمنجى من هذيْن المأزقيْن نصيحة ومشورة الإمام علي زين العابدين، عليه السلام ، الذي ترك جميع جرائم وأوزار بني أميّة وراء ظهره واستجاب لواجب تقديم النصيحة والخبرة الميدانيّة حِفظا لبيضة الإسلام وحفاظا على كينونة الأمّة. يتمثل المأزق في أنّ ملك الروم كتب إلى عبد الملك بن مروان « أكلت لحم الجمل الذي هرب عليه أبوك من المدينة؛ لأغزونّك بجنود مائة ألف ومائة ألف ومائة ألف؛ فكتب عبد الملك إلى الحجّاج أن يبعث إلى زين العابدين، عليه السلام ، ويتوعده ويكتب إليه ما يقول ففعل، وقال عليه السلام : » إنّ لله لوحًا محفوظًا يلحظه في كل يوم ثلاثمائة لحظة، ليس منها لحظة إلا يُحيِي فيها ويميت ويُعز ويُذل ويفعل ما يشاء، وإنّي لأرجو أن يكفيك منها لحظة واحدة «، فكتب بها الحجّاج إلى عبد الملك، فكتب عبد الملك بذلك إلى ملك الروم. لمّا قرأه قال: ما خرج هذا إلا من كلام النبوّة وعدل عن محاربة المسلمين أمّا المأزق الثاني فكان حين اصطدم عبد الملك مروان بملك الروم الذي هدّده باستغلال حاجة المسلمين إلى استيراد نقودهم من بلاد الرومان لإذلال المسلمين وفرض الشروط عليهم. وقف عبد الملك متحيّرا وقد ضاقت به الأرض كما جاء في الرواية وقال: أحسبني أشأم مولود ولد في الإسلام واستشارهم فلم يجد عند أحد منهم رأيًا، فقال له القوم: إنّك لتعلم الرأي والمخرج من هذا الأمر! فقال: ويحكم من؟ قالوا: الباقي من أهل بيت البيت صلى الله عليه وآله، قال صدقتم، وهكذا كان. فزع إلى الإمام زين العابدين فأرسل عليه السلام ولده محمد بن علي الباقر عليه السلام إلى الشام وزوّده بتعليماته الخاصة فوضع خطة جديدة للنقد الإسلامي وأنقذ الموقف بدأت إذن ببركات الإمام علي زين العابدين، عليه السلام ، وتحديدًا سنة ٧٤ للهجرة (الموافق لسنة ٦٩٥ ميلادي) مرحلة مفصليّة في تاريخ الأمّة الإسلاميّة حيث أصبح للمسلمين عملتهم الخاصّة، تحرّروا بموجبها من الهيمنة الإقتصاديّة للإمبراطوريّة الرومانيّة. أُنشئت دور خاصّة بالسكة تتبع جهاز الحكم وتكون تحت إشراف قضاة.

صورة (١) : تمثل الصورة أول دينار عرفته الأمّة الإسلاميّة ببركة رأي واقتراح الإمام علي زين العابدين عليه السلام . كان ذلك سنة ٧٤ للهجرة الموافق لسنة ٦٩٥ ميلادي. تظهر في الدينار صورة لعبد الملك بن مروان وبيده سيف، كما تظهر شهادة التوحيد " لا إله إلا الله محمد رسول الله "
(المصدر : https://ar.m.wikipidia.org (File : First Umayyad gold dinar, Caliph-abdal- Malik, 695 CE.jpg

موقع الإمام علي زين العابدين بين الأئمّة الأطهار عليهم السلام

مستويات دراسة حياة الأئمّة عليهم السلام

منهجان مختلفان، أو متفاوتان، يمكن اتباعهما لدراسة حياة الأئمّة الأطهار عليهم السلام

- مستوى قائم على أساس نظرة جزئيّة لحياة كل إمام مستقلة عن بقيّة الأئمّة الأطهار عليهم السلام
- مستوى قائم على أساس نظرة كليّة تتناول حياة جميع الأئمّة الأطهار عليهم السلام كوحدة مترابطة.
-
- المنهج القائم على أساس النظرة الجزئيّة يدرس حياة كل إمام بصورة مستقلة عن بقيّة الأطهار عليهم السلام دراسة دقيقة ومفصّلة، تستوعب جميع جزئيّات حياته وتفصّل القول في جميع خصوصيّاته وما تزخر به من ملامح. أمّا المنهج القائم على أساس النظرة الكليّة فيتعامل مع حياة جميع الأئمّة الأطهار عليهم السلام كوحدة مترابطة تحرّكها نفس الدوافع وتوحّدها عين الأهداف وإن اختلفت الوسائل لتحقيق تلك الأهداف. لكل منهج من المنهجين خصوصيّاته وأهدافه ونتائجه، لكن لو أجرينا سنة التفاضل

عليهما لاتضح أنّ النظرة الكليّة تعطي نتائج ذات مستوى أعمق من تلك التي تتمخض عنها الدراسات الجزئيّة، كما تمنح نظرة استشرافيّة يمكن من خلالها كشف الترابط بين أفعال الأئمّة عليهم السلام والخيط الناظم والجامع لسلوكهم، والدور المشترك الذي مارسوه جميعا. الثمرة التي من الممكن جنيها من الدراسة الكليّة لا يقلل من أهميّة الدراسة الجزئيّة لحياة الأئمّة الأطهار عليهم السلام بل تشكل دراسة حياة كل إمام بمنهج جزئيّ، وبصورة مستقلة، مقدّمة أساسيّة وضروريّة لدراسة كليّة شاملة تشمل جميع الأئمّة عليهم السلام نستخلص من خلالها الدور المشترك للأئمّة الأطهار عليهم السلام جميعًا وترابط الأهداف التي من أجلها قاموا. إذا قمنا بدراسة حياة الأئمّة الأطهار عليهم السلام وفق المنهجين، أو المستويين، فسوف تقودنا الدراسة القائمة على النظرة الجزئيّة إلى اختلاف ظاهريّ في مواقف الأئمّة عليهم السلام، وتباين في سلوكهم، وتناقض في وسائلهم. فالإمام الحسن المجتبى عليه السلام مثلا صالح معاوية بن أبي سفيان صُلحًا استراتيجيًّا حقن به دماءً كثيرة بينما ثار الإمام الحسين عليه السلام على نظام يزيد بن معاوية وقاتل قتالا أسطوريًّا أُبِيد خلاله أبطال أهل البيت، عليهم السلام، وثلة صالحة من مؤمني ذلك العصر. أرسى الإمام علي زين العابدين عليه السلام مدرسة الدعاء فكانت من أنجع وسائل الإصلاح في زمانه بينما بنى الإمامان محمد الباقر وجعفر الصادق، عليهما السلام، صرْح مدرسة عريقة، متينة الأركان، قائمة على الفقه والفكر والحديث وجميع علوم عصرهما. عاش الإمام موسى الكاظم عليه السلام في غياهب السجون بينما عرفت ولاية العهد طريقها إلى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ، وهكذا..... أمّا دراسة حياة الأئمّة الأطهار عليهم السلام وفق المنهج القائم على النظرة الكليّة فمن شأنها أن تزيل تلك الاختلافات الظاهريّة، وتمحو تلك التباينات السطحيّة، وتذهب بتلك التناقضات، لأنّه في هذا المستوى الأعمق لا تعدو تلك الاختلافات والتناقضات الظاهريّة أن تكون سوى أساليب مختلفة لخدمة أهدافا واحدة، ووسائل متنوّعة لإدراك حقيقة واحدة؛ وما اختلفت الأساليب، وما تنوّعت الوسائل، إلا لإختلاف الظروف الميدانيّة التي عاصرها المسلمون – والبناء الإسلامي خاصّة – في عهد كل إمام. تضعنا النظرة

إلى حياة الأئمّة الأطهار عليهم السلام وفق المنهج

الكليّ أمام معادلة نصوغها بالشكل التالي:

وحدة هدف للأئمّة الأطهار عليهم السلام مقابل تعدّد أدوارهم وتنوّع وسائلهم، وترابط تخطيطاتهم لإدراك ذلك الهدف

بعد أن تعرضنا – في الفصل السابق – بصيغة إجماليّة مختصرة إلى قبس من الحياة الشريفة للإمام علي زين العابدين عليه السلام ، وفق المنهج الجزئيّ، نغيّر زاوية نظر البحث لنسلّط بعض الأضواء على موقعه، سلام الله تعالى عليه، بين الأئمّة الأطهار عليهم السلام وفق المنهج الكليّ. لإدراك هذه الغاية الشريفة، يفرض علينا المنطق العلمي والبحث الموضوعي إلقاء نظرة عامّة وإجماليّة على واقع المسلمين زمن توليه، عليه السلام ، الإمامة وكذلك التطرق إلى الدور الأئمّة عليهم السلام بصيغة إجماليّة مختصرة تتماشى وحدوديّة هذه الدراسة. يشكل ذلك محتوى الفقرات القادمة من هذا الفصل.

الإنقلاب على الأعقاب

يقول الحق سبحانه وتعالى في سورة آل عمران المباركة

« وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ » (آل عمران :١٤٤)

آية قرآنيّة جليلة إطار نزولها غزوة أحد وسياقها توبيخ وعتاب لفئة من الصّحابة. تحمل معاني ودلالات الآية حقائق قرآنيّة عظيمة، نسوق منها حقيقتين تتماشيان مع سياق البحث. نسوق الحقيقتين بكل تجرّد وموضوعيّة لأنه ليست الغاية من ذكرهما إثارة نزعات طائفيّة ولا إشارة إلى تفرقة مذهبيّة - لا قدّر الله- بل الغاية هي الوصول إلى تشخيص سليم لأوضاع المسلمين زمن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله و قُبَيْلَ التحاقه بالرفيق الأعلى. في قول الحق سبحانه و تعالى « أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ » إشارة ربانيّة لطيفة إلى إمكانيّة إلتحاق الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلى إمّا ميّتا ميتة

طبيعية أو شهيدا مقتولا في سبيل الله. من هذا المنظار، لا تشكل مقولة استشهاد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بدعة ولا ابتداعًا ولا تجنٍّ، بل هي إمكانيّة يطرحها القرآن الكريم. وجب على كل الباحثين والمحققين والخائضين في أنوار السيرة النبويّة أن يأخذوا الإمكانيتين بعين الاعتبار، وأن لا يرجّحوا إمكانيّة على أخرى إلّا بعد تحقيق موضوعيّ دقيق وبحث علميّ متجرّد من الأهواء و متخلّص من العواطف. الهمزة في قوله تعالى « أَفَإِيْن مَّاتَ » همزة الاستفهام، لا محلَ لها من الإعراب، تصبغ (الهمزة) الجملة صبغة تركيب استفهام إنكاريّ، وتحديدا استفهام إنكاريّ توبيخيّ الغرض منه إنكار المستفهم عنه وهو الانقلاب على الأعقاب. أمّا « الفاء ‹› (في قوله » أَفَإِيْن مَّاتَ ») فهي « فاء السببيّة » من دلالاتها ترتّب مضمون الجملة المعطوفة (« أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ ») على الجملة المعطوف عليها (« وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ ») ترتّب المسبّب على السّبب؛ وفي ذلك إنكار وعتاب على فئة من الصحابة انقلابهم على الأعقاب عند علمهم بموت الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله أو قتله. يمكن اعتبار النصف الثاني من الآية المباركة جملة شرطيّة مكوّناها شرط وجزاء. يمثل قوله تعالى « أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ » شرط، ويشكل قوله عز وجلّ «« ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ »» جزاء للشرط. معنى ذلك أنه لا يتحقق جزاء الشرط إلا بتحقق الشرط. يحمل جزاء الشرط عتابًا وثناءً و تحذيرًا: عتاب وتوبيخ لفئة من الصّحابة على ما بدر منهم من اضطراب، وهلع، وارتداد ورجوع عن الدين يوم أحد لمّا فشا في الناس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قد قُتل. نقرأ مثلا في « البداية والنهاية: » .... وفشا في الناس أنّ رسول الله صلى الله عليه [وآله] قد قُتل، فقال بعض أصحاب الصخرة: ليت لنا رسولا إلى عبد الله بن أبيْ فيأخذ لنا أمنة من أبي سفيان، يا قوم إنّ محمدا قد قُتل فارجعوا إلى قومكم قبل أن يأتوكم فيقتلوكم، فقال أنس بن النضر: يا قوم إن كان محمد قد قُتل فإنّ ربّ محمد لم يقتل، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمد صلى الله عليه [وآله] اللهمّ إنّي اعتذر إليك ممّا يقول هؤلاء وأبرأ إليك ممّا جاء به هؤلاء ثم شدّ بسيفه فقاتل حتى قُتل « (). نقرأ كذلك في » سيرة بن هشام «: « قال ابن إسحاق: وحدثني القاسم بن عبد الرحمان بن رافع أخو بني عديّ بن النجّار،

قال: انتهى أنس بن النضر، عمّ أنس بن مالك، إلى عمر ابن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يُجلسكم؟ قالوا: قُتل رسول الله صلى الله عليه [وآله]؛ فقال: ما تصنعون بالحياة بعده؟ [قوموا] فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه [وآله]، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتل، وبه سُمّي أنس بن مالك. قال ابن إسحاق: فحدثني حُميد الطويل، عن أنس بن مالك قال: لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة، فما عرفه إلا أخته، عرفته ببنانه ». نقرأ أيضا في « تاريخ الطبري » «.... فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني وحمد بن إسحاق قال: حدثني القاسم بن عبد الرحمان ابن رافع أخو بني عديّ بن النجّار، قال: انتهى أنس بن النضر، عمّ أنس بن مالك، إلى عمر ابن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله، في رجال من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوا بأيديهم، فقال: ما يُجلسكم؟ قالوا: قُتل محمد رسول الله صلى الله عليه [وآله]؛ فقال: ما تصنعون بالحياة بعده! قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله صلى الله عليه [وآله]، ثم استقبل القوم فقاتل حتى قُتل، وبه سُمّي أنس بن مالك. حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عن محمد ابن إسحاق قال: حدثني حُميد الطويل، عن أنس بن مالك قال: لقد وجدنا بأنس بن النضر يومئذ سبعين ضربة، فما عرفه إلا أخته، عرفته ببنانهالانقلاب رجوع إلى المكان، وفي الآية المباركة مجاز المراد منه « الرجوع إلى الحال التي كانواعليها، أي حال الكفريذهب جَمْع كبير من المفسرين إلى اعتبار أنَ المراد من » الانقلاب على الأعقاب « في الآية المباركة، فرار من الزحف و تولٍّ عن القتال. لا نرى ما رآه جَمْع المفسرين، بل نشاطر العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، قدس الله سره، في اعتباره أنّ المراد من » الانقلاب على الأعقاب « رجوع عن الدين إلى الكفر السابق لاعتبارين اثنين الاعتبار الأوّل يتمثل في أنّ الفرار من الزحف و التولّي عن القتال تحقق في عدّة مواضع أخرى، كغزوة خنين وخيبر وغيرها، ولم يأت الخطاب القرآني الجليل بتقريع شديد اللهجة وبتوبيخ محكم البنية مثل الذي ورد في هذه الآية المباركة. عن التولّي يوم حنين مثلا يخاطب الحق سبحانه وتعالى الأصحاب بعتاب لهجته أقل حدّة من آية « التولي على الأعقاب » حيث يقول عز و جل: « لَقَدْ

نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ » (التوبة : ٢٥). أمّا الاعتبار الثاني فيتمثل في أن سياق الآيات اللاحقة والنازلة في نفس الغزوة (أحد) يدعّم أطروحة أنّ المراد من « الانقلاب على الأعقاب » رجوع عن الدين إلى الكفر حيث يقول الله جل ثناؤه : « إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ » (آل عمران : ١٥٥). ثناء على فئة من الصّحابة لم يهنوا لِمَا أصابهم في سبيل الله، لم يضعفوا، لم يستكينوا، لم يفتروا ولم يفرّطوا في جنب الله بل بقوا ثابتين، صامدين، صابرين، صادقين، لم تغيّر الأوضاع من عقيدتهم ولم تنل الأحداث من عزيمتهم؛ أطلق عليهم الخطاب القرآني الجليل صفة « الشاكرين » حيث نقرأ في ذيل الآية المباركة « وَسَيَجْزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ». انقسم إذن معسكر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله يوم أحد إلى الفئتين: فئة أهمّتهم أنفسهم، ظنوا بالله غير الحق ظنّ الجاهلية، انقلبوا على الأعقاب، و فكروا في ترك القتال والذهاب إلى عبد الله بن أبيْ ليأخذ لهم الأمان من أبي سفيان فئة ثانية ثبتت على دينها، استماتت في الدفاع عن عقيدتها ورسولها، لم تنل الأحداث من ثباتها وصمودها ولم يظهر منها الانقلاب على الأعقاب. أثنى الله عليهم و وصفهم بـ «الشاكرين». تحذير لجميع الصّحابة من مغبّة الارتداد عن الدين والرجوع إلى الكفر عند موت الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله أو قتله؛ وقد وقع ما حذّر الله منه فور التحاق الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلى؛ وما أحداث السقيفة إلّا خير دليل على ذلك: بينما كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وعمّه العباس وابن عمه الفضل بن العباس، وأسامة بن زيد و أوس بن خولّي يغسّلون و يجهّزون و يدفنون رسول الله صلى الله عليه وآله كان البقية - وخاصّة وجهاء القوم - في سقيفة بني ساعدة يتنازعون ويتناطحون ويتخالفون في من يتولّى خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله. لم يحضر دفنه - عليه وعلى آله الصلاة والسلام - أكثر الناس لأنهم كانوا في شغل أمر الخلافة، بل فات أكثرهم حتى الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله

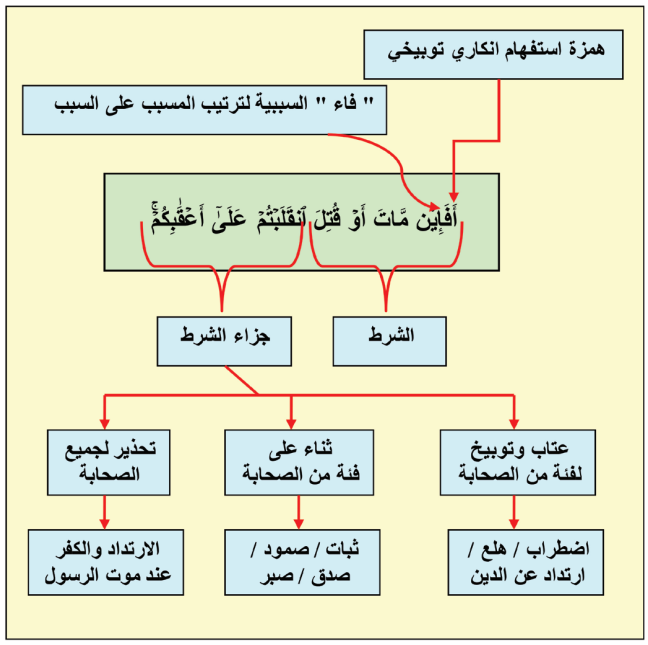

شكل (١) تفكيك النصف الثاني من آية الانقلاب على الاعقاب

الانحراف عن النهج المحمّدي الأصيل

وقع – للأسف – ما حذّر القران الكريم من وقوعه، فما أن إلتحق الرسول الأكرم الله صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلى حتى عرفت التجربة الإسلاميّة الفتيّة انحرافا سياسيّا خطيرًا جدًّا تمثل في إقصاء من نصّبه الله ورسوله وصيّا وخليفة يوم غدير خم، وإبعاده عن الاضطلاع بالدور القيادي الذي هيّأه رسول الله صلى الله عليه وآله له ودرّبه عليه، المتمثل في تزعّم التجربة الإسلاميّة و تحصينها من الانحراف والانزلاق عن مبادئها الأصيلة وقِيَمها النقيّة، و مواصلة مسيرتها. تسلّم مقاليد إدارة التجربة الفتيّة و مسؤوليّة الحفاظ على نقاءها و توهّجها و ضمان سيرها على النهج المحمدي الأصيل أشخاص آخرين انحرفت معهم التجربة الفتية، وتنكبت عن صراطها المحمّدي الأصيل وابتعدت عن نهجها الربانيّ القويم. بدأ الانحراف صغيرًا إلّا انه اشتدّ مع مرور الزمن، و ازدادت الهوّة بين الأصيل والدخيل، والحق والباطل، اتساعا مع تعاقب الأيام وتسارع الأحداث

و صدق عليه

(الانحراف) ما يُعرف في الأوساط العلميّة بمفهوم « تأثير الفراشة » (Effet du papillon) ربّما يبدو لكثير من الناس أنّ هذا الانحراف ليس سوى مجرد استبدال شخص بشخص آخر، وأنه بسيط جدّا، تمثلت بساطته في أنّ شخصا كان مهيّأ و مرشحا من قِبل الله عز وجلّ و رسوله الله صلى الله عليه وآله وقد أُقْصِيَ، أو أُبْعد، أو مُنِعَ من آداء وظيفته الربانية، أو غُصِبَ حقه، وأعْطِيَ ذلك الحق لشخص آخر بدلا عنه. لم يكن هذا الانحراف شخصيّا، ولا بسيطا بهذا المقدار، ولا سهلا بهذا القدْر، لأنه بدأ سياسيّا حيث استُبدِل خلاله شخص بشخص، لكنه ألقى بظلاله على جميع المجالات الأخرى وخاصّة العقائديّة والتربويّة والعسكريّة والاجتماعيّة. شكل الانحراف تهديدا وجوديّا للإسلام الأصيل.... تهديد قادر على أن يعصف بالتجربة الإسلاميّة إلى رفوف التاريخ ويُعيد الجاهليّة إلى الواجهة ويقضي على مجهودات مائة وأربع وعشرين ألف نبيّا. مثل بداية خطر على التجربة الإسلاميّة الفتيّة كلّها وكان سببا حتميّا في دفعها لتتأرجح بين الأصيل والدخيل، وتراوح بين الحق والباطل، فتستبطن شيئا من الدخيل، وبعضا من الباطل، وقدرا من الجاهليّة، ثم تتسع دائرة الدخيل بالتدرّج ويتسع أفق الباطل مع مرور الأيام، وتُفتَح أبواب إمكانيّة عودة الجاهليّة بتواتر الأحداث. ممَا وضع التجربة الإسلاميّة كلها، ومن وراءها جهود جمع الأنبياء والمرسلين وآمال البشريّة، في دائرة الخطر المحدق، فأصبح للجاهليّة مطامع في تزعم وتوجيه التجربة الإسلاميّة الفتيّة، وهي التجربة التي أخذت على عاتقها إنقاض الإنسان من الجاهليّة نفسها وإخراجه من ظلماتها إلى نور الإسلام و استساغته إنسانا جديدًا، طاهرًا و خالٍ من رواسبها. لو أجرينا جواد البيان في تبيان آثار ومخاطر هذا الانحراف على التجربة الإسلاميّة الفتيّة لأوقرنا في ذلك مجلدات ومصنفات ربّما أخرجتنا عن محدودية ما نحن بصدد طرحه. كل ما يعنينا في بحثنا أنَ فترة الإمام علي زين العابدين، ومن قبله الإمام الحسين عليهما السلام، بلغ فيها الانحراف ذروته حيث:

- أصبحت منابر الوعظ والإرشاد أبواقا للسبّ والشتم واللعن.
- وُجّهت أموال الزكاة لشراء الذمم والنفوس المريضة.
- ارتقى منبر رسول الله صلى الله عليه وآله من لا تتوفر فيه الأهليّة بينما ضُرِبت إقامة

جبريّة على أئمة أهل البيت عليهم السلام وعلى الصالحين من علماء الأمّة..... إقامة جبريّة كمّمت أفواههم وشلت تحركاتهم و فصلتهم عن قواعدهم الشعبيّة.

- وُجّهت سيوف المسلمين وسواعدهم لتصفية أهل البيت عليهم السلام ومقارعة الصالحين.
- تلاعبت الأيادي بمقدّرات الأمّة خدمة لمآرب الحكّام.

أسّس بنو أمية – ومن بعدهم بنو العباس – لنظام أوتوقراطيّ، استبداديّ، ملكيّ، منبت عن المنهج الإسلاميّ، قلدوا فيه استبدادية الإمبراطوريّة الرومانيّة بمجونها، وثراءها وشذوذها وسعوا إلى ترسيخه واقعًا مفروضًا عبر تثبيت أبنائهم على رأس النظام الجديد. وَضْع لخّصه الإمام الحسين عليه السلام بكلمات نورانية، موجزة وجامعة حيث قال: « أمّا بعد، فانه نزل بنا من الأمر ما ترون، وإنّ الدنيا قد تغيرت و تنكرت وأدبر معروفها، واستمرت جذاء، ولم يبق منها إلا صبابة كصبابة إناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون إلى الحق لا يُعمَل به وإلى الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربّه محقًا فإنّي لا أرى الموت إلا سعادة و الحياة مع الظالمين إلا برما [1]»

الأمر إذن جلل والخطر داهم... بدأ نظام الجاهليّة يطلَ بقرنه ويطمح للعودة باسم الدين... بدأ نظام الجاهليّة يسعى للحكم باسم الإسلام، وشرعت أهواء الطغاة تتصدّى للشؤون العامة باسم الشريعة ... تجاوزت القضيّة بُعد الحكم، وتعدّت مسألة السلطة وصار لها أبعاد وجوديّة خطيرة أخرى: يُحفظ الإسلام أو لا يُحفظ... تبقى الشريعة المحمديّة الأصيلة أو تندثر... يثبت دين محمد صلى الله عليه وآله أو تعود الجاهليّة ... تُكلَل جهود مائة وأربع و عشرون ألف نبي بالنجاح أو تتلاشى و تتبخر...

موقع الإمام السجّاد بين الأئمّة عليهم السلام

بإتباع منهج قائم على أساس نظرة كليّة تتعامل مع حياة جميع الأئمّة الأطهار عليهم السلام كوحدة مترابطة يحرّكها هدف ربانيّ واحد مع اختلاف الوسائل الموصلة لتحقيق ذلك الهدف، وبنظرة دقيقة ثاقبة ومستوعبة لخط سيرورة أحداث صدر الإسلام قسّم الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر، قدس الله سره (١٣٥٣ – ١٤٠٠ هجري الموافق لسنة ١٩٣٥ –

١

١٩٨٠ ميلادي) في كتابه « أهل البيت – تنوّع أدوار ووحدة هدف » تاريخ الأئمّة الأطهار وخط سيرهم نحو تحقيق هدف « حِفظ الدين » إلى مراحل ثلاث

- المرحلة الأولى: مرحلة « تفادي صدمة الانحراف ».
- المرحلة الثانية: مرحلة « بناء الجماعة الرائدة ».
- المرحلة الثالثة: مرحلة « ردود فعل خلفاء الجور ».

قبل تفصيل القول – بما تتطلبه محدوديّة هذه الدراسة - في هذه المراحل الثلاثة وجبت الإشارة إلى أنّ هذا التقسيم تقريبيّ ولا يأخذ طابعا حديّا؛ بمعنى أننا لا نستطيع الوقوف في لحظة تاريخيّة معيّنة لنحدّد أنّها نهاية المرحلة الحاليّة وبداية المرحلة التالية. معنى ذلك أيضا أنه إذا كنّا في مرحلة معيّنة فليس بالضرورة أنّ عمل المرحلة السابقة – الذي شكل اللبنة الرئيسية للمرحلة الحالية – انقطع، بل يظّلُ مستمرًا مع تصدّي الإمام عليه السلام إلى مهمّة جديدة تكون وليدة ظروفها وتشكل اللبنة الرئيسية لتلك المرحلة. بهذه الكيفيّة تكون كل مرحلة – من المراحل الثلاث - مستندة على المرحلة السابقة لها وممهّدة للمرحلة التي تأتي بعدها.

المرحلة الأولى: « تفادي صدمة الانحراف »

كان الشهيد السعيد محمد باقر الصدر، قدس الله سرّه، يطلق عليها مرحلة « تفادي صدمة الانحراف ». تبدأ مباشرة بعد التحاق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله بالرفيق الأعلى وتستمرّ إلى حياة الإمام علي زين العابدين عليه السلام ، بمعنى أنها تشمل حياة: أمير المؤمنين، الإمام الحسن المجتبي، الإمام الحسين شهيد كربلاء والإمام علي زين العابدين عليهم جميعا سلام ربّ العالمين.

عاصر هؤلاء الأطهار عليهم السلام أحداثا بالغة الخطورة وعاينوا أوضاعا مفصليّة في سيرورة الأمّة حيث بلغ الانحراف ذروته مشكلّا تهديدا وجوديّا للإسلام الأصيل وممهدّا الطريق لنظام الجاهليّة بأن يطلّ بقرنه طامحًا في العودة باسم الدين. لو واصل ذلك الانحراف زحفه تصاعديّا سوف يستشري، بعد زمن غير طويل، الفساد في جسد الأمّة ويتفشى الانحراف في مفاصلها وسوف تنهار التجربة الإسلاميّة في يوم من الأيام فاسحة المجال

إلى تجربة أخرى منحرفة ودخيلة تلبس جلباب مُسمّى الإسلام وماهي إسلاميّة أصيلة، وسوف تجد تلك التجربة الدخيلة أرضيّة فاقدة المناعة ضدَ التمييز بين الأصيل و الدخيل، بين الحق و الباطل، و سوف تلتبس الأمور على الناس لتندمج الأمّة مع التجربة المنحرفة و بذلك تضيع الأمّة و يضيع الإسلام وتضيع الرسالة و تذهب مجهودات جميع الأنبياء و المرسلين هباءً منثورًا. كل هذه الأخطار كانت تحيط بالتجربة الإسلاميّة الفتيّة، وكان من الممكن أن تمتدّ كالسرطان في جسم الأمّة فتمحقها محقا كليّا وتسحقها سحقا كاملا وتقضي على الإسلام وعلى الأمّة ليصبحا مجرّد فصل من فصول قصص تاريخ الأمم لا وجود فعلي لهما في خطّ الزمن. أمام عمق هذه الوضعية وخطورتها، بادر الأئمة الأربعة عليهم السلام- كل بأسلوبه - بتحصينات قصد تفادي صدمة الانحراف العميق وإيقاف نزيف الفساد المستشري. نلمس الأثر الإيجابي لهذه التحصينات في:

- استقبال أمير المؤمنين عليه السلام الأحداث وجها لوجه و قيادته للأمّة. على قصر مدّة هذه القيادة، إلا أنها كانت مازجة بين البعد السياسي و الملحظ الديني ممّا أعطى نموذجًا عمليًّا محمديًّا أصيلا لأصول الحكم الإسلاميّ في ذروة توجهاته الربانيّة و قراراته المحمديّة في العدل الاجتماعي فضح به خطّ الانحراف والمنحرفين، وكشف تيّار الفساد والمفسدين، فقلب المفاهيم الخاطئة وتصدّى للأطروحات الدخيلة واستبدلها بموازين أصيلة عادت بالإسلام صافيا زلالا إلى ينابيعه الأولى وبالمسلمين إلى محجّة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله. لمّا استوجب الأمر قام، سلام الله تعالى عليه، محاربًا الناكثين والقاسطين والمارقين بنفس البصيرة وبعين الشجاعة والصلابة التي حارب بها بين يديْ رسول الله صلى الله عليه وآله في بدر وأحد والأحزاب وخيبر وذات السلاسل وحنين وجميع مشاهد رسول الله صلى الله عليه وآله قاذفا بنفسه في لهواة الحرب لا يبغي بذلك إلا وجه الله.
- صُلح الإمام الحسن عليه السلام المشروط الذي أصلح به حال الأمة، وقطع به دابر الفتنة، وأنهى به تخاذل أصحابه، وحقن به دماء الأبرياء، و أمّن به الناس من الغوائل وقطع به الطريق على جبهة الانحراف والفساد والنَيْل منه ومن أتباعه المخلصين. صدق فيه قول رسول الله صلى الله عليه وآله « إنّ ابني هذا سيّد و لعلّ الله أن يُصلح به

بين فئتين من المسلمين عظيمتين

- نهضة الإمام الحسين عليه السلام و ملحمته الخالدة التي ضحّى فيها بالنفس والنفيس من أجل التصدّي للانحراف. تيقّن، سلام الله تعالى عليه، من تردّي أوضاع أمّة جدّه في تلك الفترة الزمنيّة العصيبة وإنهيار جميع المقوّمات وإسياء الأحوال. درس أوضاع زمانه فرأى أنّ طريق الواجب الربانيّ يدعوه للقيام، تجرّد لله، وفي سبيله، وتنازل عن كل شيء في سبيل واجبه الربانيّ الذي حمله على كتفه الشريف، وضحّى من أجله بالنفس والنفيس، وقاتل من أجله لينال في نهاية المطاف الشهادة ولتبقى دماءه الزكيّة منارة تُقيّض فعل المنحرفين وتسفّه أحلام الفاسدين وتنير درب الصالحين.
- علاج الإمام علي زين العابدين، عليه السلام ، انحرافات الأمّة وتردّي أوضاعها بالدعاء حيث نجح، سلام الله تعالى عليه، بما أوتيَ من نفس زكيّة، وقلب نقيّ، وبلاغة فريدة، وذهنيّة ربانيّة، وقدرة تعبيريّة فائقة تتفتق عن أغرز المعاني وأدقها في تصوير صلة الإنسان بربّه وفقره لخالقه وسيْره نحوه..... نجح، بما أودع الله فيه من تلك المواهب، في أن ينشر في المجتمع الإسلاميّ، من خلال الدعاء والماجاة والتركيز على مسألة حقوق الإنسان، جوّا روحيًّا سليمًا نقيًّا ساهم في التصدّي لصدمة الانحراف بإرجاع المسلم إلى فطرته السليمة النقيّة عندما تحيط به المغريات، وبشدّه إلى ربّه عندما تلتبس عليه المسائل. ممّا زاد في استقطابه للمسلمين بجميع توجهاتهم، وتعلقهم العاطفي به وقبولهم لعليماته الإصلاحيّة، سيْره وسلوكه العملي حيث كان، سلام الله تعالى عليه، مثلا أعلى في الورع والزهد والتقوى والعبادة والإستقامة.
-

المرحلة الثانية: « بناء الجماعة الرائدة »

يمكن اعتبار أنّ بداية هذه المرحلة كانت مع فترة إمامة الإمام محمد الباقر عليه السلام واستمرت مع إبنه الإمام جعفر الصادق عليه السلام الذي توّجها بإكمال بناء صرح مدرسة عتيدة أشعّت – ولا تزال تشعّ – على أجيال وأجيال، وتربّى فيها فطاحل علماء الأمّة.

بعد أن نجح الأئمّة الأربعة عليهم السلام في التقليل من صدمة الانحراف ووقفوا سدًا منيعًا إمام

إفساد المفسدين وشرعوا في تحصين الثغور الروحيّة والثقافيّة والفكريّة والسلوكيّة للأمّة، وإستكمالا لإمتداد « مدرسة الدعاء » والدعوة للإلتزام بحقوق الإنسان التي فجرها الإمام علي زين العابدين عليه السلام فُتِح المجال أمام مهمّة جليلة أخرى تتمثل في بناء الجماعة الصالحة الرائدة من مجموع أبناء وبنات الأمّة التي وقع تحصينها بالحدّ الأدنى من التحصين. كان ذلك عبر اختيار ثلة صالحة من أبناء الأمّة لتقع رعايتها أدق رعاية، وتحصينها أعلى درجات التحصين، وتوعيتها أرقى رتب التوعية، وتكوينها أفضل التكوين حتى تكون منارة تأخذ على عاتقها حِفظ الدين بجميع أبعاده والحفاظ على أصالة نهجه، والتصدّي لجميع أنواع الانحرافات والضلالات داخليّة كانت أو خارجيّة، فكريّة أو عقائديّة، نظريّة أو عمليّة. اضطلع بهذه المهمّة الربانيّة العظيمة الإمام محمد الباقر ومن بعده الإمام جعفر الصادق عليهما السلام. لا يعني ذلك أنّ المهمّة الأولى المتمثلة في « تفادي صدمة الانحراف » انقطعت، بل استمرت وواصلت تحقيق مكاسبها؛ لكن بما أنّه وقع التقليل من خطر الانحراف والسيطرة على مفاصله حتّمت الظروف والمنهج السليم أن يتصدّى قادة أهل البيت عليهم السلام إلى المهمّة الجديدة. نلمس الأثر الإيجابي لهذا البناء في الصرح العلمي الكبير الذي نجح الإمامان الجليلان في غرس جذوره وفي المدرسة العظيمة التي أسّساها حيث أقامت أركان الدين – ولا تزال تقيمه – نوّرت عقول المؤمنين – ولا تزال تنيره – ثبّتت الإيمان – ولا تزال تثبته – قوّمت الاعوجاج – ولا تزال تقوّمه – دحضت الشبهات – ولا تزال تدحضها.

فجّر الإمامان عليهما السلام ثورة علميّة ودفعا نحو خلق حركيّة كبيرة حيث يذكر التاريخ أنّ في فترة الإمام جعفر الصادق عليه السلام (أواخر عهد بني أميّة وبداية عهد بني العباس) ظهرت حركيّة علميّة كبيرة قلّ نظيرها في التاريخ البشري، وحالة انفتاح على صعيد الفكر والعقيدة. واجهت المدرسة التي أسّسها أئمّة أهل البيت عليهم السلام بصلابة وإقتدار جميع التيّارات المنحرفة وكان لها موقف تجاه كل منها حيث لم تترك ثغرة يمكن الفكر الضال، أو العقيدة المنحرفة، النفاذ منها ليهدّد أسس الإسلام الأصيل. كانت أقوى وأفضل وأجود المدارس؛ تخرّج منها علماء وأعلام وعظماء في شتى فروع المعارف والعلوم.

كانت تلك المدرسة قِبلة لجميع المسلمين على تعدّد مذاهبهم وتنوّع مشاربهم واختلاف رؤاهم. بل إنّ جميع أئمّة المدرسة السنيّة تتلمذوا على يد الإمام جعفر الصادق عليه السلام إمّا بواسطة أو بدون واسطة. يذكر لنا التاريخ مثلا كلمات أبي حنيفة النعمان: « لولا السنتان لهلك النعمان » وكذلك قول مالك بن أنس: « والله ما رأت عيني أفضل من جعفر بن محمد [عليه لسلام] زهدًا وفضلا وعبادة وورعًا، وكنت أقصده فيكرمني ويُقبِل عليّ » ( ). عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام يقول الشيخ المفيد (٣٣٦–٤١٣ هجري الموافق لسنة ٩٤٧ – ١٠٢٢ ميلادي)، رضوان الله تعالى عليه، في كتابه « الإرشاد »: « وانتشر ذكره في البلدان، ولم ينقل عن أحد من أهل بيته العلماء ما نُقِل عنه، ولا نقل أحد منهم من أهل الآثار ونقلة الأخبار، ولا نقلوا عنهم كما نقلوا عن أبي عبد الله، عليه السلام ، فإنّ أصحاب الحديث قد جمعوا أسماء الرواة عنه من الثقات، على اختلافهم في الآراء والمقالات، فكانوا أربعة آلاف رجل » (وعن الحسن بن علي الوشاء، رحمة الله تعالى عليه، أنّه قال: « أدركت في هذا المسجد تسعمائة شيخ كل يقول حدثني جعفر بن محمد

المرحلة الثالثة: « ردود فعل خلفاء الجور»

لو بحثنا عن فترة زمنيّة تقريبيّة لهذه المرحلة لإخترنا بداية إمامة الإمام موسى الكاظم عليه السلام إلى غيبة الإمام الحجّة، عجّل الله فرجه.

أصبح للجماعة التي وُضِعت بذرتها في المرحلة الأولى وكانت نشأتها ونموّها وعنفوانها في المرحلة الثانية شأن عظيم، وسيط واسع، ومستوًى مرموقًا حيث غزت العالم مقدّمة حلولا للمعضلات في شتى المجالات العلميّة والمعرفيّة؛ كما حملت علوم، وأفكار، وأطروحات، ورؤى أهل البيت عليهم السلام إلى سائر الأقطار وفي كل البلاد، فأصبحت أرضيّة صلبة للإسلام الأصيل في مواجهة جميع الأفكار الانحرافيّة والتيّارات الإلحاديّة والبدع المُضلّة التي كانت تسعى إلى تقويض صرح الإسلام. جلبت كوكبة العلماء والعرفاء والصالحين بإنجازاتها إنتباه سلاطين الجور وأزلامهم فأوجسوا منها خيفة وريبة، وبدا لهم أنّ أئمّة أهل البيت عليهم السلام أصبحوا قادرين على سحب البساط من تحتهم وتسلّم زمام السلطة الفعليّة والعودة بالمجتمع الإسلاميّ إلى حظيرة الإسلام الأصيل. نعم، أحسّ سلاطين الجور بالخطر

من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، مع أنّهم (الأئمّة) لم يقوموا بأيّ خطوة لتشكيل نظام سياسيّ أو حركة مضادّة تهدّد السلطة القائمة، لكن سلاطين الجور أدركوا أنّ الأئمّة، وإن لم يقوموا بثورة ماديّة مسلّحة، إلا أنّهم فجّروا ثورة علميّة وعقائديّة ومفهوماتيّة ألقت بظلالها على جميع مجالات الحياة وتركت صدًى كبيرًا بين أوساط الجماهير جعلتهم يشعرون بالخطر الداهم. خلّف هذا الشعور ردود أفعال عنيفة جدًّا من طرف سلاطين الجور تجاه أئمّة أهل البيت عليهم السلام وكوكبة العلماء والعرفاء فدفعوا الثمن غاليا حيث:

- عرف الإمام موسى الكاظم عليه السلام ، في أخريات حياته، ظلمة السجون وبرد الزنازين والسراديب وجراح السلاسل الحديديّة الثقيلة ومضى، سلام الله تعالى عليه، إلى ربّه شهيدًا مسمومًا في سجن هارون العبّاسي على يد أقسى جلاوزته.
- عاش الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام ، أخريات حياته، منفيًّا في طوس، بعيدا عن مدينة جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، مخنوقًا ومُحاصَرًا بولاية عهدٍ زائفة كانت حيلة خبيثة، من حِيَل المأمون العبّاسي الذي دسّ له السمّ ليمضي، سلام الله تعالى عليه، إلى ربّه شهيدًا مسمومًا مثل والده عليه السلام . نفس المصير عرفه ابنه ووصيّه الإمام محمد الجواد عليه السلام .
- أمّا الإمامان العسكريّان، علي الهادي والحسن العسكري، عليهما السلام، فقد عاشا حالة الإقامة الجبريّة في سامرّاء معزولين عن الناس وتحت أنظار ورقابة عسكر وجواسيس سلاطين بنو العبّاس وعرفا مصير أجدادهما: سمًّا مدسوسًا ليفارقا هذه الدنيا شهيديْن مسمومَيْن، ليصدق قول الإمام الحسن المجتبى عليه السلام في أئمّة أهل البيت عليهم السلام حيث قال، وهو على فراش المرض: « ما منّا إلا مقتول أو مسموم

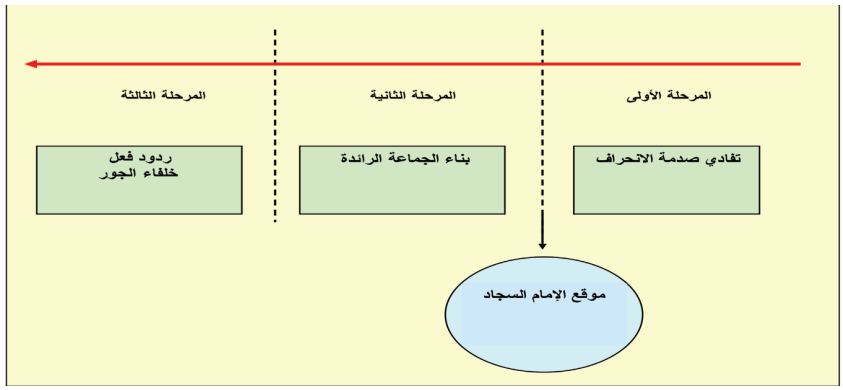

شكل (٢) موقع الامام السجاد بين الائمة

- زبدة القول أنّه إذا نظرنا إلى الأئمّة الأطهار عليهم السلام نظرة كليّة تتناول حياتهم الشريفة كوحدة مترابطة اتضح أنّ هدفهم واحد يتمثل في « حِفظ الدين » إلا أنّ وسائلهم لإدراك الهدف كانت متنوّعة استجابة لمتطلبات الظروف. يمكن تقسيم تاريخ الأئمّة الأطهار عليهم السلام، تقسيمًا تقريبيًّا لا يأخذ طابعًا حديًّا، إلى مراحل ثلاث. تمثلت المرحلة الأولى في تفادي صدمة الانحراف وامتصاص تداعياتها، أمّا المرحلة الثانية فتمثلت في بناء الجماعة الرائدة، من نخبة أبناء الأمّة، بينما اتّسمت المرحلة الثالثة بردود فعل عنيفة لسلاطين الجور على نجاحات المرحلتيْن. يأخذ الإمام علي زين العابدين عليه السلام موقعًا مهمًّا في سيرورة الأئمّة الأطهار عليهم السلام حيث غطّت فترة إمامته نهاية الفترة الأولى، فكانت خير متوّج لنجاح هذه الفترة، وفي نفس الوقت كانت أفضل ممهّد لبداية موفّقة وثابتة للمرحلة الثانية.

الهدف المشترك للأئمّة عليهم السلام

من مظاهر الألطاف الإلهيّة والرحمة الربانيّة أن جعل الحق سبحانه وتعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وآله أوصياء، أمناء، أكفاء، أُلقِيت على عاتقهم مهمّة ربانيّة جليلة تتمثل أساسًا في « حِفظ الدين ». يمرّ « حِفظ الدين » بمحطات مترابطة ومتكاملة أهمّها:

- صيانة التجربة الإسلاميّة والقضاء على الانحراف عن المبادئ والقِيَم الأصيلة (الذي من الممكن أن تتعرض له التجربة)، والرّجوع بتلك التجربة إلى وضعها الطبيعي ومنبعها الأصلي.
- تحصين الأمّة عقائديًّا وفكريًّا وسياسيًّا واجتماعيًّا وسلوكيًّا. من نتائج هذا التحصين إكتساب الأمّة مناعة ذاتيّة تحول دون إنهيارها الكامل وتفتّتها في حال تردَّي أوضاع التجربة مرّة أخرى.
- إيجاد جماعة مؤمنة، رساليّة وواعية، في الأمّة وبث فيها (قواعد) رسالة الإسلام الأصيل، ورعايتها، والإشراف عليها، وتنمية وعيها حتى تصبح جيشًا عقائديًّا وطبقة واعية تمثل صمّام أمانٍ من الإنهيار.

- مقاومة التيّارات الفكريّة التي تشكل خطرًا على أصالة الدّين وتهديدًا لسلامة العقيدة، وضربها من مهدها وبداية تكوينها.

هؤلاء الأوصياء، الأمناء، الأكفاء، الذين شرّفتهم الحكمة الإلهيّة بأن ألقت على عاتقهم مهمّة « حِفظ الدين » هم أئمّة أهل البيت عليهم السلام، الذين أوصى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بالتمسّك بهم من بعده حيث أُثِر عنه قوله في « حديث الثقلين »: « إنّي تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فاظروا كيف تخلفوني فيهما » هم، سلام الله تعالى عليهم، أمانٌ للأمّة، بل للبشريّة جميعًا، حيث يصدق فيهم قول رسول الله صلى الله عليه وآله: « النجوم أمانٌ لأهل السماء، وأهل بيتي أمانٌ لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض » مثلهم كمثل سفينة جارية « في اللجج الغامرة يأمن من ركبها ويغرق من تركها. المتقدّم لهم مارق والمتأخر عنهم زاهق واللازم لهم لاحق » يصدق فيهم حديث الرسول الأكرم، عليه وآله الصلاة والسلام، حيث يقول في شأنهم: « مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق » (لم يكن أئمّة أهل البيت عليهم السلام لينالوا شرف هذا التشريف الإلهيّ صُدفة أو لأنّهم من ذريّة رسول الله صلى الله عليه وآله، بل لأنّ العناية الربانيّة والحكمة الإلهيّة جعلتهم أئمّة بالجعْل الإلهيّ والإصطفاء الربانيّ حيث أنّ نورهم نورٌ واحدٌ وهو قبس وشعاع من نور الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله. نهلوا من عين المشكاة المحمديّة، أُفيضت عليهم عين المعارف الأحمديّة، اصطبغوا بذات الصبغة الإلهيّة وتخلقوا بنفس الشمائل النبويّة. نلاحظ في الخطاب القرآني الشريف ترابطًا بين الإمامة والجعْل الإلهيّ وكذلك بين الإمامة والهداية. كلما تطرق لمعنى الإمامة إلا وتعرّض معها للجعْل الإلهيّ وكذلك تعرّض معها للهداية؛ نقرأ مثلا قوله تعالى: « وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ» (السجدة : ٢٤) وكذلك:

« وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ وَكَانُواْ لَنَا عَٰبِدِينَ » (الأنبياء : ٧٣) من دلالات ذلك أنّ الإمامة سنّة إلهيّة وجوديّة، وقانون

تكوينيّ وجوديّ يمثل حقيقة وجوديّة تكوينيّة تأتي بعد حقيقة النبوّة. كما ينصّب الحق سبحانه وتعالى النبيّ فإنّه ينصّب كذلك الإمام بالجعل الإلهيّ إصطفاءً وإختيارًا منه لا دخل للخلق في ذلك. عاش أئمّة أهل البيت عليهم السلام في فترات زمنيّة مختلفة، عاصروا أحداثا متباينة وعاينوا وقائع متنوّعة. إستعمل كل منهم وسيلة تستجيب لمتطلبات زمانه وتجاري أحداث واقعه، ورسم كلٍّ منهم استراتيجيا وليدة واقعها وإبنة بيئتها، فكان هدفهم واحد ودورهم مشترك لكن وسائلهم متعدّدة واستراتيجيّاتهم متنوّعة. من التصوّرات الخاطئة والشائعة لدى سواد كبير من الناس هو حصر الإمامة في البُعد السياسي. الإمام، وفق هذا التصوّر الخاطئ، هو الحاكم السياسي، صاحب وظيفة سياسيّة اعتباريّة، لا يتجاوزها. تخلق هذه الرؤية القاصرة مشكلة منهجيّة في رؤيتنا وتصوّرنا للإمامة وترمي بظلالها على كل الأبعاد العقائديّة والفكريّة والسلوكيّة. حصْر الإمامة في البُعد السياسي الاعتباري يمثل إساءة فهْم وتقدير للإمامة، لأنّ لهذه الأخيرة أبعاد – أو مستويات – ثلاثة:

- بُعد سياسيّ، وهو أدنى الأبعاد.
- بُعد تشريعيّ.
- بُعد تكوينيّ وجوديّ، وهو أرقى الأبعاد.

الإمام هو:

- الحاكم السياسي متى أُتِيح له القيام بدوره ووظيفته الاعتباريّة في سياسة أمور الرعيّة.
- المرجع الديني الذي يُرجع إليه في الأحكام الشرعيّة وفي كل ما يتعلق بالجانب الديني عبادة ومعاملة.
- جزء من نظام التكوين والوجود، متى غاب إنهار معمار الوجود.

نعم، الإمامة في أرقى أبعادها سنّة وجوديّة وجزء من نظام التكوين والوجود، هي بذلك قانون ربانيّ لا يتخلف وحقيقة لا تخمد ولا تنطفئ أبدا. لذلك نقرأ في الروايات الشريفة ما معناه: « لولا الحجة لساخت الأرض »..... من معاني ذلك أنّه لو غاب الإمام، الذي هو حجّة الله على خلقه، لساخت الأرض بمن فيها من كائنات، أي لغابت كما يغيب المطر

في باطن الأرض. أمّا لماذا ذلك، فلأنّ الله عز وجل جعل الإمام محور الوجود في الولاية والتصريف، فإذا غاب يتعطّل كل شيء وينتهي. كما أنّ الله مثلا جعل الشمس سببًا للحياة على الأرض بحيث لو غابت لاندثرت الأرض ولإنعدمت الحياة عليها بسبب البرودة والظلام ولأفلتت من جاذبيّة الشمس وتاهت في الفضاء..... كذلك جعل وجود الإمام سببًا في وجود الوجود ومحورًا له في الولاية والتصرّف. من هذا المنظار يمكننا فهْم غيض من فيض الكلمة النورانيّة المحمديّة في شأن الحسن والحسين عليهما السلام حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وآله: « الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا من المعاني النورانيّة لهذا الحديث النبويّ الشريف أنّ الحسن والحسين عليهما السلام إمامان بالأبعاد – أو المستويات – الثلاثة إن تركهما القوم يقومان بالوظيفة السياسيّة للإمامة أو أقصوهما عنها لأنّ ذلك المستوى أدنى مستويات الإمامة. لم يكن هدف الأئمّة عليهم السلام مقتصرًا على تحقيق مكسبًا سياسيًّا يتمثل في إسقاط الحكام الطغاة وتسلّم زمام الأمور منهم بل كان هدفهم المشترك أوسع وأنبل من ذلك، إذ يتمثل أساسًا في حماية الإسلام والحفاظ على مصالح الأمّة من الانحراف عن النهج الربانيّ. لا يقتصر تحقيق هذا الهدف على تجييش الجيوش القتاليّة، والإعداد للثورات، وتغذية الإنقلابات، وتهيئة الحملات العسكريّة بل يتطلب استراتيجيا أوسع وأعمق من ذلك بكثير. استراتيجيا تقوم أساسًا على إعداد جيش عقائديّ رساليّ من خيرة أبناء الأمّة، متشبّع بالمبادئ الإسلاميّة الأصيلة، مؤمن برسالة الإسلام العظيم ومتمثل أهدافه الكبيرة. جيش ينشئونه من خُلّص الموالين لهم، يرعَوْنه عليهم السلام، يُشرفون عليه، ينمّون وعْيه، يوَسّعون قدراته ويبثّون فيه رسالة الإسلام الأصيل ليكون سدًّا منيعًا أمام انحراف الحكام وتجاوزاتهم، وأخطار التيارات الفكريّة الناشئة على أصالة الدين، وغزو الأطروحات الدخيلة الواردة من الحضارات الوافدة على المسلمين، فتتحصّن بذلك الأمّة وتكتسب مناعة ذاتيّة تحول دون إنزلاقها عن مبادئها الأصيلة وتنكبها عن قِيَمها. يقود إقتصار النظرة على بُعدها السياسي فقط إلى خطأ جسيم في تقييم دور الأئمّة عليهم السلام لأنّ تلك النظرة تحصر الإمام في صورة إنسان مظلوم، أُعتُدِيَ على حقه، أُقصِيَ عن مركز القيادة ولاقى جميع أنواع الإضطهاد، ونتيجة لذلك

الإقصاء فإنّ دوره سلبيّ على الأغلب. مثله كمثل من غُصِب منزله فانحصرت جهوده في استرجاع ذلك المنزل. يعقّب الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر، قدّس الله سرّه، في كتابه « أهل البيت – تنوّع أدوار ووحدة هدف » عن هذا التقييم الخاطئ والجائر فيقول: « وهذا التفكير بالرغم من أنّه خاطئ، فإنّه يعتبر خطأ من الناحية العمليّة وأنّه يحبّب إلى الإنسان السلبيّة والانكماش والابتعاد عن مشاكل الأمّة ومجالات قيادتها » ( )؛ ثم يضيف في موضع آخر: « إنّ الأئمّة عليهم السلام بالرغم من إقصائهم عن مجال الحكم، كانوا يتحمّلون باستمرار مسؤوليتهم والحفاظ على الرسالة وعلى التجربة الإسلاميّة وتحصينها ضد التردّي إلى الهاوية، هاوية الانحراف والانزلاق عن مبادئها وقِيَمها. فكلما كان الانحراف يقوى ويشتدّ، وينذر بخطر التردّي إلى الهاوية، كان الأئمّة عليهم السلام يتخذون التدابير اللازمة ضد ذلك، وكلما وقع في التجربة الإسلاميّة والعقيدة من المحنة والمشكلة، وعجزت الزعامات المنحرفة من علاجها بحكم عدم كفاءتها، بادر الأئمّة عليهم السلام إلى تقويم الحل، ووقاية الأمّة من الأخطار التي كانت تهددها. بكلمة مختصرة، كان الأئمّة عليهم السلام يحافظون على المقياس العقائدي والرسالي في المجتمع الإسلامي، ويحافظون على أن لا يحبط إلى درجة تشكل خطرًا ماحقًا، وهذا يقدر ممارستهم جميعًا دورًا إيجابيًّا فعّالا في حماية العقيدة، وتبني مصالح الرسالة والأمّة زبدة القول أنّ الله سبحانه وتعالى نصّب أئمّة أهل البيت عليهم السلام بالجعْل الإلهيّ وشرّفهم بوظائف ربانيّة عديدة منها وظيفة « حِفظ الدين ». « حِفظ الدين » وظيفة ربانيّة وهدف مشترك سعى إلى تحقيقه جميع أئمّة أهل البيت عليهم السلام؛ إلا أنّهم عاشوا في فترات زمنيّة مختلفة، وعاصروا أحداثا متباينة، وعاينوا وقائع متنوعة، استعمل كل إمام منهم وسيلة تستجيب لمتطلبات زمانه وتجاري أحداث واقعه، واستنبط استراتيجيا وليدة واقعها. عن وحدة هدف الأئمّة عليهم السلام وتنوّع وسائلهم وتكامل أدوارهم يعقّب الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر، قدّس الله سرّه فيقول: « وفي عقيدتي، أنّ وجود دور مشترك مارسه الأئمّة جميعًا، ليس مجرد افتراض نبحث عن مبرراته التاريخيّة، وإنما هو ممّا تفرضه العقيدة نفسها وفكرة الإمامة بالذات، لأنّ الإمامة واحدة في الجميع بمسؤولياتها وشروطها، فيجب أن تنعكس إنعكاسًا واحدًا في شروط

الأئمّة عليهم السلام وأدوارهم مهما اختلفت أدوارها الطارئة بسبب الظروف والملابسات، ويجب أن يشكل الأئمّة بمجموعهم وحدة مترابطة الأجزاء، ليواصل كل جزء من تلك الوحدة الدور للجزء الآخر ويكمله. ما هي الاستراتيجيا السجاديّة للتغيير والإصلاح وإنجاح المرحلة الأولى والتمهيد للمرحلة الثانية؟..... ذلك ما سيكون – إن شاء الله سبحانه وتعالى – مدار كلام الفصل التالي.

الاستراتيجيا السجاديّة للتغيير والإصلاح

سؤال يُطرَح

اتضح في الفصل السابق أنّ النظرة الى حياة الأئمّة الأطهار عليهم السلام نظرة كليّة كوحدة مترابطة تكشف أنّ هدفهم واحد يتمثل في « حِفظ الدين »، وأنّ الاستراتيجيات والوسائل لإدراك هذا الهدف تتنوع استجابة لمتطلبات الظروف وتبّدل الأحوال. رأينا كذلك أنه يمكن تقسيم السيرورة التاريخيّة للأئمّة الأطهار، تقسيمًا تقريبيًّا لا يأخذ طابعا حديًّا، إلى مراحل ثلاث؛ وأنّ موقع الإمام السجّاد عليه السلام في سيرورة الأئمّة الأطهار عليهم السلام مهمّ جدّا حيث تموضعت فترة إمامته في آخر المرحلة الأولى (مرحلة تفادي الصدمة الانحراف وامتصاص تداعياتها) فتوّجتها بنجاح وكانت خير ممهّد لبداية المرحلة الثانية (مرحلة بناء الجماعة الرائدة).

حتى إذا اشترك أئمّة في إنتمائهم الى نفس المرحلة فإنّ ذلك لا يعني ضرورة أنّهم يسلكون نفس الاستراتيجيا، ويستخدمون عين الوسائل؛ فحكم أمير المؤمنين عليه السلام لا يماثل صُلح الإمام الحسن المجتبى عليه السلام ، وحكم الأمير وصُلح الإمام الحسن لا يشابهان ثورة الإمام الحسين عليهم السلام؛ ووسائلهم الثلاثة لا تماثل استراتيجيا الإمام علي زين العابدين. في ذلك تجلٍّ لعبقريّة وذكاء كلٍّ منهم، ودلالة على أنّ حركات وسكنات كل إمام مُحاطة باللطف الربانيّ، مدعومة بالحِفظ الإلهيّ ومُكللة بالتسديد الرحمانيّ. سؤال مهّم يطرح نفسه: ما هي الاستراتيجيا السجاديّة للتغير والإصلاح، إنجاحًا للمرحلة الأولى وتمهيدًا للمرحلة الثانية؟ تتطلب الإجابة العلميّة والموضوعيّة عن هذا السؤال اللإلمام بواقع الأمّة زمن الإمام علي زين العابدين عليه السلام ، والدارية بالأساليب السجاديّة المُبتكرة.

واقع الأمّة عصر الإمام السجّاد عليه السلام

شاءت الاقدار الإلهيّة أن يولد الإمام زين العابدين عليه السلام في فترة مدِّ الخطّ الأمويّ وعنفوانه أمام جزر الخطّ الإسلاميّ الأصيل وتراجعه. عاصر الإمام عليه السلام ستة (٦) من حكام الجور الأمويّ الذين سعوا جهدهم للانحراف بالإسلام عن نهجه الأصيل وصراطه القويم. ما إن مكّن الله لبني أميّة حتى طغوا في البلاد وأكثروا فيها الفساد. لقد أسّسوا نظامًا أو تيوقراطيًّا قلدوا فيه استبداديّة الإمبراطوريّة البيزنطيّة بمجونها وترفها وثرائها. نظام السلطة المطلقة هذا أحدث قطيعة مع مجتمع المدينة بما بقي فيه من فضائل روحيّة ومناقب أخلاقيّة، فصدق فيها قول الحق سبحانه وتعالى: « فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا » (مريم ٥٩) تطوّرت الحياة، بأبعادها المختلفة، في ظل الحكم الأمويّ بشكل رهيب لم يألفه المسلمون من قبل، مما خلّف واقعًا مهزوزا، منحرفا عن الحضيرة الإسلاميّة، وبعيدا عن قِيَمها الأصيلة. واقع اتسم بمظاهر خطيرة نستعرض أهمّها بصيغة إجماليّة تتماشى ومحدوديّة هذه الأوراق.

حياة اللهو والمجون

من الشواهد التاريخيّة أن يزيد بن معاوية أخذ « أهل المدينة المنوّرة بشدة، وبوحشية قلّ نظيرها في تاريخ الإنسانيّة، وكانت حركته تهدف إلى إبادة الأنصار وإفنائهم، والإخضاد من شوكة المدينة، والقضاء على الطبقة الدينية المحترمة حتى يخلصوا من سيطرتها. ذلك أنّ المدينة المنوّرة كانت تضمّ نخبة كبيرة من الصّحابة ذوي القدر العالي، والمكانة الدينيّة المحترمة كالبدريين، بحيث كانوا مراجع للجماهير ومحل استشارة من كل الشرائح وطبقات المجتمع.» وأغلب الظنّ أنّ هذه الفكرة الشيطانيّة لم تكن وليدة تفكير يزيد، بل جالت في خاطر والده معاوية من قبل، إلا أنّ هذا الأخير لم يجد الظرف مناسبًا ولا المحيط مشجّعًا لتجسيده « هذا ما يفسّر السياسة القذرة التي اتبعها الأمويّون تجاه أهل مكة المكرّمة والمدينة المنوّرة؛ أقصد سياسة تشجيع المجون وتسويق الزندقة إلى حدّ الإباحيّة.

فقد استأجروا طوائف من الشعراء والمغنين والمخنثين (والتاريخ العربي الإسلامي حافل بالأسماء)، وشجّعوا حياة الترف وتشييد القصور بما تحتويه من الجواري والغلمان. كل ذلك من أجل أن يمسحوا عاصمتي الدين (مكة المكرّمة و المدينة المنورّة) بمسحة تنزع قداستهما، وتزيل مهابتهما من قلوب الناس، وتضعف من تأثيرهما في وجدان العامّة؛ فتفقدا الزعامة الروحيّة والدينيّة، ويكون مركزهما ثانويا في محيط الحركة الإسلاميّة.» « وقد كان لسياستهم وقعًا سيئا وخطيًرا في نفوس الناس، ففتر الايمان، وانحلت الأخلاق، وانحطّ السلوك » وظهرت مدارس الغناء في كل من مكة و المدينة والشام، وقد استبيح الشراب وعوقرت الخمرة سرًّا وجهارًا « حتى صار الفرد لا يساير حركة عصره، ولا يألف سوى حياة الترف والمجون، يقول الأصمعي :» دخلت المدينة فما وجدت فيها إلا المخنثين، ورجلا يضع الأخبار و الطرف

العصبيّة القبليّة

عند الغوص في خصائص عصر الإمام زين العابدين عليه السلام ، تستوقف الباحث ظاهرة بارزة تستحق الوقوف عندها ووضعها تحت مجهر البحث، تلك الظاهرة هي ظاهرة العصبيّة القبليّة، وبروز التكتلات العشائريّة والتحالفات العُرفِيّة كردّة فعل على ما أثاره الحكم الأمويّ من دسائس وفتن تنحرف بالأمّة عن النهج الإسلامي الأصيل. ساءت أحوال البلاد زمن الحكم الأمويّ؛ من مظاهر إنحطاطه نشأة عصبيات ذات العدد بين قدريّة وجبريّة، بين خوارج وشيعة، بين يمنيّة وقيسيّة، بين عرب الشمال وعرب الجنوب، في الشام وفلسطين، في العراق وخراسان..... بل في كل شبر من أرجاء الامّة.... صوّر محمد بن علي بن عبد الله بن العباس هذا الوضع المتردّي حين عزم على تقويض أركان دولة بين أميّة بقوله: « أمّا الكوفة وسوادها فهناك شيعة علي بن أبي طالب، وأمّا البصرة فعثمانيّة تدين بالكف وتقول: كن عبد الله المقتول و لاتكن عبد الله القاتل، وأمّا الجزيرة فحروريّة مارقة وأعراب أعلاج ومسلمون في أخلاق نصارى، وأمّا أهل الشام فلا يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاغية بني أميّة، وأمّا أهل الكوفة والمدينة فقد غلب عليهما أبو بكر

وعمر، لكن عليكم بحراسان، فإنّ هناك العدد الكثير والجلد الظاهر وصدوراً سليمة وقلوباً فارغة لم تتقسمها الأهواء ولم تتوزعها النحل ولم تشغلها ديانة ولم يزالوا يذلون ويمتهنون ويظلمون ويكظمون ويتمنون الفرج .... » تشبعت هذه العصبيّة القبليّة وتناثرت في جميع أرجاء الأمّة، كما لم تستثني قبيلة، بل عمدت إلى القبيلة نفسها وجزأت مجزئها. عن هذا الفسيفساء العصبي القبيل يخبرنا عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين فيقول: « لم تكن مقصورة على أهل مكة والمدينة، ولكنها تجاوزتهم إلى العرب كافة، فتعصّبت العدنانيّة على اليمنيّة، وتعصّبت مضر على بقيّة عدنان، وتعصّبت ربيعة على مضر، وانقسمت مضر على نفسها، فكانت فيها العصبيّة القيسيّة، والتميميّة والقرشيّة وانقسمت ربيعة فكانت فيها عصبيّة تغلب وعصبيّة بكر، وقل مثل ذلك في اليمن فقد كانت للأزد عصبيتها، ولحمير عصبيتها، ولقضاعة عصبيتها كان هذا الإنشقاق العصبي سياسة أمويّة ممنهجة هدفها ضرب القبائل بعضها ببعض، وتمزيق وحدة كبيان الأمّة، وإعادة المناخ الجاهلي في كل أبعاده، حتى تشتغل القبائل عن الحكم بالمشاكل الداخليّة والخلافات القبليّة. سعت السلطة الحاكمة إلى تغذية هذه العصبيات، بل دعت إليها جهارًا، وممّا زاد في تأجيج النعرات القبليّة اتباع السلطة سياسة « فرق تسد » يقول الاستاذأحمد أمين :» الحق أنّ الحكم الأمويّ لم يكن حكماً إسلامياً يُسوّى فيه بين الناس، ويكافأ فيه من أحسن عربياً كان أو مولى، ويُعاقب فيه من أجرم عربياً كان أو مولى، ولم يكن الحكام فيه خدَمة للرعية على السواء. إنما كان الحكم حكماً عربياً، والحكام فيه خدَمة للعرب على حساب غيرهم. كانت فيه النزعة الجاهليّة لا النزعة الإسلاميّة، فكان الحق والباطل يختلفان باختلاف من صدر عنه العمل «

تتابع الثورات الدمويّة

لست ممّن يؤرّخ لبني أميّة أو ممّن يعدّد تجاوزات حكمهم وجرائم سلطتهم وغرطسة نظامهم، بل في تصفح تاريخ الأمّة الإسلاميّة في ذلك العصر مئات الإعتداءات على المقدّسات والتجاوزات الإجراميّة سجّل التاريخ بحبر من الدماء واقعة الطف وما جرى

يوم العاشر من محرم سنة واحد وستين (٦١) للهجرة على أهل بيت النبوّة عليهم السلام من إسراف في سفك دمائكم والتنكيل بهم وسبيهم..... كانت كربلاء كرب وبلاء، ومحنة وأشجان وإبتلاء. كانت محنة لآل بيت الرسول صلى الله عليه وآله خاصّة، ووصمة عار على جبين المسلمين؛ بل ونكبة للإسلام نفسه، أنتُهكت فيها الشريعة، وخُولفت فيها الأعراف، وأعتُدِي فيها على أحق المحرّمات بالرعاية وأثمن المقدّسات بالصيانة. أقصد بذلك أهل بيت الرسول عليهم السلام الّذين يأمر الله عزّ وجلّ بمودّتهم بقوله: « قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٞ » (الشورى٢٣).

بعد التصفية الجسديّة لأهل البيت عليهم السلام جاء دور الصالحين من التابعين وأبناء الصّحابة فكانت واقعة الحرّة التي استشهد فيها جمع غفير من الصّحابة و التابعين، ودخل جيش يزيد بن معاوية مدينة رسول الله وحرمه الآمن، و بقي بعد المعركة ثلاثة أيّام وثلاث ليالي، فسفلوا دماء الأبرياء، وانتهكوا الأعراض، وانتهبوا الخيرات، وداسوا على المحارم وعلى مشاعر الناس معها، واستباحوا المحرّمات. ثم كان دور مكة المكرّمة، أقدس مكان عند المسلمين، حيث لم تسلم من تطاول وبطش بني أميّة، فضُرِبت الكعبة الشريفة بالمنجنيق في مناسبتين وأُحرِقت أستارها لم يترك بنو أميّة مقدّسًا إلا تطاولوا عليه، ولا نسلًا صالحًا إلا اجتثوه، ولا إجرامًا شنيعًا إلا اقترفوه، في تحدٍّ صارخ للإسلام وللمسلمين. ألهبت تلك التجاوزات الإجراميّة المناخ السياسي، وعفّنت المناخ الاجتماعي، وزعزعت أمن المسلمين، فتتابعت الثورات الدمويّة يغذي بعضها بعضا، وتواترت الأحداث المروّعة يحترق آخرها بجمر سابقها تعدّدت الثورات وتنوّعت مطالبها، واختلف المؤرّخون في تحديد منطلقاتها وحصر أهدافها وتقييم أدائها نسعى في الأسطر التالية إلى تسليط الضوء على أهمّ تلك الثورات، بصيغة إجماليّة مقتضبة وفي شكل نقاط:

- صنف من الثورات ناصبت العداء للأمويين رغبة في السلطان ولهثا وراء السلطة، دون أن تحمل مبادئ تستحق التضحية من أجلها. خطورة هذا الصنف من الثوراة تكمن في تجلببها بجلباب الدين آنيًّا، وتظاهرها بالتقوى ظرفيًّا وخدمة لأغراضها، لكن سرعان ما انكشف أمرها وبان زيف دعاويها خير ممثل لهذا السنخ من الثورات عبد الله بن الزبير (١ – ٧٣ هجري الموافق لسنة ٦٢٣ – ٦٩٢ ميلادي) في

حركته الانفصاليّة حيث استغلّ ردود فعل المسلمين ضدّ الحكم الأمويّ مباشرة بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، فسيطر على مكة ومعظم الحجاز والبصرة والكوفة. استمرّ حكمه الانفصالي على المناطق التي وقعت تحت نفوذه من سنة ٦١ إلى سنة ٧٣ للهجرة

- صنف آخر من الثورات كان هدفها التخلص من جوْر واستبداد الأمويين مثلته ثورة المدينة المنوّرة بقيادة عبد الله بن حنطلة غسيل الملائكة (٤ – ٦٣ هجري الموافق لسنة ٦٢٦ – ٦٨٣ ميلادي)، وانخرط فيها بقيّة المهاجرين والأنصار وجمْع من صالحي أبنائهم. لعبت العقيلة زينب ابنة الإمام علي بن أبي طالب، عليها السلام، بعد عودتها مع قافلة السبايا دورًا كبيرًا في تفجير هذه الثورة بما ألقته من خطب وكلمات ألهبت الوجدان وهيّجت العواطف وأنارت العقول حيث صوّرت المحن التي جرت على أهل البيت عليهم السلام وبيّنت أهداف النهضة الحسينيّ، وشرحت الأبعاد الخطيرة للمخطط الأمويّ. حصلت نقلة نوعيّة في فكر وسلوك أبناء المدينة وأصرّوا على خلع زيد بن معاوية والانفصال عن الأمويين. ممّا زاد الطين بلّة استدعاء يزيد بن معاوية زعيم الحركة قبل إعلانها فأسبغ عليه العطايا في محاولة لاستمالته، لكنه لم ينخدع بذلك بل كانت نفسه أبية لم تقبل الرشاوي فتأكد من فسوق ومجون يزيد وبطانته. عند عودته من الشام قال قولته المعروفة: « والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نُرمَى بالحجارة من السماء. إنّه رجل ينكح الأمّهات والبنات، ويشرب الخمر، ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت الله فيه بلاءً حسنا.
- قامت الثورة بمبادئها المشروعة فخلعوا يزيد بن معاوية وطردوا واليه على المدينة وانفصلوا عن الشام لكن؛ غطرسة النظام وبطشه لم تمهلهم فسرعان ما وجّه إليها يزيد جيشا جرارًا قوامه اثني عشر الفا (١٢٠٠٠) من أهل الشام. تقدّم الجيش إلى المدينة المنوّرة ودارت بينه وبين أحرارها معركة الحرّة سنة ٦٣ ،وهي منطقة تقع شرق المدينة، استشهد فيها جمْع غفير من الصحابة والتابعين. أخذ يزيد أهل المدينة المنوّرة بشدّة وبوحشيّة قلّ نظيرها في تاريخ الإنسانيّة، وكانت حركته تهدف الى إبادة

الأنصار وافنائهم، والإخضاد من شوكة المدينة، والقضاء على الطبقة الدينيّة المحترمة حتى يخلص منها. قُتل من أهل المدينة ألف (١٠٠٠) رجل معظمهم من بقية المهاجرين والأنصار؛ وعدّ مالك بن أنس قتل يوم الحرّة سبعمائة (٧٠٠) رجل من حملة القرآن الكريم

- صنف آخر من الثورات قام من أجل الثأر لمقتل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه بكربلاء. أقصد بذلك التوابين (بقيادة سلمان بن صرد الخزاعي (٢٨ قبل الهجرة – ٦٥ هجري الموافق لسنة ٥٩٤ – ٦٨٥ ميلادي)، رحمة الله تعالى عليه، وثلة من الموالين لأهل البيت عليهم السلام. ما إن أُخمِدت معركة الحرّة حتى تفجّرت ثورة التوابين بالكوفة سنة خمس وستين (٦٥) للهجرة على نيّة القصاص من المسؤولين عن قتل الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه، يحرّك الثوار شعور بالندم والتخاذل عن نصرته، ويدفعهم إصرار على التوبة من تلك الخطيئة الكبرى، وأنّ تلك التوبة لن تكون إلا بقتل من قتله أو القتل فيه. استغرق تحضيرهم للثورة أربع سنوات (من سنة ٦١ إلى سنة ٦٥ للهجرة). كانت هذه الثورة قد بلغت من النضج والوعي الاستراتيجي قدرًا مهمًّا إذ لم تقصد القتلة المباشرين بل طلبت رأس النظام في الشام إذ اعتبرته المسؤول الأوّل عن رزيّة كربلاء. تحرّك سليمان بن صرد، رحمة الله تعالى عليه، مع جنده قاصدين الشام؛ وفي الثاني والعشرين (٢٢) من جمادي الأولى سنة خمسة وستين (٦٥) للهجرة دارت بينهم وبين جنود الشام معركة كبيرة في منطقة تسمى بـ عين الوردة » . أبلى التوابون بلاءً حسنًا، رفرف النصر على رؤوسهم أول الأمر غير أنّ يزيد وقادة حربه سرعان ما أمدّوا جيش الشام بإثني عشر ألف (١٢,٠٠٠) بقيادة الحصين بن نمير، ثم بثمانية آلاف (٨ ٠٠٠) بقيادة شرحبيل بن ذي الكلاع قضوا جيش التوابين، وبذلك أخمدوا لهيب ثورتهم.
- كانت ثورة التوابين تمهيدًا لثورة أخرى كبيرة هي ثورة المختار الثقفي (١ - ٦٧ هجري الموافق لـ ٦٢٢ – ٦٨٦ ميلادي) رضوان الله تعالى عليه، التي انطلقت في الكوفة وأطرافها ثم انتشرت في المقاطعات الشرقيّة من العراق. كان هدف الثورة كما يدلل

عليه شعراها « يالثارات الحسين » الذي كان وحده كفيلا ليجمع حول المختار الموالين لأهل البيت عليهم السلام.

طلبًا لدم سيد الشهداء، المقتول ظلمًا بأرض كربلاء، قتل المختار وجماعته جمعًا من قتلته ممّن كان بالكوفة وغيرها على رأسهم (عمر بن سعد، عبيد الله بن زياد، حرملة بن كاهل وشمر بن ذي جوشن) أرضى المختار، رضوان الله تعالى عليه، مشاعره ومشاعر محبّي أهل البيت عليهم السلام في أخذ الثأر، لكنه لم يكتف بذلك بل اتجه إلى بناء دولة علويّة في العراق انتشرت في المقاطعات الشرقية، فكانت معاركه على جبهتين : جبهة الأمويين وجبهة آل الزبيّر. دامت أيام إمارته سنة واحدة من الرابع عشر (١٤) من ربيع الأول سنة ستّ وستين (٦٦) حتى الرابع عشر (١٤) من ربيع الأول سنة سبع وسنتين (٦٧) للهجرة، عاشت الكوفة خلالها أحداثا عظيمة أطاحت بالرؤوس الكبيرة لتي تولت قتل الإمام الحسين عليه السلام وأبناءه وأصحابه. استشهد المختار القفي، رضوان الله تعالى عليه، سنة سبع وستون (٦٧) للهجرة على يد جيش مصعب بين الزبيّر الذي أباد جيش المختار إبادة شاملة بلغ عدد ضحاياها سبعة آلاف (٧ ٠٠٠) مسلم موحّد (لئن أطيح بجميع تلك الثورات بصورة دمويّة مرعبة إلا أن ثورات عديدة أخرى بعدها لم تهدأ وانتفاضات لم يسكن حراكها. شملت معارضة النظام جميع المذاهب وكل المشارب دون استثناء، بل تجاوزتهم إلى ولاّة الامويين وقادة جيوشهم نتيجة تمادي السلطة في سياسة البطش والظلم والإرهاب الدموي. كانت الثورات تتابع وتتوالى دون انقطاع حتى الإطاحة بالحكم الأمويّ سنة ١٣٢ للهجرة الموافق لسنة ٧٥٠ ميلادي.

الإستبداد وإنتهاك الحريّات

كان شأن الأمويّين أن حكموا رعيّتهم بالسيف المسلول والمال المبذول؛ فكان سيفهم مسلطا على كل من عارض مصالحهم وشكل خطرًا على استقرار سلطتهم؛ ومالهم مدفوعًا متدفقا في أيدي أنصارهم أو كل من أراوا كسب ودّه أو إلجام فمه، بالغوا في استبدادهم وجوْرهم ، فلم تكن لهم قوانين تسير عليها الدولة بل كان حكمها مزاجيًّا يخضع لرغبات

ملوكهم، وأهواء وزرائهم ونزوات ولاتهم. أسرفوا في القتل والتشريد، وأمعنوا في النفي والتغريب، وبالغوا في السجن وانتهاك الحريات العامّة. خير ما يصوّر استبداد السلطة الامويّة، وقبضتها الحديديّة على الرعيّة، وانتهاكها جميع الحريّات العامة زمن الإمام علي زين العابدين عليه السلام ، نصّ للدكتور محمد حسين علي الصغير، في كتابه ‹‹ الإمام زين العابدين عليه السلام القائد ... الداعية ... الإنسان ›› حيث يقول: « قُتل صبرًا من قُتل، واستشهد غدرًا من استشهد، وسُيّر في الآفاق رأسُ من سُيّر، وفجع بأبنائه و أحبائه من فجع، حتى استؤصل حجر بن عدي وأصحابه بمرج عذراء في الشام، وأُعدِم بالمثلة الشنيعة عمرو بن الحمق الخزاعي، وقُتِل شرّ قتلة ›› الحضرميان ›› لأنّهما على دين علي عليه السلام ، ودين علي هو دين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ودين رسول الله هو دين الله تعالى؛ وحُرِم الناس العطاء من أتباع أهل البيت، وأناخ الفقر بجرانة على أعتاب عمالقة الفكر الإسلامي، وصانعي تأريخه العتيد، وتملك الخوف والذعر شباب المسلمين ونسائهم، ونشر الرعب ألويته الشوهاء في حواضر العالم العربي، وأُعلِن سبّ أمير المؤمنين جهارًا، وحُمل الناس عليه قسرًا واستنفارًا، حتى ضاقت الأرض بما رحبت على المؤمنين، وصبّ البلاء صبًا على الصامدين، وتمتع الطلقاء وأبناء الطلقاء بالحياة الفارهة الرخية، وتنعّم المقربون من الركب الطاغوتي بأشتات النعم، وعاد المال السائل من الذهب، والجامد من الضياع والممتلكات طعمة لأولاء وهؤلاء، فبنيت الدور والقصور، واتخذت العقارات الضخمة، وامتلكت الجواري والمولدات والقيان، وإذا بتلك الطغمة بحواشيها المكثفة، وأتباعها الكثيرين المنتشرين في طول البلاد وعرضها تمثل ظاهرة من ظواهر الترف الاجتماعي، وإذا بالمسلمين بعامة يمثلون ظاهرة مقابلة من ظواهر الحيف والبؤس الاجتماعي وكان جزاء من أنكر ذلك القتل الفوري، وعقاب من أراد التغيير؛ الأحكام العرفيّة الرهيبة في الاحراق والاعدام والتمثيل، كان كل ذلك يجترح باسم الإسلام، بل يُفرَض باسم الولاية العامة على الناس، حتى سئم الناس الحياة، وطفح الكأس بما فيه » (

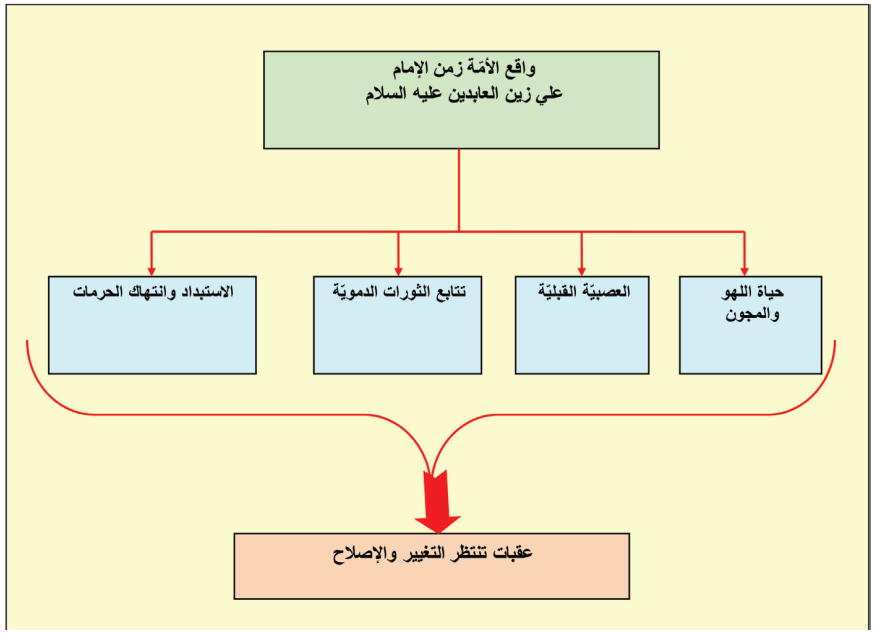

الاستراتيجيا السجاديّة للتغيير والإصلاح

عصبيّة قَبليّة. إنحارف عن قِيَم الإسلام وميْل إلى حياة اللهو والمجون برمجت له السطة الحاكمة وسعت إلى تكريسه واقعًا في المجتمع..... ثورات دمويّة متتابعة زعزعت الأمن والإستقرار. سلطة مستبدة جائرة طبقت أحكامًا عُرفيّة رهيبة سفكت بها الدماء، وانتهكت بها الاعراض ، وكمّمت الأفواه، واغتصبت حقوق الرعيّة..... هذه قطرة من بحر الأخطار الداخليّة التي كانت تهدّد الأمّة عصر تحمّل اللإمام علي زين العبادين عليه السلام أعباء الإمامة. أمّا الأخطار الخارجيّة فلا تقلّ خطورة عن الداخليّة، يمكن تقسيمها إلى قسمين: قسم مثله تهديد الإمبراطوريّة الرومانيّة وقد استفحل عهد خلافة عبد الملك بن مروان. قسم ثانٍ كان نتيجة دخول كثير من الحضارات والثقافات والأعراق إلى الحضيرة الإسلاميّة وتمثل في أطروحات فلسفيّة، ورؤى فكريّة، وأفكار إلحاديّة، ومعتقدات وثنيّة، ولدت العديد من الأسئلة وشكلت تحديًّا واضحًا لعلماء المسلمين. أمّا إذا انكفأنا إلى دائرة أضيق، وهي الدائرة الذاتيّة للإمام علي زين العابدين عليه السلام ، فسوف نلتقي بالإمام، سلام

الله تعالى عليه، وقد خرج من فاجعة رهيبة ورزيّة مروّعة كان شاهد عيان على تفاصيلها الدمويّة المؤلمة، من مصرع الشيخ الذي ناهز التسعين، إلى ذبح الرضيع، مرورًا بقتل الكهول والشباب. كان شاهدًا على حزّ الرؤوس، ونهب الخيام؛ كما كان مرافقا لركب أسري ووسايا أهل البيت عليهم السلام، مكبّلا بالحديد، مثقلا بالآلام، معنّفا بسيّء القول، مضروبًا بالسّياط في رحلة العار والشنار من كربلاء إلى الكوفة، ومن الكوفة إلى الشام؛ ثم استقرّ به الحال في مدينة جدة رسول الله صلى الله عليه وآله تحت غقامة جبريّة ، ورقابة شديدة، ترصده العيون، وتضيّق على أنفاسه الحراسة، ويشلّ حركته الاستبداد. لمس عليه السلام هذا الركام الهائل من الأخطار والكمّ الكبير من العقبات، وتلك الأجواء المُعتّمة، واشتداد المحنة عليه وعلى كل الاحرار في زمنه، فرأى ببصيرة نافذة أنّ العمل على التصدّي لتلك الأخطار بحركة ثوريّة مسلحة، شبيهة بحركة أبيه الإمام الحسين عليه السلام لا سبيل إليه، إذ قد يُكتب لها الفشل في مهدها لقلة الناصر وفقدان الوسائل الكفيلة للإنجاح. عمد عليه السلام إلى إبتكار استراتيجيا جديدة للإصلاح والتغيير تُجلّي نفاذ بصيرته، وحِدّة ذكائه، وسلامة منهجه المُحطين بالتسديد الربانيّ والتأييد الرحمانيّ، واللطف الإلهيّ. استراتيجيا ذات أساليب أربع نُجلّي قبس منها بصيغة إجماليّة.

مدرسة الدّعاء: « الصّحيقة السجاديّة »

أحسّ الإمام علي زين العابدين، عليه السلام ، بالأخطار التي كانت تشكلّ تهديدًا وجوديًّا للإسلام والتي كانت قادرة على أن تعصف به إلى مقبرة النسيان، فابتكر أسلوبًا جديًدا لعلاج تلك الأخطار يتمثل في الدعاء. استطاع، سلام الله تعالى عليه، بما وهبه الله عزّ وجلّ من سريرة نقيّة، وذهنيّة ربانية وقادة، وبلاغة فريدة، وقدرة تعبيريّة فائقة أن ينشر من خلال الدعاء جوًّا روحيًّا في جميع شرائح المجتمع يساهم في إيقاظ ضمائر المسلمين، وإزالة حجب الغفلة عن أبصارهم وبصائرهم وإرجاعهم إلى الصراط المستقيم الذي انحرفوا عنه. امتدّ الدعاء ليمسح مساحة زمنيّة كبيرة من الحياة الشريفة للإمام، عليه السلام ، أسّس من خلاله لبناء صرح مدرسة عظيمة، هي مدرسة الدعاء، ختم عليها

ببصماته السجاديّة التي لن تزال أبدًا. وظّف الدعاء لإصلاح النفوس، لأنّه في تزكية النفوس وإصلاحها صلاح وإصلاح للمجتمع؛ كما وظّفه أيضا لعلاج المشاكل الاجتماعيّة والتربويّة والاقتصاديّة والعسكريّة ولحلّ المعضلات المعرفيّة والفكريّة والثقافيّة. كانت أدعيته عليه السلام ذات وجهين يتسقان مع روح الحركة الإصلاحيّة التي قادها في تلك الظروف العصيبة: وجه عِباديٌّ تعبديٌّ وآخر اجتماعيٌّ معاملاتيٌّ. نجح عليه السلام في أن يُضفي على أدعيته مسحة روحانيّة إيمانيّة تعبديّة خاطب من خلالها الروح وقرع بها باب الوجدان ليوقض النفوس من نومة الغفلة ورقدة الجهالة، ويحثّها على مغادرة مواطن الجفاء والإبتعاد عن الحق سبحانه وتعالى إلى مواضع الأنس والقرب الإلهيّ؛ كما نجح أيضا في أن يضمّن أدعيته محتوى اجتماعيًّا متعدّد الجوانب ومتنوّع الزوايا وحاملا لمفاهيم خصبة مواكبة للواقع حتى تساهم في حلّ مشاكل الحياة. نلمسه، عليه السلام ، من خلال الدعاء تارة يأخذ بيد المؤمن ليعلّمه كيف يمجّد الله عز وجلّ ويقدّسه، وكيف يقرع باب التوبة ويحطّ في رحاب الرحمان، وكيف يناجي ربّه بكامل انقطاع؛ وتارة أخرى يأخذ بيد المؤمن ليسلك به درب التعامل الربانيّ السليم مع محيطه ومجتمعه فيعلّمه كيف يبرّ والديه، وكيف يَعطي حقوق الأولاد والأهل والجيران، وكيف يلتزم بفاضل الأعمال في سلوكه الإجتماعي، وكيف يواجه محن الحياة بثبات إيمانيّ ويقين ربانيّ. نجح عليه السلام في التأسيس لمدرسة الدعاء بأسلوب تربويّ، تعليميّ، نموذجيّ، بليغ لامس الإعجاز. إضافة إلى هذه الخصوصيّة الفريدة، جاءت الأدعية السجاديّة: شاملة لجميع الأوقات: صباحًا، مساءً وكامل أيام الأسبوع. جامعة لكل المحطات المهمّة في حياة المؤمن العباديّة: الحج، شهر رمضان، الصلاة، الأعياد وغيرها. مغطية لجميع الحالات التي تعترض السالك أثناء سيره وسلوكه نحو الحق سبحانه وتعالى (توبة، خوف، جاء ، رغبة، شكر....). صاهره ومازجة بين المتناقضات: غلظة ورقة، يأس وأمل، محنة ومنحة وهكذا... وردت الأدعية السجاديّة بألفاظ فصيحة، ومعانٍ غزيرةٍ، ودلالات بليغة، ومضامين عالية، وأساليب جديدة مبتكرة، فكانت دُررًا ثمينة وجواهر نفسية برهنت على أنّ هذه الثمرة السجاديّة من تلك الشجرة النبويّة، وهذا الدرّ العابديّ من ذلك البحر العلويّ، وهذا الجوهر

الدعائيّ من ذلك المعدن الفاطميّ. مثلت الأدعية السجاديّة ثروة معرفيّة وعلميّة وعرفانيّة للأمّة الاسلاميّة، جُمعت بما يُسمّى بـ « الصحيفة السجايّة ». لجلالة قدرها ونفاسة متنها وشرف محتواها وُصِفت بنعوت عديدة منها: « أخت القرآن، و» زبور ال محمد » و» إنجيل أهل البيت «

توظيف مأساة كربلاء

كانت فاجعة الطفّ كفيلة بأن تثير شجون الإمام علي زين العابدين عليه السلام وتهيّج آلامه، وتستقطب همومه، وتستدرّ دموعه، فقد بكى على أبيه أكثر من ثلاثين عاما، ولمّا قيل له: « أما آن لحزنك أن ينقضي؟ أجاب: » إنّ يعقوب النبيّ كان له اثنا عشر ابنا، فغيّب الله واحدًا منهم، فابيضت عيناه من كثرة بكائه عليه، وإحدودب ظهره من الغمّ، وكان ابنه حيّا في الدنيا، وأنا نظرت إلى أبي وأخي وعمّي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني» سعى الإمام علي زين العابدين عليه السلام ليثبّت في وجدان وعقول المسلمين أنّ فاجعة الطفّ عِبرة وعَبرة، فعمل على بثّ ألم وحرقة الفجيعة في نفوس المسلمين ليستثمر تلك المشاعر ويخوض بها معركة مصيريّة كبيرة جاعلا من أصحاب الحرقة واللوعة جنودًا في جبهة الخير والصلاح مقابل جبهة الخير الشرّ والفساد المتمثلة في جهاز السلطة ومن دار في فلكه. وظّف إذن فاجعة الطفّ، وفلسفة الملحمة الحسينيّة، لخدمة مشروعه الإصلاحي الذي يتلاقى في جوهره وأهدافه مع مشروع وأهداف صاحب الفجيعة، أبوه الإمام الحسين عليه السلام في نصّ يجسّد توظيف الإمام علي زين العابدين عليه السلام لفجيعة كربلاء يقول الدكتور « محمد حسين علي الصغير» في كتابه » الإمام زين العابدين عليه السلام : القائد ... الداعية .... الانسان...» : « كان الإمام حريصاً الحرص كله على نشر مفاهيم ثورة الحسين، وتعبئة الوعي الجماهيري بحصيلة الأفكار التي أتاحتها الثورة منهجاً تغييرياً موفقاً، يحتبس المؤشرات النكراء بمؤشرات نضالية تكشف عن المغطى من جرائر الحكم الأموي، وتستثير الهمم والعزائم لعزل ذلك الواقع المفروض بواقع جديد يمثل روح الإسلام. كان الإمام فيما يبدو منطلقاً

من زاوية محدّدة اتخذت فلسفة إلقاء الأضواء الكاشفة على الواقع المتجهم للأمّة في خطبه المؤثرة، وسهامه النافذة، ودعواته المتبلورة، فلم يخلد الإمام للراحة، ولم تكن ثورة الطفّ نهاية لمتاعبه القياديّة، بل سلك نهجها بطريقته الفذة الجديدة: الإنكار حيث يُجدي الإنكار، والدعاء حيث يُؤثر الدعاء، والخطب حيث تنجح الخطب، كل ذلك حقق للإمام استثماراً سياسياً حافلاً بالمكاسب الرسالية، ومناخاً صالحًا لاستقطاب الجماعات الصامدة ثم يضيف: «لقد أيقظ الإمام الأمّة من سباتها، وحرّرها من جمودها، فتوالى على الحكم الأمويّ سيلٌ من الاستنكار المنظّم، يتخذ سبيل الاحتجاج كما فعل عبد الله بن عفيف الأزدي في مجابهة عبيد الله بن زياد في مسجد الكوفة رداً ومقاومة وتعرية، وقد يتذرع ذلك الاحتجاج بالكفاح المسلح كما فعل عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة في المدينة، وهو يتابع ولاة الأمويين بالقتل والطرد والتشريد، وقد يلتجىء إلى الثورة الدامية كما صنع التوابون وهم يتجهون إلى الشام للانقضاض على الحكم المسؤول عن قتل الحسين، وقد يعمد إلى التنظيم الثوري والتحرك الجماهيري لتسلم الحكم كما صنع المختار بن أبي عبيد الثقفي وهو يتعقب القتلة الفعليين للحسين، ويحصيهم فرداً فرداً، وينزل بهم القصاص العادل في عقر دارهم بالكوفة وما يليها» ليستخلص: «لم تكن هذه الحركات الهائلة وما تبعها من الثورات، وما رافقها من الأحداث المؤثرة في سير التأريخ الإسلامي، لتأتي اعتباطا لو لم تكن الشعلة متوقدة وهي تترسم خطى بطل كربلاء في الفتح والشهادة، ولم تكن لتتنامى لولا استمرار الإمداد العقائدي لها متمثلا في خطب زين العابدين في الكوفة ودمشق والمدينة، وهو يطوح بأحلام يزيد وانتصارات ابن زياد المدّعاة، في الوقت الذي يبالغ فيه بإثارة أهل يثرب ويؤلبهم على الرفض

(مدرسة حقوق الإنسان): » رسالة الحقوق «

يتخذ الإنسان موضعًا متميزًا في الرؤية الإسلاميّة تجاه الكوْن والحياة حيث أعطته هذه الرؤية قيمة محوريّة في الحياة: كرّمه الحق سبحانه وتعالى:

« وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا » (الإسراء : 70) اعتبره خليفته في أرضه:

« وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً » (البقرة : 30)

سخّر له ما في السماوات وما في الأرض:

وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (الجاثية : 13)

قلده وسام أشرف مخلوقاته، وأودع فيه قابليّات جبّارة تؤهّله تخطّي مقامه الوجودي للوصول إلى أعلى درجات الكمال فيحطّ الرحال

« فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ » (القمر : ٥٥)

رأى الإمام علي زين العابدين عليه السلام أنّ هذا الإنسان المُكرَّم، المُسخّر له كل ما خلق الله عز وجل ، والمُقلَّد وسام الأفضليّة أهانته سلطة الإستبداد وتعدّت على حقوقه حيث: قتلته، واستحلت دمه، وقطّعت رأسه ، وسملت عينه فأصبحت حياته جحيمًا مطبقًا، وأيّامه سوادًا مظلمًا، ولياليه خوفًا واختباءً، وبيته فقرًا ومخمصة. كل هذه الإعتداءات والإنتهاكات كانت تجري بمرأى ومسمع الإمام عليه السلام . كما ابتكر، سلام الله تعالى عليه، أسلوب الدعاء لعلاج الأخطار التي كانت تشكل تهديدًا وجوديًّا لكيان الأمّة الإسلاميّة، إبتكر كذلك أسلوبًا جديدًا بتأليفه لرسالة فريدة ضمّنها كافة الحقوق المترتبة على الإنسان المسلم نحو ذاته، ونحو أخيه المسلم الآخر، وكذلك نحو الإنسان الآخر الذي يمثل نظيره في الخلق. تُعرَف هذه الرسالة الفريدة برسالة الحقوق ‹› وتأسّس لمدرسة فريدة يمكن أن نطلق عليها ‹› مدرسة حقوق الإنسان››. شملت هذه الرسالة جميع حقوق الإنسان في ضوء تعليمات القرآن الكريم، ومن خلال معطيات روح الإسلام الحنيف.

انبنى معمار هذه الرسالة – المدرسة وفق دائرتين: دائرة عقائديّة وأخرى إجتماعيّة. عالج الإمام، سلام الله تعالى عليه، في الدائرة العقائديّة أساسًا مسألة التوحيد كأساس أول لبناء الشخصيّة الإسلاميّة المؤمنة. كان ذلك من خلال بيان حق الله عز وجل في أن يُوحَّد ويُعبَد، وإيضاح حقوق الفرائض مثل الصلاة والصوم والحج، وتبيان حقوق الجوارح مثل اللسان والسمع والبصر والرجلين وتحديد كيفيّة التحكّم بها حتى تُخضَع لسلطة الدين والعقل. أمّا الدائرة الاجتماعيّة فكانت أوسع الدائرتين؛ حدّد من خلالها الإمام، عليه السلام ، بدقة شديدة الأسس التي يجب أن تربط مختلف الشرائح الإجتماعيّة فكانت شاملة لروابط القربى والدين والعمل وغيرها، مُغطية لشبكة علاقات الناس بعضهم بعض، أفرادًا وأزواجًا، حكامًا ومحكومين، مِللا ونحلا، ودولا وأجناسا؛ يقول الأستاذ باقر شريف القريشي: « من المؤلفات المهمّة في دنيا الإسلام ‹ ‹رسالة الحقوق ›› للإمام الأعظم

زين العابدين عليه السلام ، فقد وضعت المناهج الحيّة لسلوك الإنسان، وتطوير حياته، وبناء حضارته على أسس تتوفر فيها جميع عوامل الاستقرار النفسي، ووقايته من الإصابة بأي لون من أولان القلق والاضطراب وغيرهما ممّا يوجب تعقيد الحياة. لقد نظر الإمام الحكيم بعمق وشمول للإنسان، ودرس جميع أبعاد حياته وعلاقاته مع خالقه، ونفسه وأسرته، ومجتمعه ، وحكومته، ومعلمه ، وغير ذلك، فوضع له هذه الحقوق والواجبات، وجعله مسؤولا عن رعايته وصيانتها ليتمّ بذلك إنشاء مجتمع إسلامي تسوده العدالة الإجتماعية والعلاقات الوثيقة بين أبنائه من الثقة والمحبة وغيرها من وسائل التطور والتقدم الإجتماعي. وفي ما أعتقد أنه لم يسبق نظير لمثل هذه الحقوق التي شرّعها الإمام العظيم، سواء في ذلك ما شرّعه العلماء في عالم الفكر السياسي أم الإجتماعي وغيرهما ممّا قننوه لحقوق الإنسان، وروابطه الإجتماعية، وأصوله الأخلاقية، وأسسه التربويّة

ما يلفت الإنتباه أنّ الإمام علي زين العابدين، عليه السلام ، تطرّق لجميع هذه الحقوق بروح إيمانيّة عالية، وشمائل أخلاقيّة فاضلة تجاوزت صرامة القانون إلى روح العفو والإيثار، وتعدّت دقة العدل إلى مسلك الفضل والإحسان. لم يسبق لهذه الحقوق التي شرّعها الإمام علي زين العابدين، عليه السلام ، نظير فيما شرّعه علماء الإجتماع أو التربية أو الفكر السياسي وغيرهم ممن رفعوا لواء حقوق الانسان ونادوا بها. جاءت « رسالة الحقوق » طرحًا يتزاوج فيه التعايش الروحي مع حقيقة الحياة في جميع زواياها وكل مرافقها؛ فكانت المنهج البديل عن جميع القوانين الوضعيّة التي جنح كل منها الى زوايا خاصّة تحقق مصلحة فئة معينة على حساب زوايا أخرى تهمل مصلحة فئات أخرى. مدرسة

مدرسة العبيد المحرّرين

لم تقف العبادة عند الإمام على زين العابدين عليه السلام عند المحراب والصيام والحج، بل كانت تأخذ أبعادًا أخرى. من تلك الأبعاد حرصة على الحرية للناس جميعًا. كان عليه السلام يلحّ في شراء العبيد ليعتقهم لوجه الله بعد أن يقضوا سنة في بيته. كان غالبًا ما يعتقهم ليلة العيد؛ يجمعهم ويذكّرهم بأخطاءهم وتجاوزاتهم خلال السنة ثم يرفع رأسه إلى السماء

ويقول: « اللهمّ اشهد عليّ أني قد عفوت عنهم وأعتقتهم لوجهك. اللهمّ اعف عنّي واعتفني لوجهك ». السؤال الذي يطرح نفسه: هل كان عليه السلام بهذا العمل يتوقّى عتق العبيد فقط أم شيء آخر مع العتق؟ إذا التفتنا إلى أصول معظم هؤلاء العبيد، ودققنا في حالهم، اتضح أنّ معظمهم كانوا عنائم حرب أخِذوا من مناطق بعيدة وحيل دون أرزاقهم عنوة. كان عليه السلام يُبقي عليهم سنة في بيته يهتمّ بتربيتهم على القِيَم الدينيّة الاصيلة، ويتولى تزكية نفوسهم وتعلميهم وتثقيفهم. بلغة أخرى كان يحوّلهم كوادر يحملون العقيدة السليمة، والفكر الصّحيح، والسلوك السليم. بعد أن يعتقهم كانوا يعودون الى مناطقهم أحرارًا، علماء، مبلغين ودعاة على الولاء للإمام ولخط مدرسة أهل البيت عليهم السلام. في مجاورة الامام عليه السلام سنة ما يكفي ليكتسب المرء قدرًا عظيمًا من المعارف، وجرعة كبيرة من الايمان، ومقامًا رفيعًا من السلوك ما يؤهله ليمارس دورًا مهمًّا في خدمة الدين والإنسان.

لقد غيّر الإمام زين العابدين عليه السلام بهذا التعامل الحكيم مع العبيد حياة الكثيرين منهم، وكسب محبتهم، وملك قلوبهم، واستحوذ على عقولهم ممّا جعلهم جنودًا أوفياء للإسلام الأصيل ولأتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام. وقفوا مع خطّها في الكثير من المواقف الصّعبة متصدّين للانحراف وناصرين للحق. في الواقع الامر، كان الإمام عليه السلام في تلك الظروف الصّعبة يؤسّس لمدرسة من نوع آخر مدرسة فريدة لم يعرف تاريخ البشريّة مثيلا لها، تمامًا كجميع ابتكارات الإمام عليه السلام مدرسة يمكن أن نُطلق عليها « مدرسة العبيد المحرّرين ».... مدرسة تعجز الحاكم عن إغلاق أبوابها بقرار جائر، أو تدخّل في برامجها وأساتذتها المشرقين عليها. كانت دواليب الأمور تسير في تلك المدرسة السجاديّة بطريقة سلسلة وبأهداف خافية عن استبداد النظام الذي كان يتصوّر أنّ الإمام عليه السلام اعتكف من هذه الحياة وانعزل واعتزل. من الشواهد على ذلك أنّ يزيد بن معاوية عندما جهّز الجيش لواقعه الحرّة أمر قائده مسلم بن عقبة أن يُغير على المدينة المنورّة ويستبيحها ثلاثة أيام بلياليها، شدّد عليه أن لا يصل الى بيت الإمام علي زين العابدين عليه السلام أبدًا، وأن لا يمسّه أو أحد أفراد أهل بيته بسوء أبدًا. نلخّص زبدة ما توصّلنا إليه من إيضاح فلسفة الاستراتيجيا السجاديّة في الإطار التالي:

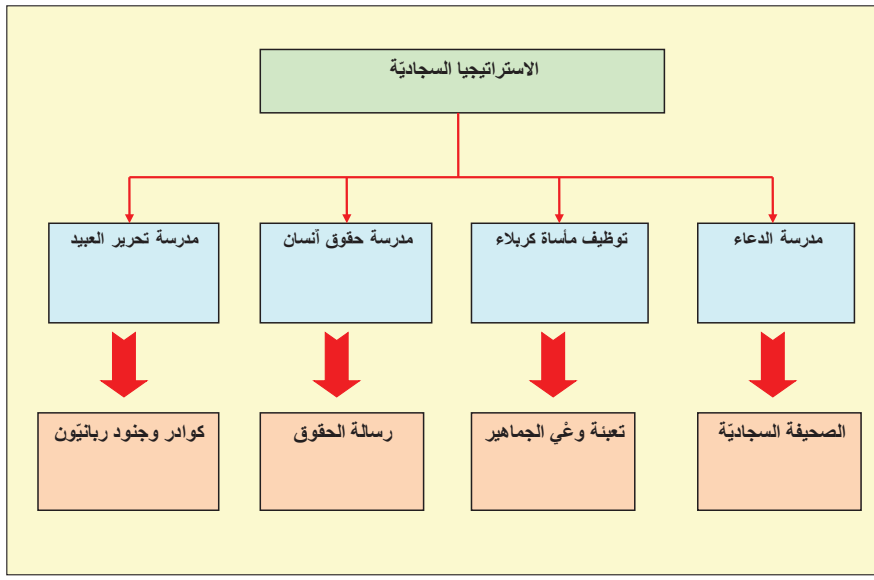

من ثمار الاستراتيجيا السجاديّة

أثمرت الاستراتيجيا السجاديّة خيرًا عظيمًا للأمّة الإسلاميّة خوصوصًا، وللبشريّة عمومًا، يمكن الإشارة إلى بعضٍ من هذا الثمار الطيّبة في النقاط التالية:

- نشر روحًا نقيّة في المجتمع من شأنها أن تُرجع المسلم إلى فطرته النقيّة وتشدّه إلى ربّه وتعيده إلى المحجّة البيضاء التي تركه عليها الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله.
- الوقوف سدًّا منيعًا أمام جميع أشكال الانحرافات التي كادت تعصف بكيان الأمّة إلى مقبرة النسيان.
- إرجاع الثقة النفسيّة للمؤمن، إخراجه من حالة الضياع والاحباط، إعادة تشكيل عقله وبث فيه روحٍ جديدة تساعده على النهوض من الكبوة واستئناف فاعليّته.
- بث الوعي في جميع شرائح المجتمع لالطريق أمام استبداد السلطة وإسقاط جميع مخططاتها الشيطانيّة للقضاء على أصالة الدين.
- فتح آفاق معرفيّة واسعة، لم يعرفها الناس من ذي قبل، وبناء قاعدة معرفيّة صلبة قادرة على التصدّي إلى العقائد الفاسدة، والأطروخات الملوّثة، الوافدة من خارج الإطار الإسلامي.

من غير الدقيق حصر الثمار السجادي فيما كُتِب و رُوِي عن الإمام علي زين العابدين عليه السلام بل يمتدّ الثمار السجادي ليتّسع كلّ عمل تربويّ صدر عنه، سلام الله تعالى عليه، وتجسّد في سلوك الناس ورؤاهم وأفكارهم واتجاهاتهم. تعلقت جميع شرائح المجتمع، على اختلاف مشاربها وتعدّد مذاهبها وتباين رؤاها، بالإمام علي زين العابدين عليه السلام لما لمسوا فيه من صدق التوجّه وعدم التعارض بين أقواله وأفعاله، وبين توجيهه النظري وسيْره وسلوكه العملي، فأصبح مثلهم الأعلى في الورع والزهد، والتقوى والاستقامة، والعلم والعبادة، ممّا سهّل استقطابه لجميع المسلمين وقبولهم لتوجيهاتهم الإصلاحيّة. تخرّج من المدرسة الرائدة للإمام السجاد عليه السلام رواة، فقهاء، حفاظ، مفسرون، متكلمون، قادة حرب في التخطيط والتنفيذ، وقادة فكر يعدّون الرعيل الأول، كان فيهم الصحابيّ والتابعيّ، والعربيّ والأعجميّ، الحرّ والمملوك، وسواهم.... كانت الاستراتيجيا السجاديّة النواة الصلبة والمنطلق لتأسيس المدرسة العتيدة لأهل البيت عليهم السلام، أحكم بنيانها وأتمّ بناءها – فيما بعد – الإمامان محمد الباقر وجعفر الصادق عليهما السلام، وانبعثت منها جميع المدارس الفقهيّة والفكريّة والعلميّة التي ستعرفها الأمّة الإسلاميّة لاحقا، ولكل ما أنتجت الحاوية الإسلاميّة عمومًا من رجال علم وتشريع وفقه وكلام وفكر وفلسفة وأدب..... ساهموا في بناء صرح الحضارة الإسلاميّة. نسلط الضوء، في الجدول التالي، على كوكبة من الأعلام الذين تخرّجوا مباشرة من مدرسة الإمام علي زين العابدين عليه السلام ، والذين سطعت أسماؤهم في تاريخ الأمّة الإسلاميّة، وإليهم يعود الفضل في دفع عجلة التقدّم المعرفي في ذلك العصر وفيما بعده من العصو

العـــالـــم	تاريخ مولده / وفاته	ملاحظـــات
أبَان بن تغلب بن رباحش	مولده أواسط القرن الأول للهجرة أمّا وفاته فكانت سنة ١٤١ هجري الموافق لسنة ٧٥٨ ميلادي	من كبار علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام تتلمذ عند الأئمّة الثلاثة: السجاد والباقر والصادق عليهم السلام. حفظ علومهم وتراثهم وكان مواعتزازهم والسادن الأمين لتزجهاتهم. كان مُقدَّما في جميع العلوم. كان يقول له الإمام الباقر عليه السلام: " اجلس في مسجد المدينة وافتِ الناس فإنّي أحبّ أن يُرى في شيعتي مثلك ". روى عن أئمّة أهل عليهم السلام ما يقارب ثلاثين ألف (٣٠ ٠٠٠) حديثا
ثابشت بن أبي صفيّة دينار الكوفي (أبو حمزة الثمالي)	مولده ٨٢ قبل الهجرة - ١٥٠ هجري الموافق لسنة ٧٦٧ ميلا د ي	من خَلص أصحاب الإمام السجاد عليه السلام. عاصر بعد السجاد، الباقر والصادق والكاظم عليهم جميعا السلام. عالم جليل، ورع وتقيّ. أجمع المؤرخون على وثاقته. تربّى بآداب أهل البيت عليهم السلام وبلّغ علومهم ومعارفهم حيث كان الموالون يرجعون إليه في الكوفة لإحاطته بعلوم أهل البيت عليهم السلام

العـــالـــم	تاريخ مولده / وفاته	ملاحظـــات
سعيد بن المسيّب المخزومي	١٥ – ٩٤ هجري	تابعي، مدني وجليل. كان يُلقّب بسيّد التابعين في زمانه صاحَبَ الإمام السجاد عليه السلام وكان من ثقاته وحواريّيه حتى قال فيه عليه السلام: " سعيد بن المسيّب أعلم الناس بما تقدّمه من الآثار، وأفهمهم في زمانه ".
سعيد بن جبير الأسدي	٤٦ – ٩٥ هجري الموافق لسنة ٦٦٥ – ٧١٤ ميلادي	من كبار التابعين في الكوفة ومن أخلص أصحاب الإمام السجاد عليه السلام. من أبرز علماء عصره في التفسير والفقه. استشهد على يد الحجاج بن يوسف الثقفي بسبب خروجه مع عبد الرحمان بن الأشعث في ثورته على الأمويّين.
رشيد بن عقبة الهجري	مولده في القرن الأول للهجرة أمّا وفاته فكانت سنة ١٤١ هجري الموافق لسنة ٧٥٨ ميلادي	صحابيّ جليل، من خواصّ أمير المؤمنين عليه السلام، ومن حملة أسراره. عاصر الأئمّة الحسن والحسين والسجاد عليهم السلام. استشهد على يد عبيد الله بن زياد بعد أن قطع يديه ورجليه ولسانه ليصدق فيه قول أمير المؤمنين عليه السلام وقول رسول الله صلى الله عليه وآله: " زيد ما زيد تسبقه يده إلى الجنة ثم يتبعها جسده وقد قطعت يده ".
إسماعيل بن عبد الخالق	تقول المصادر أنّه كان حيًّا حتى سنة ١٨٣ هجري	فقيه من كبار فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام. عدّه الطوسي في رجاله من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام. عاش إلى عهد الإمام الصادق عليه السلام

جدول (٢-ج) : من ثمار الاستراتيجيا السجاديّة

قراءة تحليليّة للصّحيفة السجاديّة

أهميّة الصّحيفة

« أخت القرآن الكريم »..... « انجيل أهل البيت عليهم السلام »..... « زبور آل محمد صلى الله عليه وآلة »..... تلك أهمّ الأوصاف التي وُصِفت بها « الصّحيفة السجاديّة » للإمام علي زين العابدين عليه السلام . تمثل الصّحيفة أثرًا من المأثورات الخالدة لأهل البيت عليهم السلام ؛ هي عبارة عن مجموعة من الأدعية المباركة تستمد مضامينها من كنوز المعارف الربانيّة، ودُرَر الاسرار المحمديّة، وجواهر الرّقائق الفاطميّة ونفائس الدقائق العلويّة؛ عالج من خلالها الإمام عليه السلام مواضيع عديدة تمتدّ من العقيدة والتصوّر والتوحيد الى المعاملات والعلاقات الإجتماعية مرورًا بحقوق الإنسان وتربيته وعلاقاته الأسريّة. تميّزت أدعية « الصّحيفة السجاديّة »، وعمومًا جميع الأدعية السجاديّة، بعمق في الدلالة، وغزارة في المعنى، ومتانة في التصوّر، ووضوح في العبارة، ودقة في التركيب، وأناقة في التقفية. لم تدع مجالا على الصعيد العقدي، والتصوّري، والفكري، والتربوي، والإجتماعي، والسياسي، والسلوكي.إلا تطرّقت إليه باشباع. خاطب الإمام علي زين العابدين، عليه السلام ، من خلال الأدعية الواردة في الصّحيفة الفطرة الإنسانيّة، وغاص في أعماق مكوّنات الإنسان الذاتيّة فكانت (الصّحيفة) فضلا عن قيمتها الأدبيّة والجماليّة، وإضافة الى مكانتها الروحانيّة والإيمانيّة أنجع علاج للانحرافات الكبيرة والانحطاطات الخطيرة التي عرفتها الأمّة في ذلك العصر، والتي تعرفها في كل عصر، يعلق الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر، قدس الله سره، فيقول: « وهكذا نعرف أنّ الصّحيفة السجاديّة تُعبّر عن عمل اجتماعي عظيم كانت ضرورة المرحلة تفرضه على الإمام إضافة الى كونها تراثًا ربانيًّا فريدًا يظل على مرّ الدّهور مصدر عطاء ومشعل هداية ومدرسة أخلاق وتهذيب وتظل الإنسانيّة بحاجة إلى هذا التراث المحمديّ العلويّ وتزداد حاجة كلما إزداد الشيطان إغراء والدنيا فتنة » للصّحيفة السجاديّة أهميّة معرفيّة راقية، وقيمة علميّة

نفسية، ومقام عقدي رفيع، وآثار إصلاحيّة عظيمة، ومكانة تربويّة كبيرة هي مجموعة من الألطاف الرحمانيّة، وجملة من المِنن الرحيميّة، وبريق من أنوار الإلهيّة أودعها الباري جلّ ثناؤه صدر الإمام علي زين العابدين عليه السلام ، وأجراها على لسانه الشريف ليُحِدث سبحانه وتعالى أمرًا كان مفعولا..... « الصّحيفة السجاديّة » كتاب ليس ككل الكتب كتاب متميّز عن غيره من الكتب كتاب مُحاطٌ بالألطاف الربانيّة والمِنن الإلهيّة كتاب أظهره الحق سبحانه وتعالى ليتحدّى استبداديّة السلطة الأمويّة، ومن وراءها جبروت كل سلطة جائرة عبر الزمان والمكان « كتاب الجهاد عند الوحدة كتاب التعبير عند الصّمت كتاب التعبئة عند النكسة كتاب الهتاف عند الوجوم كتاب التعليم بالشفاه المختومة كتاب التسلح عند نزع كل سلاح » من أقبل على « الصّحيفة السجاديّة » فهو في واقع الأمر لا يقرأ أدعية فقط بل يلج عالمًا لامتناهي البركات، متعدّدة الأبعاد، متكامل المجالات، متين البناء، عميق النظرة الكونيّة عالم منبعه زلال، عقيدته صافية، نظرته أصيلة وفكره نقيّ.

مكوّنات الصّحيفة

تتكون «الصحيفة السجادية» من :

مقدمة:

تبيّن قصّة الصّحيفة وسندها، كما تشتمل على فهرسة للأربعة والخمسين (٥٤) دعاءً التي تتضمنهم الصّحيفة.

جزء الأدعية:

عبارة عن أربع وخمسين (٥٤) دعاءً وقعت عنونتهم حسب مواضيعهم؛ مثل:» دعاؤه في طلب الحوائج الى الله تعالى»، «دعاؤه لأهل الثغور «، « دعاؤه في عيد الفطر »، « دعاؤه في التسبيح » وهكذا.

الملحقات:

عبارة عن بعض الأدعية، المنسوبة للإمام علي زين العابدين عليه السلام ، وقع إلحاقها بالصّحيفة ببعض النسخ لتشمل، مع الأدعية الأربع والخمسين (٥٤) ما يسمى بـ «

الصّحيفة السجاديّة الكاملة ». الأدعية المُلحقة عددها سبعة (٧) هي: « دعاؤه في التسبيح »، « دعاؤه وتمجيده له عليه السلام »، « دعاؤه في ذكر آل محمد صلى الله عليه وآله»، » دعاؤه في الصلاة على آدم عليه السلام »، « دعاؤه في الكرب والإقالة »، « دعاؤه ممّا يحذره ويخافه » و» دعاؤه في التذلل «.

أدعية الأيّام:

تشمل على سبعة (٧) أدعية بعدد أيّام الأسبوع. كل دعاء خاصّ بيوم خاصّ من أيّام الأسبوع يُقرأ في صبيحته.

المناجاة الخمسة عشر:

تشتمل على خمسة عشر (١٥) مناجاة معنويّة حسب مقام السالك في سيْره وسلوكه نحو الحق سبحانه وتعالى. تبدأ بـ « مناجاة التائبين » وتنتهي بـ « مناجاة الزاهدين » مرورًا بـ « مناجاة الشاكرين » ثم « الخائفين » ثم « الراجين » وغيرها من بقية المناجاة المعبّرة على المقام الموجودي بسالك في عروجه نحو الله عز وجل.

سند الصّحيفة

نقرأ في مقدّمة « الصّحيفة السجاديّة » أنّ بداية الحديث تبدأ مع السيد أبو الحسن محمد بن الحسين بن أحمد العلوي الحسيني، رحمه الله تعالى عليه، وأنّ شجرة أسانيدها (الصحيفة) - كما يظهر في آخر المقدّمة – تبدأ من الراوي المتوكل بن هارون حيث رواها عن الإمام علي زين العابدين، عليه السلام ، بطريقتين: أحدهما عن الإمام محمد الباقر عليه السلام (٥٧ – ١١٤ هجري الموافق لسنة ٦٧٧-٧٣٣ ميلادي) والآخر عن زيد الشهيد رضوان الله عليه (٧٦ – ١٢٢ هجري الموافق لسنة ٦٩٥ – ٧٤٠ ميلادي) ابنيْ الإمام علي زين العابدين عليه السلام ، موصول بسند متين وموثوق لا يدركه شك ولا يخالجه ريب. وِفق قواعد الفقه الحديثي في مدرسة أهل البيت عليهم السلام ،تُعتبَر « الصّحيفة السجاديّة » من أكثر المتون وثاقة حيث بلغت حدّ التواتر السندي. يقول « أغا بزرك الطهراني» في موسوعته » الذريعة إلى تصانيف الشيعة «: « هي الصّحيفة الأولى المنتهي سندها إلى الإمام زين العابدين علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام..... وللأصحاب اهتمام برواياتها ويخصّونها بالذكر في إجازاتهم؛ وعليها شروح كثيرة مرّت في محلها؛

وهي من المتواترات عند الأصحاب لإختصاصها بالإجازة والرواية في كل طبقة وعصر. ينتهي سند روايتها الى الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام وزيد الشهيد ابنيْ علي بن الحسين عن أبيهما « كما يقول المحدث محمد باقر المجلسي بعد أن يأتي على مجموعة كبيرة من المصادر المُعتبرة للصّحيفة: « والذي رأيت من أسانيد الصّحيفة بغير هذه الأسانيد فهي أكثر من أن تُحصى، ولاشك لنا في أنّها من سيّد السّاجدين؛ أمّا من جهة الأسناد فإنّها كالقرآن المجيد؛ وهي متواترة من طرق الزيديّة أيضا؛ وأمّا من حيث العبارة فهي أظهر من أن يُذكر، فهو كالقرآن المجيد في نهاية الفصاحة، وأمّا من جهة الإحاطة بالعلوم الإلهيّة فهو أيضا ظاهر لمن كان له أدنى معرفة بالعلوم.» إلى جانب الشيخ « آغا برزك الطهراني » والمحدّث المجلسي، رحمة الله تعالى عليهما، أكد أعلام كثيرون من مدرسة أهل البيت عليهم السلام على تواتر « الصّحيفة السجاديّة » نخصّ بالذكر: العلامة « محمد باقر بن محمد الحسيني الاسترآبادي »، المعروف بـ « الميرداماد » (٩٦٠ - ١٠٤١ هجري الموافق لسنة ١٥٦١-١٦٣١ ميلادي) المحدث « محمد تقي المجلسي (١٠٠٣- ١٠٧٠ هجري الموافق لسنة ١٥٩٥ - ١٦٦٠ ميلادي). الملا « محمد محسن بن مرتضى بن محمود الكشاني »، المعروف بلقب « الفيض الكاشاني » (١٠٠٧ - ١٠٩١ هجري الموافق لسنة ١٥٩٨ - ١٦٨٠ ميلادي).

المحدث « نعمة الله الجزائري » (١٠٥٠ - ١١١٢ هجري الموافق لسنة ١٦٤٠ - ١٧٠١ ميلادي).

ساهم علماء أعلام، رحمة الله تعالى عليهم جميعًا، في إيصال مداد أهل البيت عليهم السلام وعلومهم الشريفة، فقد وصلت إلينا « الصّحيفة السجاديّة » بعدّة نسخ مُعتبَرة تُعدّ من الأمّهات، منها نسخة العلاّمة محمد بن منصور بن أحمد بن إدريس، المعروف بـ « ابن إدريس العجلي الحلي » (٥٤٣ – ٥٩٨ هجري الموافق لسنة ١١٤٠ - ١٢٠٠ميلادي)؛ ونسخة العلامة الشيخ شمس الدين محمد بن جمال الدين مكي العاملي، المعروف بـ « الشهيد الأول » (٧٤٣ -٧٨٦ هجري الموافق لسنة ١٣٣٣ - ١٣٨٥ ميلادي) ونسخة العلامة زين الدين بن نور الدين العاملي، المعروف بـ « الشهيد الثاني » (٩١١ – ٩٦٥ هجري الموافق لسنة ١٥٠٥ -١٥٥٩ ميلادي).

مستدركات الصّحيفة

لم تكن الأدعية الواردة في « الصّحيفة السجاديّة » هي الأدعية الوحيدة المنسوبة إلى الإمام علي زين العابدين عليه السلام ، بل للإمام، سلام الله تعالى عليه، أدعية أخرى لم ترد في « الصّحيفة السجاديّة » جمعها علماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام في مصنفات أطلقوا عليها اسم « المستدركات ».

تعدّدت « المستدركات » بتعدّد أدعية الإمام عليه السلام حتى أحصى أعلام المدرسة عدّة مصنفات تحمل في بطونها نفائس الأدعية السجاديّة. نذكر منها: صحيفة من جمْع محمد بن حسن الحرّ العاملي (١٠٣٣ - ١١٠٤ هجري الموافق لسنة ١٦٢٤ - ١٦٩٣ ميلاد) صاحب « وسائل الشيعة ». صحيفة من جمْع الميرزا عبد الله بن عيسى الاصفهاني التبريزي أفندي (١٠٦٦ - ١١٣٠ هجري) صاحب كتاب « رياض العلماء وحياض الفضلاء » صحيفة من جمْع المحدّث الميرزا حسين النوري الطبرسي (١٢٤٥ - ١٣٢٠ هجري الموافق لسنة ١٨٢٩ - ١٩٠٢ ميلادي). صحيفة من جمْع السيد محسن الأمين الحسيني العاملي (١٢٨٤ - ١٣٧٠ هجري الموافق لسنة ١٨٦٧ - ١٩٥٢ ميلادي).

الدعاء منهج الصّحيفة

شاءت الأقدار الإلهيّة أن يفتح الإمام علي زين العابدين عليه السلام عينيه الشريفتين، ويشبّ، ويتسلم مقاليد الإمامة، ويستشهد في عصرٍ حافلٍ بطواغيت الأمّة وشياطين حكّامها، ابتداءً بمعاوية بن أبي سفيان وانتهاءً بالوليد بن عبد الملك الذي دسّ السّم للإمام عليه السلام فقضى شهيدًا مسمومًا على يديْه. عاصر، سلام الله تعالى عليه، من ولاة الجور وممثلي السلطة الأمويّة ما لم يدوّن التاريخ أمثالا لهم في البطش والاستبداد أمثال الحجّاج بن يوسف الثقيفي وعبيد الله بن زياد وغيرهما. شاهد عليه السلام الإقصاء والاجتثاث والتنكيل بشيعة جدّه أمير المؤمنين عليه السلام تشريدًا، وتقتيلا، وسجنًا، ونفيًا وقطعًا للأرزاق، وهدمًا للبيوت؛ عايش كذلك سعي السلطة الحاكمة للانحراف بالإسلام

عن نهجه الأصيل، وعاين حياة اللّهو والمجون والعبث والترف والملذّات المحرمّة؛ لاحظ ثورات دمويّة متتالية زعزعت نفسيّة المسلم وسلبته الطمأنينة والسكينة والأمن والاستقرار عاصر عليه السلام وعايش وعاين كل فصول ذلك الخطر الوجوديّ على الإسلام والمسلمين الذي خطّط له الحكم الأمويّ بأجهزته النافذة ممّا يطول بسط القول فيه، وكنّا قد تطرّقنا إلى بعضٍ منه في الفصول السابقة .لإنقاذ الإسلام الأصيل، والتصدّي للمخطّطات الإجراميّة الأمويّة، وعلاج الأوضاع الكارثيّة للأمّة، والعودة بالمسلمين إلى المحجّة البيضاء التي تركها عليهم الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله للقيام بذلك، نظر الإمام علي زين العابدين عليه السلام إلى الأمور ببصيرة العارف، ودرس الأوضاع بفراسة المُتصّل بالله جل ثناؤه، وغاص في أعماق المسألة بعقليّة المستوعب للسنن الإلهيّة فتكشف له أنّ ما أصاب الروح المسلمة من صدوع فأبعدتها عن الصراط المستقيم، وما تلبّس بالعقل المسلم من رضوض فصدّته عن المضي إلى غايته، وما تمكّن من النفسيّة المسلمة من كسور فسلبتها السكينة والطمأنينة، وما طرأ على سلوك المسلم من تقطيع فحال بينه وبين ما خُلِق من أجله كل ذلك لا يمكن معالجته بسطحيّة ولا بفهم تقليدي، كما لا يمكن مداواته بتهوّر ولا بانفعال، بل يقتضي المعالجة منهجيّة ربانيّة، وتتطلب المداوة أسلوبًا متأنٍّ وناضج منهجية وأسلوب ينبثقان من داخل الإنسان المسلم – والإنسان عمومًا – فيقارعان وجدانه، ويطهّران قلبه، ويزكيّان نفسه، وينفضان الغبار الذي طوّق بفطرته، ثم يعيدان تشكيل عقله، ويهذّبان غرائزه، وحسّنان ميولاته؛ حتى تنتهي الأمور في خارج الإنسان فتصيغه عنصرًا متفوّقًا - على ذاته وعلى المعوّقات – قادرًا على القيام بواجب الخلافة الربانيّة عبر إصلاح المجتمع وإعمار الأرض وفق الرؤية الالهيّة بذلك تستعيد الروح الخامدة توهّجها و إشراقها والنفس المنحرفة صفاءها ونقاءها، والعقل المهزوم ثقته وروح المبادرة، فيتحقق إصلاح الذات بعد انحراف، وصلاح المجتمع بعد فساد، وحضور تاريخيّ بعد غياب. إذا كان الدعاء « رابطة بين الإنسان وربّه، ووسيلة تقرّبه إلى الله، وسلاح المؤمن » (بل ليست حقيقته (الدعاء) سوى العبادة لتدبّر في قول الحق سبحانه وتعالى: « وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي

سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ » (غافر: ٦٠)

حيث عبّر الله جل ثناؤه عن الدعاء - في الآية المباركة – بالعبادة، واعتبر الإعراض عنه استكبارًا، وتوعّد تاركه بإدخاله جهنم داخرًا..... إذا كان ذلك كذلك فإنه (الدعاء) مع الإمام علي زين العابدين عليه السلام كل ذلك وأكثر من ذلك حيث جعل منه منطلقا لمعالجة القضايا الذاتيّة للإنسان واسترداد ما سُلب منها، إطارًا لمراجعة قضاياه الأسريّة وإصلاح ما وقع افساده، ركيزةً لمداواة مشاكله الاجتماعيّة وإنقاذ شبكة علاقاته من الانحدار، ومدخلا للتصدّي لاستبداديّة السلطة ورفض ظلمها وجورها..... كل ذلك من أجل حسن إعداد المسلم للقيام بدوره كخليفة لله على الأرض وفق المنهج الربانيّ القويم والسبيل الرحمانيّ السليم. في « مدرسة الدعاء » السجاديّة، يوجّه الإمام علي زين العابدين عليه السلام الدعاء نحو أهداف ربانيّة سامية، وغايات إلهيّة نبيلة أهمّها: إرجاع علاقة المؤمن بربّه إلى حالتها الطبيعيّة عبر» الحديث المنظم عن ذات الله القدسيّة، وآلائه، ونعمائه، وخلقه، وعلمه، وقدرته، بمعزل عن شوائب الأوهام العالقة في الاذهان، عاضدًا بذلك جمهرة التدبير الإلهي في شتى مجالاته، مستدلا على التوحيد الخالص في أرقى مراتبه، مستعرضًرزق الإنسان، وحياته، وتوفيقه، وتقدير الباري في إكرامه، ليصف الله في قدراته حق صفته، ويضيف لها الالتجاء إلى الله، والاعتصام به، والاعتداد به ليس غير.» الارتقاء بمدارك الانسان « إلى النموذج الأرقى في إطار تكويني متطوّر، يوحي بالانصياع التام لما هو محبوب عند الله: الصفاء، الاخاء، الحبّ المتبادل، الكلمة الطيّبة، التضحية الخالصة، اليقين الثابت، سكون النفس، رشد الفكر، اغتباط الضمير، تجنّب مزالق الشيطان، الابتعاد عن موارد الغضب، الاحتراس من الهذر والغيبة، القرب من الروح الإلهي، البعد عن الكسل والخور والضجر، مواصلة العمل والجد، يضاف الى ذلك: الحبّ في ذات الله، والبغض في ذات الله، والصولة بالله لا بالباطل، والتضرّع إليه لا للسلطان، والعون بالله، وشكر نعمه والاعتراف بإحسانه، والاغراق بالثناء عليه » ملء الفراغ الرّوحي والتصّحر الفكري، والتصدّي للانحراف الأخلاقي، ومعالجة الاضطراب النفسي الناتج عن حالات الإحباط، وخيبة الأمل، واليأس الممنهج الذي سلكته السلطة

الأمويّة. يمكن إسقاط هذا الهدف على كل المجتمعات وفي جميع العصور، وخاصّة في عصرنا الراهن. « العودة بالجماعة المسلمة إلى الجذور الأولى في التوحيد المنزّه عمّا لا يليق استدراكًا لما وقعت به النفوس من التمزّق الداخلي والاهتزاز العقائدي، ناظرًا بذلك إلى دساتير الكوْن في معطياتها التوحيديّة احترازًا من الشرك الخفي الذي أراده الحاكمون، مستشهدًا على ذلك بالآلاء الله الكونيّة » « تعميق الوعي العقائدي وتثبيت العواطف الصّالحة، حبّا بالتولي والإعلان عنه، وبغضا بالتبري و إبداعه » (إخراج المجتمع من مستنقع الفساد وأوحال الرذيلة وإحياء فيه الفضيلة وروح التوجيه المعنوي وإصلاح شبكة العلاقات التي تربط أفراده. هدم الصنميّة الجديدة المتمثلة في تقديس الحكام، ونسف الوثنيّة البديلة المتمظهرة في الاستسلام لسلطان السلطان. الإعلان عن العقيدة الصّحيحة والموافق المبدئيّة وبث روح المقاومة. إذا درسنا حياة الأئمّة الأطهار، عليهم السلام، على أساس نظرة كليّة تتناول حياتهم كوحدة مترابطة ( )، يتضح أنّ للإمام علي زمن العابدين عليه السلام موقع نرزخيّ ‹› في السيرورة التاريخيّة للأئمّة الأطهار. معنى ذلك أنّه بتأسيسه ‹› لمدرسة الدعاء ‹› واتخاذه من الدعاء وسيلة تتناسب مع طبيعة ظروف عصره، ختم، سلام الله تعالى عليه، المرحلة الأولى (من سيرورة الأئمّة) بأن توّج تضحيات جدّه وعمّه وأبيه، عليهم جميعًا السلام، بإيقاف نزيف الإنحراف وتفادي صدمته، وفي نفس الوقت مهّد الأرضيّة المناسبة لبناء جماعة رائدة تحمل على عاتقها الحفاظ على الإسلام الأصيل والدفع به نحو المضيّ إلى غايته..... ذلك ما سيقوم به ابنه وحفيده عليهما السلام من بعده. أظهر الإمام السجاد عليه السلام كذلك مفهوم مهمّ يتمثل في أنّه في زمن الانحراف واهتزاز الثوابت، واستبداد النظام، لا يمثل العمل السياسي الطريق الوحيد لتشكيل النخبة القادرة على القيام بعمل التغيير وقيادة العمل الإسلامي نحو تحقيق أهدافه.

بعض المضامين التربويّة في الصّحيفة

قدّم الإمام علي زين العابدين عليه السلام للأمّة الإسلاميّة – و للإنسانيّة جمعاء- كنوزًا من

المعارف من خلال ‹‹ الصّحيفة السجاديّة ›› التي احتوت على أدعية ذات مفاهيم عميقة ومضامين رفيعة في العقائد والفكر والأخلاق والسياسية والتربية والسلوك.

تستمدّ أدعية الصّحيفة وجودها الشريف من القرآن الكريم أسلوبًا ومعانٍ ودلالات. إذا كان القرآن المجيد مائدة إلهيّة وكتاب هداية موجّه لكل الناس على اختلاف مقاماتهم الوجوديّة، ومستوياتهم المعرفيّة ومكاناتهم العلميّة..... إذّا كان ذلك كذلك فإنّ ‹‹ الصّحيفة السجاديّة ›› كذلك أخت القرآن؛ فهي موجّهة أيضا لكل الناس، وباستطاعة الجميع الاستفادة من بركات أدعيتها، كلٌّ حسب مقامه ومستواه. يقول الإمام الخميني، قدس الله سرّه: ‹‹ الصّحيفة السجاديّة الكاملة أنموذج كامل للقرآن الصاعد، ومن أعظم المناجاة العرفانيّة في خلوة الأنس التي تعجز أيدينا عن نيل بركاتها. إنّه كتاب إلهيّ استمدّ وجوده من معين نور الله، ويعلّم أصحاب الخلوة الإلهيّة طريقة سلوك الأولياء العظام والأوصياء الكبار. كتاب شريف يوضّح أسلوب بيان المعارف الإلهيّة لأصحاب المعرفة مثل ما هو أسلوب القرآن الكريم بعيدًا عن تكلّف الألفاظ، وفي قالب الدعاء والمناجاة، للمتعطشين للمعارف الإلهيّة. إنّ هذا الكتاب المقدّس، مثل القرآن الكريم، مائدة إلهيّة ينهل منها كل شخص على قدر شهيته المعنويّة. إنّ هذا الكتاب، مثل القرآن الإلهي، يدلنا بأسلوبه الخاص على أدق المعارف الغيبيّة التي تحصل من التجليات الإلهيّة في الملك والملكوت والجبروت واللاهوت وما فوق ذلك ممّا لا يخطر على ذهني وذهنك وتقصر يد الطلاب عن حقائقه، كقطرات من بحر عرفانه المترامي الأطراف تجعلهم يذوبون ويفنون « (الصّحيفة السجادّية) « أخت القرآن الكريم لكن مع فرق بسيط يكمن في أنّ القرآن الكريم كتاب نازل من عند الله سبحانه وتعالى بينها أدعية الصّحيفة كتاب صاعد إلى الله عز وجلّ، العلاقة بين الكتابين علاقة جذب وتوضيح وتفسير. يقول آية لله الشيخ جوادي الآملي: » « الصّحيفة السجاديّة » بتفسيرها القرآن تجعله أقرب إلينا وتجعله متاحًا لنا، وأيضًا هي بالدعاء تجذبنا إلى القرآن حتى نعمل بما يقوله الله. ثمّة آيات كثيرة تعبّر عن صفات الله في جمل خبريّة، في حين أنّ الصّحيفة تعبّر عنها في جمل إنشائية كلّما كان المقام الوجودي للإنسان أعلى، وحالته المعنويّة أرقى، كلّما كانت استفادته من

جواهر الأدعية السجاديّة أكثر، حتى وإن حملت تلك الأدعية الشريفة بين ثناياها بعض المضامين الخارجة عن قابليّة الادراك والفهم. يورد آية الله الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي، رحمة الله تعالى عليه، فيقول: « إنّ الأدعية المنقولة عن الأئمة عليهم السلام، مع أنّها قد ذُكرت أحيانًا بأسلوبٍ سهلٍ جدًّا لكنّها تشتمل على مطالب رفيعة للغاية، ومن الجدير أن يتأمّل الإنسان فيها ويتنعم بفوائدها. وكلّما كانت حالة الإنسان المعنويّة أكثر تناسبًا، واستطاع أن يدقّق أكثر يمكنه أن يستفيد أكثر من هذه الأدعية ويتزوّد منها أكثر

مضامين « الصّحيفة السجاديّة » عديدة، متداخلة ومتكاملة فيما بينها. تنطلق من المضامين العرفانيّة رفيعة الكعب و المشتملة على الأسرار الربانيّة الدقيقة، وهي حظ الكُمّل من أولياء الله، وصولا الى المضامين الاجتماعية العامّة الموجّهة لعموم الناس، مرورًا بمضامين أخرى منها: العقديّة، الفكريّة، الأخلاقيّة، التربويّة، الأدبيّة، اللغويّة، السلوكيّة، السياسيّة، الجهاديّة وغيرها.....

لو أجريْنا جواد البيان في كشف النقاب عن تلك المضامين لأوقرنا مصنفات ومصنفات ولخرجنا عن الهدف من هذا الكتاب؛ لذلك نكتفي بتسليط بعض الأضواء على مضمونين تربويين لأدعية الصّحيفة. اخترنا هذين المضمونين لأنّهما يتماهيان مع ما نبحث عنه من الإجابة عن السؤال حول احتياجنا لطرح وفكر الإمام علي زين العابدين عليه السلام في هذا العصر.

المؤمن متأرجح بين الخوف والرجاء

بالدعاء يتوجه العبد نحو المعبود جلّ ثناؤه، وبذلك التوجّه تقوى رابطة العبوديّة الجامعة للطرفين: الحق المتعالي والعبد العاصي. كلما قويت تلك الرابطة وازدادت متانة كلّما ازداد العبد شفافيّة نحو مولاه، وكلما قربت تلك الشفافيّة كلما اعترف العبد بخفايا ذنوبه وأقرّ بدقائق خطاياه.

للعبد إذن توجّه نحو طرفين: طرف سفليّ يتمثل في ذنوبه؛ حين يتوجّه إليه (العبد) تعتريه حالة من الخجل والخوف والحياء فينعقد اللسان ويظهر النّدم؛ وطرف علويّ

يتمثل في الحضرة الإلهيّة المقدّسة، حين يتوجّه إليها ويستشعر رحمة الحق تعالى وحِلمه ، ينبعث في قلبه الرجاء و ينبسط في وجده الأمل.

ينبغي أن يكون قلب العابد متأرجحًا بين الخوف والرجاء. يحمله الخوف على التوبة وترك المعاصي، والحذر منها ومراقبة نفسه؛ بينما يحمله الرجاء على حسن الظنّ بمولاه والخروج من حالة اليأس والقنوط نحو الطاعة وفعل ما يرضي الله. حول هذا التأرجح بين الخوف والرجاء يقول الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله: « لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنّته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرّحمة ما يئس من رحمته أحد » ( ). على المؤمن إذن أن يكون دائمًا متأرجحًا بين الحالتين: لا ينبغي ان ييأس من رحمة الله، وفي نفس الوقت لا يجوز له أن يأمن مكر الله .

ما الخوف إلا توجّه العابد نحو الصفات الجلاليّة للحق سبحانه وتعالى، فتدكّه سنى أنوار الجلال، ويُصعَق كيانه، وتتغشّى قلبه عظمة الإله وقوّته وشدّة بطشه. المقام مقام جلالٍ بعيدٍ عن الأنس، مصاحب لحالة من القبض بها يُقبَض الفؤاد خوفًا وخشية، وينعقد بها اللسان ويُسلب القدرة عن الكلام. أمّا الرجاء فهو نتيجة توجّه العابد نحو الصفات الجماليّة للحق سبحانه وتعالى فتعتريه (العابد) حالة من البسط يشعر من خلالها أنّه جالس على بساط الأنس الربّاني يشاهد جمال الجميل. يصوّر الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي، رضوان الله تعالى عليه، تأرجح التوجّه بين الصفات الجلاليّة والجماليّة للحق تقدّست أسماءه فيقول: « وبشكل عام، إنّ أحوال أولياء الله مع محبوبهم على نحوين: فقد يتوجّهون أحيانًا الى صفات وأسماء الجلال الإلهيّ ويستغرقون في عظمة الله إلى درجة يرون أنفسهم عندها في منتهى الضعة والحقارة ويفزعون من قدرة الله وتسيطر عليهم حالة الخوف والخشية منه. ففي هذه الحالة، التي يُصطلح عليها بـ » القبض « فإنّ لسان العبد ينعقد ويشعر أنّ قلبه قد قُبض، وكأنّ هناك حُجُبًا قد أُسدلت عليه. وقد يتوجّهون أحيانًا أخرى إلى صفات وأسماء جمال الله ويستغرقون في مشاهدة هذه الصفات الجماليّة الإلهيّة وتعرض لهم حالة الانبساط ويحبّون أن يتحدّثوا مع ربّهم ويناجوه، ففي هذه الحالة ينطلق لسان العبد ويشعر بغاية اللذة في محادثة

ربّه؛ وتُسمّى مثل هذه الحالة في الاصطلاح بالدلال، فكأنّها حالة من العنج التي ينطلق فيها لسان العبد فيتحدّث مع ربّه كأنّه يهدّد بكلامه وفي تصوّره ربّه .والعياذ بالله. ولهذا، نجد الإمام السجّاد عليه السلام في هذا الدعاء (أبو حمزة الثمالي) يقول لله تعالى: » لئن أدخلتني النار لأخبرنّ أهل النار بحبي إيّاك « (لك)؛ وفي موضع آخر، يقول عليه السلام : » إلهي إن أدخلتني النّار ففي ذلك سرور عدوّك، وإن أدخلتني الجنة ففي ذلك سرور نبيّك، وأنا والله أعلم أنّ سرور نبيك أحبّ إليك من سرور عدوّك نجد حالة التأرجح بين الخوف والرجاء حاضرة بامتياز في العديد من الأدعية السجّاديّة. لننصت إليه مثلا في دعائه المعروف باسم « دعاء أبي حمزة الثمالي» يقول: « ... أدعوك يا سيّدي بلسان قد أخرسه ذنبه، ربّ أُناجيك بقلب قد أوبقه جُرمه، أدعوك يا ربّ راهبًا راغبًا راجيًا خائفًا، إذا رأيت مولاي ذنوبي فزعت وإذا رأيت كرمك طمعت، فإنّ عفوت فخير راحمٍ وإن عذّبت فغير ظالمٍ.... .»

نفس المضمون نجد حاضرًا في المناجاة الخامسة (المسماة بمناجاة الراغبين) حيث يناجي ربّه قائلا: « إلهي إن كان قلّ زادي في المسير إليك ، فلقد حسُن ظنّي بالتّوكّل عليك، وإن كان جُرْمي قد أخافني من عقوبتك، فإنّ رجائي قد أشعرني بالأمن من نقمتك، وإن كان ذنبي قد عرّضني لعقابك، فقد آذنني حُسْنُ ثقتي بثوابك، وإن أنامتني الغفلة عن الاستعداد للقائك، فقد نبّهتني المعرفة بكرمك وآلائك، وإن أوحش ما بيني وبينك فَرْط العصيان والطغيان، فقد آنسني بُشرى الغفران والرّضوان.... » وردت العديد من الروايات المنسوبة لأهل البيت عليهم السلام تشير إلى أنّ خوف المؤمن ورجاءه متساويان فلا يغلب هذا ذاك ولا يفوق ذاك هذا. من بين هذه الروايات الشريفة ما صدر عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام حيث قال: « إنّه ليس من عبد مؤمن إلاّ في قلبه نوران: نور خيفة ونور رجاء، لو وُزِن هذا لم يزد على هذا، ولو وُزِن هذا لم يزد على هذا .

الحبّ مدار توجّه العابد

الحبّ مقام إلهيّ جليل ورفيع الشأن؛ وصف الحق سبحانه وتعالى به نفسه وتسمّى

عز وجل بالودود. وردت المحبّة في القرآن الكريم وفي السنة النبويّة المطهّرة في حق الله تعالى وفي حق المخلوقين. ذكر سبحانه وتعالى أصناف الذين يحبهم بصفاتهم فقال: إن الله يحب التوّابين ويحب المتطهرين ويحب المطهرين ويحب المتوكلين ويحب الصابرين ويحب الشاكرين ويحب المتصدقين ويحب المحسنين ويحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص. كما نفى سبحانه وتعالى عن نفسه أن يحب قوما لأجل صفات اتصفوا بها لا يحبها فقال: إن الله لا يحب المفسدين ولا يحب الفساد ولا يحب الفرحين ولا يحب كل مختال فخور ولا يحب الظالمين ولا يحب المسرفين ولا يحب الكافرين ولا يحب الجهر بالسوء من القول ولا يحب المعتدين

المحبّة الواردة في القرآن الكريم كثيرة وكثيرة جدا، ذكرها سبحانه وتعالى إما تصريحا بالعبارة أو تلميحا بالإشارة أما في السنة النبوية المطهرة فيتجلى ذلك في عدة أحاديث نبوية شريفة كقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله عن الله في الحديث القدسي عن ربّ العزة سبحانه وتعالى أنه الله قال: « من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه » انبنت ثقافة القرآن الكريم على المحبّة والرّحمة واللين حيث يخاطب الله سبحانه وتعالى حبيبه صلى الله عليه وآله فيقول له:

« فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ

(آل عمران : ١٥٩)

كان أئمة أهل البيت عليهم السلام تُرجمانًا للقرآن الكريم، سعوا – سلام الله تعالى عليهم – إلى تركيز قِيَم المحبّة والرّحمة، وثقافة التسامح والمودّة ومحاسن الكلام، في وجدان الأمّة. لننصت إلى الإمام الرضا عليه السلام يخاطب أبي الصلت الهروي: « رحم الله عبدا أحيا أمرنا، فقلت له: كيف يحيى أمركم، قال يتعلم علومنا ويعلّمها الناس فإنّ الناس لو علموا

محاسن كلامنا لاتبعونا » نفس المنهج وعين المنطق يتوجّه به الإمام جعفر الصادق عليه السلام للفضيل فيقول: « يا فضيل أتجلسون وتحدثون، قال: نعم جعلت فداك، قال: إنّ تلك المجالس أحبّها فأحيوا أمرنا يا فضيل فرحم الله من أحيا أمرنا ». إنّ إحياء أمر محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله موجب للرحمة الإلهية التي نتوق إليها جميعاً. لمحبّة المعبود في قلب العابد المخلص حلاوة أحلى من حلاوة العسل..... حلاوة تورث الأنس بالله جلّ ثناؤه ... حلاوة يكون من ثمارها الورع عن معصية الله والابتعاد عن مخالفة أحكامه.... حلاوة تجعل العابد العاشق مشتاق إلى لقاء المعبود المعشوق، راضٍ بقضائه، مسلّمٌ زمام أموره لمشيئته، خائفٌ من فراقه. نلمس هذه المضامين الراقية في العديد من أدعية « الصّحيفة السجاديّة » حيث يقول الإمام علي زين العابدين عليه السلام مثلا « في مناجاة المحبّين» (المناجاة التاسعة): « إلهي من ذا الذي ذاق حلاوة محبّتك، فرام منك بدلا، ومن ذا الذي أنس بقربك، فابتغى عنك حِوَلا. إلهي فاجعلنا ممّن اصطفيته لقربك وولايتك، وأخلصته لودّك ومحبّتك، وشوّقته إلى لقائك، ورضّيته بقضائك، ومنحته بالنظر إلى وجهك، وحبوْته برضاك، وأعذته من هجرك وقلاك، وبوّأته مقعد الصّدق في جوارك، وخصَصْته بمعرفتك، وأهّلته لعبادتك، وهيّمت قلبه لإرادتك، واجتبيْته لمشاهدتك، وأخليْت وجهه لك، وفرّغت فؤاده لحبّك، ورغّبته فيما عندك، وألهمْته ذكرك، وأوزعْته شكرك، وشغلته بطاعتك، وصيّرته من صالحي بريّتك، واخترته لمناجاتك، وقطعت عنه كل شيء يقطعه عنك ».

في نفس المضمون، نسمعه يقول في الدعاء المعروف بـ‹› دعاء أبي حمزة الثمالي››:

‹› إلهي لو قرنتني بالأصفاد ومنعتني سَيْبَك من بين الأشهاد ودلَلْت على فضائحي عيون العباد وأمرت بي إلى النّار وحُلت بيني وبين الأبرار ما قطعتُ رجائي منك وما صرفت تأميلي للعفو عنك ولا خرج حبّك من قلبي. أنا لا أنسى أياديك عندي وسترك عليّ في دار الدنيا.... ‹›

في رائعة من روائع الإمام جعفر الصادق عليه السلام يقول: « نجوي العارفين تدور على ثلاثة أصول: الخوف والرجاء والحبّ؛ فالخوف فرع العلم، والرجاء فرع اليقين، والحب

فرع المعرفة

يربط الإمام جعفر الصادق عليه السلام الحبّ بالمعرفة، فيجعل الأول فرع للثاني. نفس الربط نقرأه في دعاء « أبي حمزة الثمالي ‹› حيث ننصت لقول الإمام السجّاد، سلام الله عليه، مخاطبًا المولى جلّ ثناؤه:

« إلهي ربيّتني في نعمك وإحسانك صغيرًا ونوّهت باسمي كبيرًا؛ فيا من ربّاني في الدنيا بإحسانه وتفضله ونعمه وأشار لي في الآخرة إلى عفوه وكرمه معرفتي يا مولاي دليلي عليك، وحبّي لك شفيعي إليك، وأنا واثق من دليلي بدلالتك وساكن من شفيعي إلى شفاعتك

قراءة تحليليّة لرسالة الحقوق

أهميّة الرّسالة

ليس من باب المبالغة، ولا من زاوية التعصّب، أن نعتبر أنّ « رسالة الحقوق » للإمام علي زين العابدين عليه السلام أعظم ما أنتجه عقل بشريّ حول مسألة حقوق الإنسان.

إضافة إلى تفرّد هذه الرسالة الخالدة بمحتوى لم يطرحه أيّ عالم تربويّ أو اجتماعيّ أو فكريّ، فهي أوّل أطروحة قانونيّة جامعة مرتبطة بالإنسان وحقوقه صُنِّفت في تاريخ البشريّة قبل أن يُولد دعاة حقوق الإنسان بعشرات القرون.

شملت الرسالة – بروح إيمانيّة فطريّة – جميع الحقوق والواجبات» الشاملة لمشكلة الإنسان في حياته وآخرته والمستوعبة لقضاياه المصيريّة في النفس، والجوارح، والأفعال، والدولة، والنظام العامّ، والقرابة، والأرحام، والاجتماع، والمال، والقضاء والأخلاق « يتطرّق الأستاذ الجليل السيّد حسن السيّد علي القبانجي، قي شرحه لرسالة الحقوق فيقول: « رسالة الحقوق للإمام علي زين العابدين عليه السلام . يفيض بها الوجدان روعة وجلالا، ويمتلئ بها القلب طمأنينة وإيمانًا، وتثير في الأسماع بهجة ورضا، وتحرّك في النفوس عواطف وأحاسيس، وهي لعمري رائد الفكر الإنساني، وسجل المعرفة، وفوق ذلك كله إنّها الوسيلة لفهم الإنسان نفسه، وما فطرت عليه من مواهب ونزعات. إنّها رسالة تهدي للتي هي أقوم في التنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه، وبين مشاعره وسلوكه،

وبين عقيدته وعمله، فإذا هي مشدودة إلى العروة الوثقى التي لا تنفصل، متطلعة إلى الأعلى وهي مستقرة على الأرض، وإذا العمل بها عبادة متى توجّه الإنسان به إلى الله، ولو كان هذا العمل متاعًا واستمتاعًا بالحياة. إنّها رسالة تهدي للتي هي أقوم في علاقات الناس بعضهم ببعض، أفرادًا وأزواجًا، وحكوماتٍ وشعوبًا، ودولا وأجناسًا، تقيم هذه العلاقات على الأسس الوطيدة الثابتة التي لا تتأثر بالرأي والهوى.... إنّها لنور العدل في الملك، ونور الإيمان في الدين، ونور الصدق في العمل، ونور الحياة الحقّة في الأمّة.» تُعتبَر ‹‹ رسالة الحقوق ›› فيض تربويّ يهيّئ الإنسان لبلوغ مستوى راقٍ يعيش فيه في سكينة منسجمًا مع ذاته ومسالماً لغيره، وقبس تزكويّ لبناء مجتمع يحصل فيه كل فرد على حقه كاملا غير منقوص، ويتنافس فيه الأفراد والجماعات على فعل الخيرات، وترك المنكرات ونبذ العنف، ونشر قِيَم العدل والمساوات بهدف تحقيق الرّفاه والعيش الكريم لجميع أفراد المجتمع - بل لكافة بني الإنسان - كمقدّمة لتحرير الإنسان - بما هو إنسان – من قيود الظلم وسجن الجور، وظلمة الكفاف وأسْر الحاجة، حتى تسود العالم قِيَم العدل والحريّة والمساوات والسلام. بهذه الرسالة الفريدة والجامعة والخالدة، يمكننا اعتبار أنّ المنّة الربانيّة قد أخرجت من خزائن جودها، على يد الإمام زين العابدين عليه السلام للمسلمين خصوصًا، وللبشرية عمومًا دستورًا أخلاقيًّا إجتماعيًّا عباديًّا يشتمل على اهمّ النظرّيات الأخلاقيّة الشاملة التي تغذي العلاقة الإنسانيّة على صعيدها الفردي والجماعي بشكل رائع متناسق ومتكامل. منهاجًا شاملا لعلاقة الفرد بخالقه ونفسه وبالآخر، على أسس متناهية من الجمال والمودّة والرّحمة والتحابّ والتآلف. نظريات وأسس متكاملة لبعث الحياة الفاضلة في كل علاقات الإنسان بمحيطه ودوائره الخاصّة والعامّة وبسبله المختلفة لضمان سعادته الدنيويّة والأخرويّة ونيْله الفوز في جميع ميادين عيشه.

مصادر الرّسالة

رُويت ‹‹ رسالة الحقوق ›› بعدّة طُرُق حديثيّة مُعتبَرة في مدرسة أهل البيت عليهم السلام أبرزها

طريق العالم الكبير ثقة الإسلام ثابت بن أبي صفيّة، المعروف بأبي حمزة الثمالي، (رضوان الله تعالى عليه)، تلميذ الإمام الخاصّ، رواها عنه بسنده المحدّث الصدوق، (رحمة الله تعالى عليه)، في ثلاثة من كتبه: من لا يحضره الفقيه ، «الخصال» و «الأمالي». أوردها كذلك الشيخ محمد بن يعقوب الكليني، (رحمة الله تعالى عليه)، فيما أفاد السيّد علي بن طاووس، رحمة الله تعالى عليه، في كتابه « فلاح السائل» عن كتاب « رسائل الأئمّة ». أوردها أيضًا الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحرّاني، رحمة الله تعالى عليه، في كتابه « تحف العقول عن آل الرسول « (

محتوى الرّسالة

ضمّن الإمام علي زين العابدين، عليه السلام ، « رسالة الحقوق « واحدًا وخمسين (٥١) حقًا إنسانيًّا خاصًّا وعامًّا ومشتركًا بينهما. تفنّن شرّاح الرسالة في تقسيمها كل حسب ما رأى من علاقة بين مواضيعها. قادتنا دراسة الرسالة إلى تقسيمها بحسب فقراتها وموادها إلى مقدمة واثني عشر موضوعا، كما يبيّنه الشكل في الصفحة التالية. من وجهة نظر منهجيّة - علميّة تُعتبَر مقدّمة الرسالة ديباجة ببليوغرافيّة فريدة رتّب من خلالها الإمام علي زين العابدين، عليه السلام ، الحقوق الحادية والخمسين، التي سنفصّل فيها القول، وقسّمها تقسيمًا منهجيًّا علميًّا. صاغ المقدّمة ببلاغة موضوعيّة وسلاسة منهجيّة تضع القارئ في إطار الرسالة منذ قراءته لأول سطورها. أسالت « رسالة الحقوق « كمًّا هائلا من حبر شُرّاحها حيث أشبعوا موادّها شرحًا، ووفّوا نصوصها تبيانًا، ولم يقصّروا مع فقراتها إيضاحًا، فكانت المحصّلة العامّة إبداعًا في إخراج كنوز الرسالة وتوفيقًا في إظهار جواهرها. ليس من أهداف هذه الدراسة شرحًا لفقرات وموادّ « رسالة الحقوق ، فذلك يُعدّ - من وجهة نظر علميّة وموضوعيّة - تكرارًا لما قام به شُراحٌ أبدعوا في الشرح وتفانوا في الإيضاح. لذلك نرى أنّه من المفيد العودة إلى تلك الشروحات تعميمًا للاستفادة

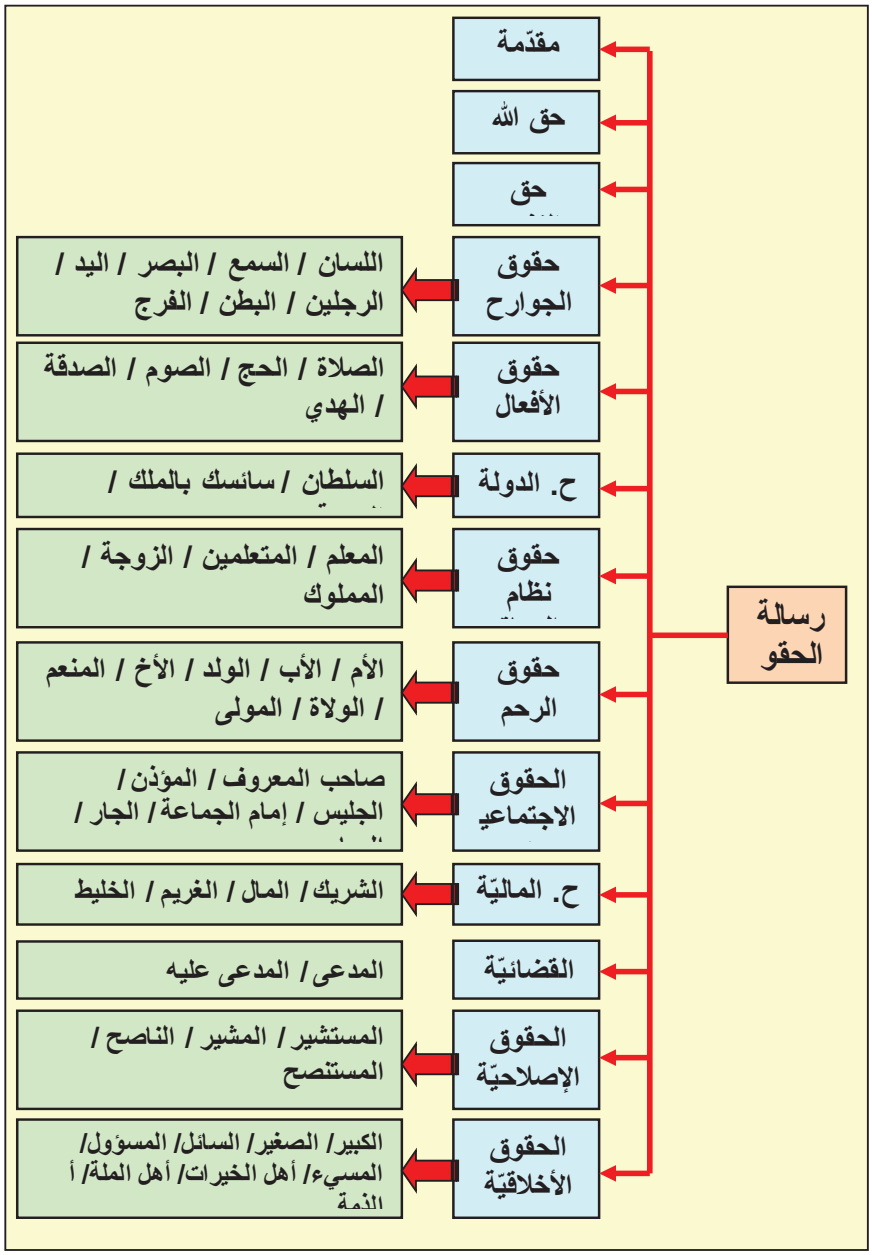

شكل (٥) : مواضيع " رسالة الحقوق "

خصائص تفرّدت بها الرّسالة

« رسالة الحقوق » أطروجة شاملة، غاصت في أعماق الإنسان بكلّ أبعاده فكانت وسيلة ناجعة ليفهم الإنسان نفسه، وما أودع الحق سبحانه وتعالى فيها من نزعات وغرائز ومواهب؛ وآليّة ناجحة للتنسيق بين ظاهر الإنسان وباطنه، وللتكامل بين عواطفه وسلكوه، وللانسجام بين عقيدته وعمله؛ فتنمحي عنده (الإنسان) عوامل التشنّج، ويزول القلق والاضطراب والتمفصل، وتحلّ محلّها عوامل السكينة والهدوء الداخلي والاستقرار النفسي . كانت الرسالة أفضل هادٍ لترشيد سلوك الإنسان، وأحسن مُعين على بناء شبكة علاقات إجتماعيّة على أسس إيمانيّة متينة ووفق أطُرٍ ربانيّة شرعيّة، حتى ينشأ بذلك مجتمع تسوده العدالة الاجتماعيّة، وتحكمه علاقات مبنيّة على الثقة والألفة والمحبّة. تميّزت « رسالة الحقوق » بخصائص تفرّدته بها عن غيرها من الأطروحات المنادية بحقوق الانسان، نُجري حواد البيان في كشف أهمّها في شكل النقاط التالية:

- لم تخرج الحقوق المطروحة في الرسالة، قيد أنمله عن روح الإسلام وجوهر الدين ومقاصد الشريعة، بل كلّ ما طرحه الإمام علي زين العابدين عليه السلام نابع من مشكاة قرآنيّة، وتعاليم محمّديّة ومعارف علويّة .
- طرح الإمام عليه السلام جميع الحقوق بروح إيمانيّة خالصة تجاوزت صرامة القانون إلى وِسْع العفو والإيثار، وتعدّت دقّة العدل إلى رحابة الفضل والإحسان
- تمثّل « رسالة الحقوق » منهاجًا شاملا لشبكة علاقات الإنسان في جميع دوائرها: دائرة ذاتيّة - فرديّة تتمثل في علاقة الإنسان بربّه وبنفسه التي بين جنبيه، وأخرى أسريّة - عائليّة تتمثل في ما ربطه الله به من أرحام و أقارب، وثالثة جماعيّة – إجتماعيّة تغطّي محيطه الذي يعيش فيه ويتفاعل معه؛ كل ذلك من أجل أن يظفر الإنسان باستقرار نفسي داخلي، ويضمن سعادة دنيويّة وعيشا كريمًا ويفوز بسعادة أخرويّة وحسن ختام
- لم ينظر الإمام علي زين العابدين عليه السلام إلى الإنسان على أنّه كائن حيوانيّ لا تحرّكه إلاّ الحاجيات الماديّة (كما فعلت المبادئ الوضعيّة الأخرى) بل نظر إليه على أنّه

كائن متعدّد الأبعاد، لذلك انطلقت فلسفة الحقوق في الرسالة من نقطة مركزيّة إيمانيّة ربانيّة تعتبر الإنسان ذاتا تتكامل فيها أبعادها المتعدّدة في معيار الإيمان، والوعي، والعواطف، والفكر، والأخلاق، وإدارة شؤون الحياة وغيرها.... لذلك لم تغلّب - مبادئ الرسالة - جانبًا على جانب بل عالجت باتزان الجانب الماديّ إلى جنب الجانب الروحي إلى جنب الجانب النفسي إلى جنب الجانب العاطفي إلى جنب الجانب الاجتماعي

- لم تفرّط « رسالة الحقوق » في مبادئ يحتاجها الإنسان، كما لم تضخّم مبدئًا على حساب مبدئ آخر، بل أعطت كلّ مبدئ حقّه فعالجت جميع المبادئ بحكمة واتزان لا إفراط فيها ولا تفريط
- وردت الحقوق والمبادئ المُعلنة في « رسالة الحقوق » خالية من كل تمييز عرقيّ أو طائفيّ أو سياسيّ أو عقائديّ أو اجتماعيّ أو تربويّ أو أخلاقيّ بل كانت مصداقًا لقول الحق سبحانه وتعالى:

« يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ » (الحجرات ١٣)

ولقول الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله :» يا أيّها الناس إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربيّ على عجميّ ولا لعجميّ على عربيّ ، ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلاّ بالتّقوى.» [1].بهذا التعالي على التمييز بأنواعه وأصنافه تحلّق « رسالة الحقوق » في سماء الكونيّة والعالميّة وتكون (الرسالة) وحدها الأمينة والمؤهّلة - دون غيرها من المبادئ الوضعية الأخرى – على الحفاظ على الموروث الحضاري الإنساني الذي شتتته الأهواء الانتهازيّة وفرّقته النزوات الأنانيّة؛ كما تكون كذلك وحدها الضامنة لحقوق جميع المستضعفين في العالم بقطع النظر عن معتقداتهم وأعراقهم وأفكارهم وانتماءاتهم المذهبيّة او السياسيّة

- عالجت الرسالة المسألة الجنسيّة - من أهمّ و أعقد مسائل العصر - بروح إيمانيّة

١): راجع تخريج الحديث في « فهرس الروايات وتخريجها » في آخر الكتاب

خالصة بعيدة عن الكبت والحرمان وبمنأى عن الشذوذ والإدمان، مركّزة على العفّة والفضيلة وصيانة النفس من الفواحش. ذلك أنّ الإسلام لم يأت لقمع الغرائز الفطريّة وإلغاءها بل جاء ليؤطّر تلك الغرائز ويضعها في مسلكها الصحيح ومسارها السليم. لا يكتفي الإمام، عليه السلام ، بالتشديد على حفظ الفرج وتحصينه عن الزنا فقط بل يعطي كذلك - مع ذلك التشدّد - طُرُق الوقاية التي تساعد الإنسان على عدم الوقوع في هذه الجريمة الكبيرة وهي غضّ البصر عن المحارم، باعتبار أنّ البصر أقصر مدخل للوقوع في الحرام

- الإكثار من ذكر الموت، والمآل الذي لا بدّ منه، لأنّ ذلك يقضي على هيجان الشهوة الجنسيّة.
- تهديد النفس بعظمة الله جل ثناؤه وتخويفها من عقابه.
- طلب العصمة من الله عز وجل والحِفظ والتأييد.
- تُعتبَر « رسالة الحقوق » نقلة نوعيّة كبيرة في حياة الإنسانية حيث سعت (في ذلك العصر المتمسّك، شعوريًّا أو لاشعوريًّا برواسب الجاهليّة وبروح الذكوريّة) بجديّة في سبيل عتق الرّقاب وتخليص المماليك من العبوديّة ووحشة الرِقّ إلى عزّ الحريّة و أنسها كمقدمة عمليّة لإلغاء العبوديّة بشكل نهائيّ: يأتي الإمام عليه السلام للمالك فيشجّعه على العتق ويبشّره بالخلاص ويذكّره بأنّ الله سبحانه وتعالى جعل عمليّة عتق الرقاب وسيلةً تُقرّب إليه، وأنّ هذا العمل التعبّدي النبيل حجاب له من النار. كما يأتي، سلام الله تعالى عليه، إلى المعتوق ليذكّره بنبل ما قام به العاتق تجاهه وأنّه من واجبه (المعتوق) شكر العاتق ونصرته وفاءً لجميله ومعروفه
- تُعدّ « رسالة الحقوق » ثورة عظيمة في تحديد علاقة الزوج بزوجته وتأطير كيفيّة تعامله معها من أجل توفير حياة أسريّة سعيدة ومستقرّة تحفّها المودّة وتسودها الرّحمة في مجتمع حديث العهد نسبيًّا بالدين الجديد، لم تزل روح الذكوريّة تشكل ذهنيّة أفراده وتفكيرهم، ورواسب الجاهليّة تسيطر على أفعاله وتوجّه موافقة، ولا تستطيع المرأة أن تتمتّع فيه بحقوقها التي شرعها الإسلام الا قليلا لِمَامًا.... في ذلك

المجتمع أثبت الإمام عليه السلام أنّ للزوجة حقوق على زوجها كفلتها لها الشريعة الغرّاء. المبدع في ذلك أنّه، سلام الله تعالى عليه، ثبّت تلك الحقوق بروح إيمانيّة مفعمة بالمحبّة، محفوفة باللّين، حيث لفت انتباه الزوج بأنّ الله عزّ وجل جعل بلطفه وعنايته هذه الزوجة ملجأ يسكن إليه، وحديقة يأنس بها، امتثالا لقوله تعالى: « وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » (الروم ٢١)

- متى وعى الزوج بأنّ زوجته من نِعَم الله عليه، وبأنّ النعمة تُشكر لتدوم: « وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ » (إبراهيم ٧) وبأنّه « من كان في نعمة و لم يشكر خرج منها و لم يشعر»..... متى وعى ذلك، ترتّب على ذلك إكرامه لزوجته، إكرام إعزازٍ واحترامٍ، ورِفْقه بها رفقًا يتناسب ورقّتها. متى كان ذلك كذلك سلمت الحياة الزوجيّة من المشاكل و المنغّصات وعمّت السكينة والطمأنينة الأسرة.
- شكّلت الحرية مستنقعًا سقطت فيه كل الصيحات الحديثة المنادية بحقوق الإنسان حيث أفرطت في التعامل معها ممّا أحدث نتائج عكسية أدّت الى الشذوذ والانحلال والفوضى؛ أمّا الإمام السجّاد عليه السلام فقد عالج هذه المسألة باتزان بعيدٍ عن الافراط ومجانب للتفريط. الحرية حق، بل من أوكد الحقوق التي يجب ان يتمتّع بها بنو البشر. الإنسان الذي يتمتّع بهذا الحق يجب أن يكون كذلك ملتزمًا ذاتيًّا - دون رقيب - تجاه نفسه وأسرته ومجتمعه وبلاده بشبكة من الالتزامات الذاتيّة التي من المفروض أن يحسّ بأنّها ذاتيّة وبدون ضغط ولا إكراه من أيّة جهة. ما هذه الالتزامات إلاّ ما يطلق عليه الامام عليه السلام مُسمّى « حقوق ». تدلّل الخصائص التي تميّزت بها « رسالة الحقوق » عن غيرها من الأطروحات المنادية بحقوق الانسان على نورانيّة بصيرة الإمام علي زين العابدين عليه السلام ، وربانيّة توجّهاته، وسلامة منهجه حيث نجح، سلام الله تعالى عليه، في ربط هذه الحقوق بالفطرة الإنسانيّة التي فطر الله الناس عليها..... الفطرة المجبولة على التكامل والتعاضد والتعاطف مع الآخر، قريبًا كان

ذو رحم أو بعيدا. المنهج الذي توخّاه الإمام عليه السلام ربانيّ وسيلته الحكمة والموعظة الحسنة، يضع ثواب الله وعقابه هو الميزان في جميع الأعمال والنيات. من ثمرة هذا المنهج أن يحرّك ضمير الإنسان ويوقظ وازعه الديني فيشعره ذاتيًّا – دون سلطة ولا رقابة – بأنّه ملزم بأدائها، وإذا لم يؤدّها إلى أصحابها يبقى مثقل الضمير بها مقصّرًا في حق لله تعالى وفي حق نفسه.

بين « رسالة الحقوق » والمواثيق العالميّة لحقوق الإنسان

الخلفيّة الفلسفيّة للفكر الحقوقي الغربي

من البساطة والسذاجة أن نُرجِع أطروحة « حقوق الإنسان » إلى « حقبة زمنيّة معيّنة أو مترتبة عن أيديولوجية واحدة ومحدّدة، وإنّما هي (الحقوق) نتاج تراكمات تاريخيّة متتالية ومتعاقبة » [1]. لهذه الأطروحة تاريخ طويل ضارب جذوره في عمق الحضارات البشريّة القديمة. لعلّ بداية ظهور هذه الفكرة للمرّة الأولى بصورتها البدائيّة القديمة كانت مع بداية تكوين حياة مشتركة تجمع مجموعات من البشر في العصور القديمة؛ حيث تفطّن المؤرّخون وعلماء الاثار إلى أنّه كان يتمّ تطبيق بعض القواعد العُرفيّة التي كانت ضامنة لبعضٍ من حقوق الإنسان، وساعية للحدّ من العنف بين البشر. مع مرور الوقت، وبتقدّم الحضارات الإنسانيّة وتطوّر المدنيّة فيها، تطوّر ضمان حقوق الإنسان ضمن قواعد عُرفيّة وقبليّة؛ ثم واصل التقدّم تقدّمه والتطوّر تطوّره حتى أخذت « حقوق الإنسان » شكل تشريعات ومواثيق، ونصوص قانونيّة تلتزم بها كل الدول والتجمعات البشريّة. ليس من أهداف هذه الدراسة رصد سيرورة « حقوق الإنسان » ضمن قافلة الحضارات البشريّة، لكن من المفيد منهجيًّا أن نحطّ الرحال في العصر الحديث لنضع المجهر تحت الخلفيّة الفلسفيّة للفكر الحقوقي الغربي سعْيًا مِنّا لرصد وفهْم آليات

١- « حقوق الإنسان، رهانات وتحديات »، الدكتور أحمد بلحاج السند، ص ٨، سنة ١٩٩٦، شركة بابل للطباعة، الرباط - المغرب

ودوافع « الاهتمام الغربي المعاصر بهذا المجال على مستوى التنظير والممارسة، وصولا إلى تقنينه في مواثيق وإعلانات عالميّة » [١]. شهدت أوروبا القرون الماضية صراعات دامية وكثيرة من أجل « إسقاط بعض المفاهيم السياسيّة التي تؤسّس للاستبداد السياسي والديني، وتنكر على الإنسان الفرد كيانه وحقوقه » [٢]. من بين تلك المفاهيم نخصّ بالذكر مفهوم « الحق الإلهيّ » الذي استمات الفكر والسلوك الكنسي في ترويجه وتكريسه واقعًا مُعاشًا، وكذلك أطروحة « العناية الإلهيّة » التي شكلت الشرعيّة السياسيّة للأباطرة والملوك في الغرب طيلة قرون عديدة. من هذا المنطلق، وضع الفكر الغربي فصل الدين عن السياسة أهمّ أهدافه حيث سعى جاهدًا الى ابتكار بدائل، واستحداث أطروحات تؤسّس لعلاقة جديدة بين الدولة والمجتمع بعيدة عن المرجعيّة الدينيّة وبمنأى عن الأمور الغيبيّة. لم يسعى لذلك من أجل « تحجيم الاستبداد السياسي فحسب، ولكن لتحرير الإنسان من قوّة الدولة وسيطرتها المجحفة والمنتهكة لحقوقه الذاتيّة الواقعيّة.» [٣].

في مجمل كلامنا حول الخلفيّة الفلسفيّة للفكر الحقوقي الغربي، يمكن الحديث عن أربع (٤) أطروحات أساسيّة ارتكزت عليها هذه الخلفيّة:

- الأطروحة الأولى: تتمثل في « فكرة القانون الطبيعي » التي عرفها اليونان، وكانت تعني عندهم وجود قانون ثابت لا يتغيّر مستمدّ من الطبيعة يكشف العقل عن روح المساواة والعدل الكامنة في النفس؛ ثم انتقلت الفكرة إلى الرومان، لكنها ستعرف تطوّرًا على مستوى المضمون، وذلك عبر إضفاء طابع اللائكيّة عليها من طرف فقهاء القرن السابع عشر ميلادي « [٤].

١- « حقوق الإنسان في الإسلام من التأصيل إلى التقنين »، محمد دكير الأستاذ محمد، مجلة المنهاج، ص ١٨٩، العدد ١١، السنة ٣، خريف ١٤١٩ هجري – ١٩٩٨ ميلادي (أنظر موقع « المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية – قسم دراسات وبحوث »)

٢- مقال بعنوان : « وعي حقوق : جذور التطور والحماية »، المحامي حسين ضناوي، ص ٢، جريدة النهار البيروتية، بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٩٠ ميلادي

٣- المصدر الأسبق، ص ١٩٠

٤- المصدر السابق، ص ١٩١

- الأطروحة الثانية: نظريّة « الحق الطبيعي للفرد بحريّته وبالشخصيّة المتفرّدة » التي أسّس لها الفيلسوف الإنجليزي « جون لوك » (John Locke) (١٦٣٢ - ١٧٠٤ ميلادي) بداية القرن الثامن عشر للميلاد. ربط « جون لوك » في طرحه بين الملكيّة والحريّة مُعتبرًا أنّ الأولى شرطًا للثانية، ومن دون هذه التراتبيّة بين الاثنين لم يكن ليؤسّس نظريّته السياسيّة بذلك العمق. أدخل « جون لوك »، لأول مرة في الفكر البشري مفاهيم جديدة من قبيل: الحق الطبيعي، الملكيّة، الفرد، الشخصيّة، السلطة والمشروعية.
- قادت هذه النظريّة إلى نظريّة أخرى هي نظريّة « العقد الاجتماعي » التي طوّرها « جان جاك روسو » (Jean - Jacques Rousseau))١٧١٢ - ١٧٧٨ ميلادي)، صاحب كتاب « العقد الاجتماعي »، وجعلها تقوم على مناهضة الحكم المطلق وتعويضه بالحكم الديمقراطي. « أسهمت هذه النظريّة في تطوّر المذهب الفردي، بإقرار وجود حريّات وحقوق طبيعيّة سابقة على المجتمع المنظم يجب على السلطة عدم الاعتداء عليها »[1].
- الأطروحة الثالثة: ما قدّمه الفيلسوف الفرنسي « مونتسكيو » (Montesquieu) (١٦٨٩ - ١٧٥٥ ميلادي)، صاحب كتاب « روح القوانين » الذي يتمحور حول فكرة أساسيّة ملخّصها أنّ العدالة، داخل أيّ نظام سياسيّ لا تتحقق إلا بفصل السلطات الثلاثة: التشريعيّة والقضائيّة والتنفيذية.
- الأطروحة الرابعة: أعمال القاضي الإنجليزي « ويليام بلاكستون » (William Blackstome) (١٧٢٣ - ١٧٨٠ميلادي) الذي ألف كتابًا مهمًّا عنوانه « تعليقات على القوانين الإنجليزيّة ». كما هو واضح من العنوان، قدّم « بلاكستون » في كتابة صورة كاملة ومفصّلة للقانون الإنجليزي في عصره، وعلق على مواده تعليقًا موضوعيًّا مثمرًا. أصبح الكتاب مرجعًا أساسيًّا ومؤثرًا تأثيرًا كبيرًا في سنّ القوانين وتعليمها في الغرب،

١- المصدر السابق، ص ١٩١

كما تأثر به العديد من المشرعين في العالم واتخذوه مصدرًا ملهمًا للتشريعات.

مع هذه الأطروحات، وما تلاها من بحوث أكاديميّة، ودراسات فكريّة، وتجارب قضائيّة اهتّمت بمجال الحريّات العامّة وركزت على مسألة حقوق الإنسان، نضجت الرؤية الغربيّة في مجال « حقوق الإنسان ». تُعتبَر إذن روح مباني « حقوق الإنسان » في الفكر الغربي الحديث باكورة تراكم هذه الأعمال والأطروحات، لا تختلف في ذلك المدرسة الرأسماليّة عن المدرسة الاشتراكيّة. لا يكمن وجه الاختلاف بين طرح المدرستين إلا في ربط الحقوق الإنسانيّة من عدمها بالحريّة الفرديّة. ينطلق الفكر الرأسمالي من أصول أساسيّة هدفها المحافظة على المنفعة الفرديّة، وإعلاء قيمة الملكيّة الخاصّة، وتحقيق الأرباح ،وزيادة رأس المال؛ لذلك ترى هذه المنظومة الفكريّة حتميّة التلازم بين الفرديّة وفكرة « الحقوق الطبيعيّة »، وبالتالي يجب ربط القانون الطبيعي بالحقوق الطبيعيّة بهدف حماية حقوق الإنسان. أمّا الفكر الاشتراكي فينطلق من الأيديولوجيا الشيوعيّة واطروحات « كارل ماركسي» (Karl marx (١٨١٨ – ١٨٨٣ ميلادي) و » فلاديمير لينين « (Vladimir Lénine) (١٨٧٠ – ١٩٢٤ ميلادي) و » جوزيف ستالين « (Joseph Staline) (١٨٧٨ – ١٩٥٣ ميلادي) المنادية بإعلاء قيمة الملكّية العامّة، وبالتالي يجب أن تقوم أطروحة » حقوق الإنسان « على مفهوم التكامل الاجتماعي.

المواثيق العالميّة لحقوق الإنسان

نتيجة للظروف المأساويّة التي عرفتها الإنسانيّة مطلع القرن الماضي، وما صاحبها من انتهاكات صارخة لحقوق الإنسان تمثلت في سفك الدماء، وزهق الأرواح، والاسراف في القتل الشنيع، والاغتصاب، والتشريد، والإبادة، والتجويع..... نتيجة لكل ذلك حصلت نقلة نوعيّة غي تفكير كبار سياسيّ تلك الحقبة تمثلت في وجوب الإلتفات إلى مسألة « حقوق الإنسان »، وتدويلها، وجعلها شأنًا كوْنيًّا وقضيّة عالميّة تخصّ جميع البشريّة. أدّى ذلك الى توقيع إتفاقيات ومواثيق وإعلانات تهدف إلى إحترام الانسان والحفاظ على حقوقه. دخلت بذلك مسألة « حقوق الإنسان » مرحلة جديدة حوّلتها من الطابع القُطري

الداخلي إلى الطابع الدولي الملزم لجميع أمم العالم. تزامنت تلك النقلة النوعيّة مع إندلاع الحرب العالميّة الاولى، وتأسيس عصبة الأمم التي دفعت نحو وضع بنود عديدة ومواثيق كثيرة متعلقة باحترام حقوق الانسان؛ كما تزامنت أيضًا مع إندلاع الحرب العالميّة الثانية وتأسيس ميثاق الأمم المتحدة الذي أشار في مضمونه الى ضرورة تعزيز، وإحترام، وحماية « حقوق الإنسان »؛ ثم تتالت بعد ذلك المواثيق والاتفاقيات الدوليّة. نحاول أن نُجري جواد البيان في تبيان لمحة إجماليّة موجزة لتلك المواثيق الدوليّة.

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

هو وثيقة حقوقيّة دوليّة أقرّتها وتبنّتها الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة في إجتماعها ١٨٣ الذي عُقد في باريس يوم ١٠ ديسمبر ١٩٤٨. يُعتبَر الإعلان نقلة نوعيّة ونصًّا تأسيسيًّا يؤسّس لحقبة جديدة في تاريخ الحقوق المدنيّة للإنسان، ويتكوّن من ديباجة وثلاثين (٣٠) مادّة نادت بها الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة « على أنّه المستوى المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافّة الشعوب والأمم حتى يسعى كل فرد وهيئة في المجتمع واضعين على الدوام هذا الإعلان نصب أعينهم إلى توطيد احترام هذه لحقوق والحريّات » [١]. « جاء في الإعلان التأكيد على أنّ جميع الناس ولدوا أحرارًا متساوون في الركامة والحقوق، وعدم التمييز مهما كان نوعه ولأي سبب، وحق الحياة والحريّة والأمان، ومنع الرق والاستعباد والإتجار بالرقيق، ومنع التعذيب والممارسة الإنسانيّة، وأعطى الحق لكل إنسان الشخصيّة والقانونيّة، والمساواة أمام القانون مع الحق لأيّ فرد في اللجوء إلى محاكم بلاده إذا تعرّض حقه للإنتهاك، كما أعطى الفرد حق الحريّة الشخصيّة والتمتع بالجنسيّة ومغادرة بلده إليها، وحق المرأة والرجل بتشكيل أسرة، وأكد على حق الملكيّة، والتعبير عن الرأي والفكر والوجدان، ومنح الفرد حق المشاركة في الشؤون العامّة والعمل والحياة الكريمة والتعليم متاح للجميع » [٢]. يمكن تقسيم مواد الإعلان العالمي

١- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان – الديباجة – الفقرة الأخيرة

٢- « الخدمة الاجتماعية في النظام الاشتراكي »، هادي رشيد الجاوشلي، القاهرة ١٩٩٦ ميلادي، الأنجلو المصرية

لحقوق الإنسان إلى ديباجية وسبعة (٧) محاور كما هو مبين في الجدول التالي:

مجموع المواد	محورها
الديب	الأسباب التاريخيّة التي دفعت نحو الإعلان
مواد من ١ إلى ٢	مفاهيم أساسيّة مثل: الكرامة، الحريّة، المساواة والأخوة
مواد من ٣ إلى ٥	حقوق فردية مثل: الحق في الحياة، حظر الرق ومنع التعذيب
مواد من ٦ إلى ١١	شرعيّة حقوق الإنسان وسبل الدفاع عنها عند انتهاكها
مواد من ١٢ إلى ١٧	حقوق الفرد في المجتمع المدني (مثل حرية التنقل)
مواد من ١٨ إلى ٢١	الحريات الدستوريّة العامّة مثل: حريّة الرأي، الفكر الدين، الضمير، التعبير والتجمع السلمي
مواد من٢٢ الى٢٧	الحقوق الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة للفرد مثل: الرعاية، الصحّة، الأمومة ورعاية الطفولة
مواد من٢٨ الى٣٠	الوسائل العامّة لممارسة هذه الحقوق، ومجالات عدم تطبيقها وواجب الفرد تجاه المجتمع

جدول (٣) : مواد ومحاور الإعلان العالمي لحقوق الإنسان

العهد الدولي للحقوق الإقتصاديّة والإجتماعيّة والثقافيّة

هي معاهدة متعدّدة الأطراف اعتمدتها الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة يوم ١٦ ديسمبر ١٩٦٦، ودخلت حيّز التنفيذ يوم ٣ جانفي (يناير) بعد أن صادقت عليها خمس وثلاثون (٣٥) دولة:

كما مثل الإعلان العالمي لحقوق الإنسان نقلة نوعيّة في التأسيس للحقوق المدنيّة للإنسان، فإنّ العهد الدولي للحقوق الاقتصاديّة والإجتماعيّة والثقافيّة يمثل كذلك قفزة أخرى نحو إقرار مزيد من الحقوق والحريّات وتأمين الحقوق الاقتصاديّة والإجتماعيّة والثقافيّة حيث يسعى إلى تعزيز مزيد الرفاه ومن كرامة العيش للشعوب، حماية مصالحها الثقافيّة والإجتماعيّة والإقتصاديّة. تمّت صياغة هذا العهد بنفس الأسلوب الذي صيغ فيه الإعلان العالمي لحقوق الإنسان حيث اشتمل على ديباجة وواحد وثلاثين (٣١) مادّة يمكن تقسيمها إلى خمسة (٥) محاور نبّينها في الجدول التالي:

مجموع المواد	محورها
المواد ١	حق جميع الشعوب في تقرير مصيرها وإدارة مواردها الخصاة بنفسها، وألا تُحرَم من وسائل العيش الكريم
مواد من ٢ إلى ٥	الإعتراف بالحقوق دون أي شكل من أشكال التمييز: عرقي أو لوني أو جنسي أو لغوي أو ديني أو سياسي...
مواد من ٦ إلى ١٥	سرد للحقوق الواجب إحترامها مثل: حق تشكيل النقابات، الضمان الإجتماعي، الصحّة، التعليم، مستوى عيش لائق، المشاركة في الحياة الثقافية ...
مواد من ١٦ إلى ٢٥	ضبط الخطوات اللازمة لتنفيذ العهد وتفويض للجمعية العامّة للأمم المتحدة برصد التوصيات
مواد من ٢٦ إلى ٣١	شروط التصديق والتعديل ودخول النفاذ

العهد الدولي الخاصّ بالحقوق المدنيّة والسياسيّة

هي معاهدة متعدّدة الأطراف مبثقة كذلك عن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان اعتمدتها الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة في فقرارها المؤرخ يوم ٦ ديسمبر ١٩٦٦، ودخلت حيّز التنفيذ يوم ٢٣ مارس ١٩٦٦. تُلزِم المعاهدة الأطراف الموقعين عليها على إحترام الحقوق المدنيّة والساسيّة للأفراد المتمثلة في حق المعتقد، والدين ، والتعبير عن الرأي والتجمّع والإنتخاب والمحاكمة العادلة. يؤكد العهد - مرة أخرى - على منع الرق، والإتجار بالرقيق، والإستعباد، ويدعو إلى المساواة الكليّة بين الجميع أمام القضاء، كما يدعو إلى حق الأقليات في التمتع بثقافتهم ودانيتهم ولغتهم الخاصّة. تمت صياغة العهد بنفس الأسلوب الذي صيغ فيه العهدين السابقين حيث ورد مشتملا على ديباجة وثلاث وخمسون (٥٣) مادّة يمكن تقسيمها إلى ستة (٦) محاور نشير إليها في الجدول التالي:

مجموع المواد	محورها
المواد ١	حق جميع الشعوب في تقرير بنفسها
مواد من ٢ إلى ٥	إلتزام الأطراف الموقعة بضرورة إنفاذ الحقوق المعترف بها في هذا العهد
مواد من ٦ إلى ٢٧	سرد الحقوق الواجب إحترامها مثل: حق السلامة الجسديّة، الأمان من الإعتقال التعسفي، المعاملة العادلة، التنقل، الفكر، المعتقد، التعبير، المشاركة السياسية....
مواد من ٢٨ إلى ٤٥	إنشاء وتشغيل لجنة تعنى بالإبلاغ ورصد تنفيذ العهد وحل النزاعات بين الأطراف
مواد من ٤٦ إلى ٤٧	عدم جواز وتفسير العهد على التدخل في عمليّة الأمم المتحدة
مواد من ٤٨ إلى ٥٣	تصديق العهد، دخوله حيّز التنفيذ وتعديله

جدول (٥) : مواد ومحاور العهد الدولي الخاصّ بالحقوق المدنيّة والسياسيّة

الإتفاقيّات والمواثيق والإعلانات الدوليّة الخاصّة

انبثق عن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان والعهد الدولي للحقوق الاقتصاديّة والإجتماعيّة والثقافيّة والمدنيّة والسياسيّة العديد من الاتفاقيات والمواثيق والإعلانات الخاصّة. نذكر أبرزها ذكرًا إجماليًّا، في شكل عنوانها ولا نسعى لتفصيل القول فيها لأن ذلك من شانه أن يبعدنا عن الهدف من هذه الدراسة. أهمّ تلك الاتفاقيات هي:

- الاتفاقيّات الخاصّة بمناهضة التعذيب: اعتُمدت هذه الاتفاقيات رسميًّا سنة ١٩٨٤ ميلادي
- اتفاقيّات حقوق المرأة والطفل: بدأ تنفيذها رسميا سنة ١٩٩٠ ميلادي
- اتفاقيّات مكافحة التمييز العنصري: أهمّها ستّة (٦) اتفاقيات:

• اتفاقيّة منع التمييز في التعليم: صادرة عن منظمة « اليونسكو » سنة ١٩٦٠ ميلادي.
• إعلان حقوق الأشخاص المنتمين إلى أقليّات قوميّة أو دينيّة أو لغويّة، وقع اعتمادها سنة ١٩٩٢ ميلادي.

- اتفاقيّة القضاء على أشكال التمييز الفكري، الصادرة سنة ١٩٦٣ ميلادي.
- الإتفاقيّة الدوليّة لمنع جريمة الفصل العنصري، الصادرة سنة ١٩٧٣ ميلادي.
- الإعلان الخاصّ بشأن التمييز العنصري، وقع اعتماده سنة ١٩٧٨ ميلادي.
- اتفاقيّة منع الإبادة الجماعية، وقع اعتمادها سنة ١٩٨٤ ميلادي

- اتفاقيات حماية اللاجئين: تأسّست بموجبها مؤسسة ‹Unrwa› لتأهيل اللاجئين
- الإتفاقيات الخاصّة بحقوق العمّال وحريّاتهم.

الهُوّة العميقة بين سنّ المبادئ وتطبيقها

الإعلان العالمي لحقوق الإنسان العهد الدولي للحقوق الاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة العهد الدولي الخاص بالحقوق المدنيّة والسياسيّة الاتفاقيّات والمواثيق والإعلانات الدوليّة الخاصّة تعدّدت المواثيق الدوليّة الخاصّة بحقوق الإنسان، وتنوّعت الإتفاقيات، وتكاثرت مواد المبادئ حتى تجاوزت في مجموعها المائة مادّة، وكرّرت نفسها حتى ظهر عليها الإطناب. بالرغم من النقائص الكبيرة التي تحتوي عليها هذه الحقوق - كما سنرى في الفقرة اللاحقة – إلا أن الدّارس لها يستطيع أن يتلمّس دون عناء أنّها حقوق في ظاهرها برّاقة، ومبادئ في مظهرها جذّابة، يتمنّى (الدارس) لو عملت الأمم المتّحدة بموجبها، ويسعد كثيرا لو طبّقتها القوى العظمى التي ناضلت – إلى حدّ الإستماتة - من أجل سنّها يتمنّى ويسعد لو فعلت ذلك بنزاهة، وعدالة، وبنفس المكيال على جميع شعوب العالم. نلمس عمليًّا بوْنًا شاسعًا، وهوّة عميقة بين جاذبيّة الحقوق وتطبيقها على أرض الواقع حيث تتولى القوى الغربيّة العظمى، التي شاركت في تأسيس ووضع لوائح هذه الحقوق، خرق ما وضعته، والتنكّر لما دعت إليه، وإتباع سياسة المكيالين. تطبّق القوى الغربية الحقوق واللوائح بحزم وصرامة على الشعوب والمجتمعات التي لا تساير توجّهاتها ولا تنخرط في حفظ مصالحها، بينما تغضّ الطّرف، وتلوي عنق تلك المبادئ تأويلا وتوجيهًا، على من يتخندق معها في نفس المسار ويشاطرها نفس التوجهات. افتضح أمر المنظومة الغربيّة، وفقدت مصداقيتها، وسقط قناع « حقوق الإنسان » الذي ترتديه،

وبأن للجميع زيف ما تدعو إليه ونفاق ما تستميت من أجله. تأكدت جميع الإنسانيّة، بما لا يدعو إلى الشكّ والرّيبة، أنّ القوى الغربيّة تكيل بمكيالين، وتتلاعب بما تسمّيه مبادئ « حقوق الإنسان »، عندما يتعلّق الأمر بالقضايا العربية عمومًا، والإسلاميّة خصوصًا، والقضيّة الفلسطينيّة بالأخصّ، من أجل الحفاظ على الغدّة السرطانيّة التي زرعتها في القلب النابض للأمّة الإسلاميّة. خير دليل، وأفضل نموذج، على مقولتنا هذه ما يعيشه الشعب الفلسطيني عمومًا، وشعب غزة خصوصًا، من إبادة جماعيّة مورست فيها جميع الانتهاكات أمام أنظار كل البشريّة، وأمام صمت بل تواطئ حملة لواء ما يسمّونه « حقوق الإنسان ». وإن كانت لنا عودة إلى موضوع « أكذوبة حقوق الإنسان الغربيّة » وزيف دعاوي المنظومة الغربيّة في الفصل القادم، إلا أنّنا نؤكد بأنّه تجلّى بوضوح لكلّ شعوب البشريّة البوْن الشاسع بين ما سنّته المنظومة الغربيّة من مبادئ لحقوق الإنسان ورفعت الصّوت عاليًا لضرورة احترامه، وبين ما تمارسه على أرض الواقع من نفاق وظلم وسياسة المكيالين. نعم، افتضح أمر المنظومة الغربيّة وتأكد الجميع من أنّها غير صادقة في دعاويها لرفع راية « حقوق الإنسان »، بل وصل الامر بنفاقها وفسادها ومناقضتها للمبادئ إلى أن يحرق ضابط القوات الجويّة الامريكيّة « آرون بوشنل » نفسه أمام مقرّ السفارة الإسرائيليّة في واشنطن، احتجاجًا على تواطئ بلاده، الولايات المتّحدة الأمريكيّة، مع الكيان الصهيوني في الإبادة الجماعية للشعب الفلسطيني..... أضرم النار في نفسه هو يردّد: « لن أكون بعد الآن مشاركا في الإبادة الجماعية..... الحريّة لفلسطين ». الهوّة بين سن المواثيق الدوليّة لحقوق الإنسان وتطبيقها عميقة جدّا، والبوْن بين النظري والعملي شاسع جدّا كبُر مقتًا عند الله عز وجلّ أن يقول الإنسان ما لا يفعله لأنّه من النفاق. والنفاق، والمكر، والدهاء خصيصة ورذيلة من بين الرذائل الكثيرة التي تجذّرت في سلوك وعقيدة المنظومة الغربيّة، وما فعلت الأحداث الأخيرة سوى أن عرّتها وكشفتها للقريب والبعيد.

مقارنة بين مضامين المواثيق الدوليّة ومحتوى رسالة الحقوق

يتلمّس الدّارس بدقّة لمضامين المواثيق والإعلانات الدوليّة المنادية بحقوق الإنسان ولمحتوى « رسالة الحقوق » للإمام علي زين العابدين، عليه السلام ، فروقا جوهريّة بينهما. فروق تتجاوز الشكل لتنفذ إلى عمق المضمون، والخلفيّة العقائديّة، والأرضية الفكريّة التي انطلق منها الوعي بحقوق الإنسان لكلّ من الطرفين.

نسعى، بمنهج علميّ موضوعيّ، لعقد مقارنة بين ما طرحه الإمام السجّاد، عليه السلام ، من مبادئ وحقوق في « رسالة الحقوق » وبين ما توصّل إليه ممثلوا القوى النافذة في العالم من مبادئ تخصّ الإنسان أوردوها في المواثيق والإعلانات الدوليّة.

شموليّة الحقوق الإنسانيّة بين المواثيق والرسالة

قضيّة حقوق الإنسان قضيّة مركّبة، متعدّدة الأبعاد ومتداخلة الأطراف؛ يجب أن تنظر للإنسان على أنّه كائن متعدّد الأبعاد، وذات تتكامل فيها جميع تلك الأبعاد المتعدّدة، وأنّ أيّ تفريط – أو إفراط - في أيّ بُعد يمكن أن يؤدّي « إلى كوارث إنسانيّة تتجاوز حدود تأمين الاحتياجات الضروريّة للإنسان إلى تعريض وجوده الإنساني ككلّ للخطر » انطلق الفكر الغربي الحديث في وعيه بحقوق الإنسان، على مستوى التنظير وصولا الى التقنين في مواثيق وإعلانات، من شعور بالحاجة الى ما يحقّق السّلم والأمان للإنسان وما ينظّم حياته كردّة فعل على الاستبداد السياسي والإرهاب الفكري الذي مارسته الدولة والكنيسة في أوروبا القرون الوسطى، من دون إغفال رواسب التراث اليوناني والموروث الروماني الذي شكل الأرضيّة الفكريّة لتلك الانطلاقة. أدّت تلك الأرضيّة إلى نظرة أحاديّة، جزئيّة، وغير تكامليّة للإنسان معتبرة إيّاه كائنًا حيوانيًّا لا تحرّكه سوى الحاجيات الماديّة.

ألقت تلك النظرة الجزئيّة بظلامها على روح الحقوق والمبادئ التي نادت بها المواثيق الدوليّة، حيث عالجت قضيّة حقوق الإنسان بشكل جزئي مُغيّبة بقيّة أبعاده الأخرى.

أدّى تطبيق تلك المبادئ إلى كوارث إنسانيّة عرّضت وجود الإنسان، ووجود المجتمعات التي يعيش فيها، إلى أخطار جسيمة تمثّل ظواهر التحلّل الأخلاقي، والتفسّخ العائلي،

والشذوذ الجنسي، والإقبال على تعاطي المخدرات، وإنتشار الإلحاد، وإختيار الإنتحار عيّنة منها. في مقابل النظرة الجزئيّة وغير التكامليّة للفكر الغربي تجاه مسألة حقوق الإنسان، انطلق الإمام علي زين العابدين عليه السلام ، في إرسائه لحقوق الانسان في « رسالة الحقوق » من نظرة تكامليّة للإنسان تنظر إليه على أساس أنّه مخلوق كرّمه خالقه حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: « وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا » (الاسراء: ٧٠) وُجِد لغاية ربّانية نبيلة وعظيمة خصّه بها خالقه دون غيره من المخلوقات الأخرى، وهي استخلافه في الأرض حيث يقول الله عزّ وجلّ: « وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗ » (البقرة: ٣٠) كما سخّر له خالقه كلّ ما يحيط به لأجل القيام بتلك الغاية الربانيّة العظيمة على أحسن وجه؛ يقول الباري جلّ ثناؤه مخاطبًا بني البشر: « وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ » (الجاثية: ١٣)

أدّت النظرة القرآنيّة الشاملة بالإمام السجّاد، عليه السلام ، إلى الأخذ بالاعتبار جميع الأبعاد الكامنة في الإنسان في معيار الروح، والإيمان، والوعي، والعواطف، والفكر، والأخلاق، وإدارة شؤون الحياة وغيرها..... لذلك يجوز لنا، بكلّ فخر واعتزاز، الحديث عن شموليّة حقوق الإنسان في « رسالة الحقوق » حيث لم تُغلَّب – مبادئ الرسالة – جانبًا على جانبٍ، بل عالجت باتّزان الجانب الماديّ إلى جنب الجانب الرّوحي، وتطرّقت بعدل إلى الجانب النفسيّ إلى جنب الجانب العاطفيّ، وطرحت بإنصاف الجانب الأخلاقيّ إلى جنب الجانب الاجتماعيّ، وهطذا مع جميع الجوانب الأخرى

ـ الفِطرة الإنسانيّة بين التغييب في المواثيق والإحياء في الرسالة

يتّضح من خلال دراسة نصوص القوانين والمبادئ في المواثيق والإعلانات العالميّة أنّها تتناول أغلب هذه الحقوق بروح قانونيّة صارمة، وبمنطق متعالٍ جافّ، يطغى عليها أسلوب الأمر والنهي، بعيدة عن الحيثيّة الذاتيّة للإنسان، مجافية لفطرته الإنسانيّة. منبع هذا الأسلوب الجافّ في التعامل مع الإنسان هي الأرضية الفكريّة، والقاعدة

الفلسفيّة، التي تقف عليها المنظومة الغربيّة، الغارقة – إلى حدّ النخاع – في الماديّة، والتي لا ترى في الإنسان سوى موجودًا ماديًّا، لا فطرة فيه، لا تصوغه سوى الطبيعة، ولا يشكله سوى واقعه الاجتماعي. من كوارث تغييب الفطرة الإنسانية في روح الحقوق التي تنادي بها المواثيق والإعلانات الدوليّة سنّ حقوق خاطئة وضارّة بالفطرة الإنسانية، منحرفة عن الصراط الإنساني السليم، مخالفة لغاية وجود الإنسان، جاعلة من ولايته على جسده ولاية مطلقة لا رقيب ولا حسيب عليها. من الآثار الكارثيّة لذلك، خروج الإنسان عن صفته الإنسانيّة. ذلك ما يفسّر الانحرافات الخطيرة التي أصبح إنسان هذا العصر يلحظها تتكرّر باستمرار: من شذوذ جنسي، وتغيير في خلق الله، وغيرها من خروج للإنسان عن صفته الإنسانية وانحداره إلى مستوى البهيميّة، بل إلى مستوى أحطّ من ذلك ليصدق عليه قول الحق سبحانه وتعالى:

« كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ » (الأعراف: ١٧٩).

في مقابل تجاهل المواثيق والإعلانات الدوليّة للفطرة الإنسانيّة، وما يترتّب عنه من كوارث عظيمة قادرة على إخراج الإنسان من صفته البشريّة، اتخذت الحقوق والمبادئ المُعلنَة في « رسالة الحقوق » من فطرة الإنسان، بمعناها السّامي، مدارًا تسْبح في فلكه.

انطلق الإمام علي زين العابدين عليه السلام في رؤيته لجميع الحقوق التي أسّس لها، من مشكاة إيمانيّة وفيوضات ربّانيّة تحفّها الرّحمة الإلهيّة وتؤطرها الألطاف الرحيميّة، فتوجّه إلى الفطرة الإنسانيّة وخاطبها بلغة أُنسِيّة وعاملها بروح إيمانيّة خالصة، تجاوزت صرامة القانون إلى رحابة الإيثار، وتعدّت أسلوب الجفاء والتسلّط إلى أسلوب اللّين وإثارة الوازع الديني؛ فكانت (الفطرة الإنسانية)، مع الشريعة الإلهيّة، خير إطار يؤطّر ولاية الإنسان على نفسه. لذلك حُقّ اعتبار الحقوق الواردة في الرسالة أفضل هادٍ لترشيد سلوك الإنسان ولبناء شبكة علاقاته بأبعادها المتعدّدة على أسّس إيمانيّة متينة ووفق أطر ربانيّة شرعيّة.

مدار مسؤوليّة تجسيد الحقوق

يتّضح من خلال التدقيق الموضوعيّ في روح الحقوق الواردة في « رسالة الحقوق » أنّ مدار مسؤولية تجسيد تلك الحقوق في طرح الإمام علي زين العابدين عليه السلام ، ملقى على كاهل الفرد – مضافا إلى الجماعات – مهما كانت مكانته الاجتماعيّة، ودرجته المعرفيّة، وقيمته العلمية، ومنصبه السياسي، حتى يقف كلّ فرد عند تكليفه الشرعي ومسؤوليّته الذاتيّة، مضاف إليها صدق نيّته، وإخلاص توجّهه، وقوّة عزيمته. لا رقيب عليه سوى ضميره، ولا وكيل عليه سوى عقيدته. متى صلح أمر الفرد لذاته، بذلك الأسلوب، واتسعت دائرة مسؤوليته، صلح بذلك أمر المجتمع. أمّا مدار مسؤولية تجسيد حقوق الإنسان في المواثيق الغربية فموكولة إلى التنفيذ الجماعي، وليس الفردي، وهذا التنفيذ الجامعي تسيطر على روحه صرامة القانون، تهديدًا ووعيدًا، الذي تتحكم في قواعد لعبته الإمبرياليّة الغربيّة. ينقص هذا التنفيذ الجماعي الصّدق والإخلاص، وتعسره الظروف المتفاوتة بين شعوب وأمم العالم شرقا وغربًا، شمالا وجنوبًا، تحضّرًا وتخلّفًا، مسايرة لمصالح الإمبريالية الغربيّة أو مناهضة لها.

بين أسلوب المواثيق ومنطق الرسالة

ذكرنا سابقا أنّ المواثيق الدوليّة تعاملت مع الإنسان ككائن أحديّ البُعد، مركزة على بُعده المادي ومتجاهلة أبعاده الأخرى، لذلك وردت الحقوق التي سنّتها في شكل قوانين صارمة، أسلوبها أمريّ خالٍ من اللّين وبعيدٍ عن الرقّة. من شأن هذا الأسلوب أن يخلق حواجز على مستوى الإقناع والإمتثال، ومشاكل على مستوى الرقابة والتطبيق؛ فهي مبادئ لا تُقبَل إلاّ بالردع، وقوانين لا يُوتى بها إلاّ مع الرقابة. أمّا نظرة الإمام علي زين العابدين عليه السلام ، للإنسان فكانت أعمق، وتعامله معه كان أدقّ حيث نظر إليه ككائن متعدّد الأبعاد ومتنوّع الحاجيات، فكان مضمون الحقوق السجّاديّة شامل لجميع الأبعاد الإنسانية ومغطّ لكلّ حاجياته؛ وكان أسلوب الخطاب متوجّه مباشرة إلى فطرة الإنسان حيث طرق باب القلوب باللّين، وقرع باب العقول بالحكمة ورنّ جرس النفوس

بالتذكير بجوائز الحق سبحانه وتعالى ونوافله وعطاياه ومحذّرا من سخطه وعقابه.

مسألة الحريّة الجنسيّة في الرؤيتين

شكلت مسألة الحريّة الجنسيّة مستنقعا سقطت فيه المواثيق والإعلانات الدوليّة لحقوق الإنسان حيث عالجتها بصيغة إطلاقيّة دون تحفّظ ولا تأطير ممّا أحدث نتيجة عكسيّة عصفت بما يسمّى مكتسبات حقوقية، التي تمّ التأسيس لها بعد معاناة طويلة، إلى فوهة بركان. أدّى الإفراط في إطلاق عنان الحريّة لهذه المسألة إلى تجاوز حدّها الأخلاقيّ والتربويّ والاجتماعيّ والسلوكيّ؛ والشيء إذا زاد عن حدّه انقلب إلى ضدّه. نتيجة لذلك انهدمت أسس نظام الأسرة في الغرب، وانتشر التحلّل الأخلاقي، وتفشّى الشذوذ الجنسي بأنواعه، وغيرها من الظواهر الخطيرة. اكتسحت هذه الظواهر المجتمعات الغربيّة، بل وصل الأمر إلى درجة شرعنة المثلية الجنسيّة في معظم الدول الأوروبيّة؛ ثمّ تطوّرت نحو الأسوء، وتحدرجت كرة الثلج، لتصبح بعض الدول تبحث عن سنّ قوانين تجرّم من يرفضون هذه الظاهرة الشيطانيّة الغريبة. لم تكثف المجتمعات الغربيّة بقبول تلك الظواهر داخلها، بل سعت جاهدة « لعولمتها » ونشرها على نطاق عالميّ، رغم الاختلافات العميقة بين أديان الشعوب وثقافاتها وأعرافها وتقاليدها. أصبحت هذه الظواهر الشيطانيّة، المخالفة للطبيعة البشيرة السليمة، والمتعارضة مع الأديان والأعراف والتقاليد لغالب شعوب البشرية، تشكل تهديدًا جديّا للجنس البشري، والمتسبّب الرئيسي في ذلك هي المواثيق والإعلانات الدولية لحقوق الإنسان. في مقابل ذلك، وبالرغم من حساسيتها وتعقيداتها، عالج الإمام علي زين العابدين عليه السلام المسألة الجنسيّة بروح إيمانيّة خالصة دون خروج عن روح الإسلام، ولا تنكب عن جوهر الدين، ولا ابتعاد عن مقاصد الشريعة. تطرّق، سلام الله تعالى عليه، إلى المسألة باتزان كامل وبموضوعيّة خالصة بعيدة عن الكبت والحرمان ومنطق التعسّف والاقصاء، وبمنأى عن الانحلال والانبطاح والإدمان. ولج إلى قلوب ووجدان وعقول أفراد المجتمع - خاصة الشباب منهم – من باب الفطرة السليمة، التي فطر الله الناس عليها، مركّزا على أنّ

تلك الغرائز أمرٌ فطريّ تكوينيّ وطبيعيّ في الإنسان من المحال اجتثاثها واستئصالها، بل من الواجب تأطيرها ووضعها في مسلكها الشرعيّ السليم. ذلك الإطار هو العفّة، وذلك المسلك هو الفضيلة وصيانة النفس المحترمة من الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وأنّ تلك النفس سائرة وكادحة إلى ربّها فملاقيته؛ وأنّ هذه الدنيا دار اختبار وامتحان لأفعالها. نجح الإمام علي زين العابدين عليه السلام في ربط الظاهرة الجنسيّة الخطيرة بالفطرة الإنسانية فحرّك الضمائر، وأيقظ الوازع الديني، وشحذ الهمم للالتزام بضوابط الشرع، ونقل إلى أفراد المجتمع شعورًا ذاتيًّا بأنّ كل فرد ملزم ذاتيًّا وأخلاقيًّا وشرعيًا، ومن باب حبّه لله ورأفة الله به، بالحفاظ على عفّته وصيانة نفسه من السقوط في هذه الرذيلة الموحشة، وهذه الظاهرة الشيطانيّة المُبعِدة عن دائرة الحبّ الرحمانيّ، واللطف الربانيّ، والموجبة للغضب الإلهيّ.

المبادئ الأُسريّة والأخلاقيّة في الرؤيتين

أهملت المواثيق الدوليّة مبادئ عديدة تتموقع في صميم الحياة الخاصّة للإنسان. لا نجد مثلا (في المواثيق) أثرًا لمبادئ تتطرق إلى العلاقة بين الآباء والأبناء، ولا تحدّد الحقوق الجامعة بين الزوج والزوجة، ولا تلتفت للآثار الاجتماعيّة في حقوق الجوار والأرحام والأصدقاء؛ وهي وإن وقعت الإشارة إلى شيء من هذه المبادئ فإشارتها عابرة لا ترقى لرسم ملامح علاقة بين هذه الأطراف. بينما تركّز المبادئ التي طرحها الإمام علي زين العابدين عليه السلام في « رسالة الحقوق » على هذا الجانب المهمّ في شبكة علاقات الإنسان، تركيزا يوحي للناظر للمبادئ السجاديّة بنظرة سطحيّة أنّها بلغت حدّ الإطناب. تطرّق، سلام الله تعالى عليه، إلى هذه الشبكة من العلاقات المهمّة بنظرة عقائديّة متوجّهة إلى فطرة الإنسان، وبروح إيمانيّة مستحضرة ثواب الله وعقابه. لا أثر في المواثيق، المنادية بحقوق الإنسان، للحقوق الأخلاقيّة في التعايش الآمن المسالم، والحبّ، والإيثار، والمودّدة، والرّحمة، والتعامل الأخوي بين أفراد المجتمع؛ كما نسجل غيابًا ملفتًا لإحترام مشاعر الناس ووحقوق جوارحهم ونفوسهم. في مقابل ذلك، لم تغفل « رسالة الحقوق » عن هذه المبادئ المهمّة في حياة الإنسان، والمُؤطرة لسلوكه، رأفة به في الدنيا ليحيى حياة هادئة

وكريمة، وفي الآخرة لينال مرضاة الله عز وجل

نشر أهداف الملحمة الحسينيّة

البصيرة السجّاديّة

بعد أن تيقن الإمام الحسين عليه السلام من تردّي أوضاع أمّة جدّه، صلى الله عليه وآله، وانهيار مقوّماتها، وإستياء أحوالها..... واقتنع باستفحال الداء واستعصاء الدواء في زمنه..... وبعد أن أيقن أنّ قوى الردّة والضلالة في صعودٍ مستمرٍ ومدٍّ عنيفٍ، وأنّ قُوى الإيمان في تقلصٍ مخزٍ وجزرٍ مؤسفٍ..... بعد أن عرف كل هذا واستيأس من حال الأمة في زمانه، تجرّد سلام الله تعالى عليه لله، وفي سبيله، وتنازل عن كل شيء في سبيل واجبه الذي حمله على كتفه الكريم، وضحّى من أجله بالنفس والنفيس، وقاتل من أجله لينال في نهاية المطاف الشهادة. عايش الإمام علي زين العابدين ابن الحسين، عليهما السلام، الملحمة الحسينيّة بجميع تفاصيلها منذ بدايتها في المدينة المنوّرة، في آخر شهر رجب سنة ستين (٦٠) للهجرة، إلى يوم العاشر من محرّم سنة واحد وستين (٦١) للهجرة؛ لولا الألطاف الإلهيّة والعناية الربانيّة التي ابتلته بالمرض يوم العاشر وما قبله – لحفظ نسل أهل البيت عليهم السلام ولمواصلة المسيرة - لكان عليه السلام من بين الشهداء. خطّ سلام الله تعالى عليه ملحمة فريدة في أحداثها، عجيبة في وقائعها، زلزلت أحداثها سكان الأرض، وزعزعت وقائعها عمار السماء، وأثمرت نهضة عظيمة رسمت لكل أجيال العالم – عبر التاريخ – طريقًا نيّرًا يساعدها على دحر الظلم والجور والاستبداد، وإرساء قِيَم الحق والعدل والقسط. لم يكن استشهاد الإمام الحسين عليه السلام يوم العاشر نهاية للمشروع النهضوي الذي دعا إليه بل كان نقطة بداية لهذا المشروع؛ كما لم تكن واقعة الطفّ نهاية لمتاعب الإمام علي زين العابدين عليه السلام بل كانت نقطة انطلاق لتحمّل مسؤوليّة ربانيّة وللقيام بوظيفة إلهيّة تتمثل في مواصلة ما بدأه والده عليه السلام . نعم، واصل الإمام علي زين العابدين ما بدأه الإمام الحسين، عليهما السلام، وطبّق أسلوبًا أنيقًا مستحدَثًا. نظر الإمام علي زين العابدين عليه السلام بنظارة ظرفه المختلف عن ظرف والده، وببصيرة

الوليّ المسدَّد بالحفظ الإلهيّ فانكشف له:

- أنّ المناخ السياسي ليس كما تهيّأ للإمام الحسين عليه السلام نظرًا للقبضة الإرهابيّة الحديديّة للسلطة الأمويّة على الرعيّة، ممّا جعل الناس في خوفٍ دائمٍ وهم يتذكرون أحداث كربلاء الرهيبة ووقائع الحرّة العنيفة والطرقة الدمويّة التي أُخمِدت بها الثورات.
- أنّه ليس من الحكمة أن يقوم بتضحية انتحاريّة لا تؤتي أكلها آنيًّا، بل تكون نتيجتها عكسيّة تقضي على النَّفَس المتبقي من الموالين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام وتجتثهم من الوجود نهائيًّا، وبذلك تقضي على الإسلام الأصيل إلى الأبد.
- أنّه مضروب عليه إقامة جبريّة مستمرّة، مُحاطًا بعيون زبانية النظام، مرصودًا من قِبَل الولاة الظلمة، وأنّ أنصاره على قلتهم – في دائرة استهدافٍ متواصلٍ، لذلك عليه أن يتدرّع بالحيطة والحذر، ولا يمكّن للظالمين من النيْل من شخصه الشريف ولا من أشخاص أنصاره الطاهرين فلا يخوض غمار السياسة علنًا، ولا يعطي انطباعًا بأنّه يدعو إلى العمل الثوري المسلح لا بأوامر ولا بنواهي ولا بإشارة، وأنّ عليه أن يسلك طريقًا وسطًا لا يتخلى فيه عن مبادئ رسالته، ولا يلقي فيه بنفسه إلى تهلكة المواجهة المباشرة مع النظام الدموي الجائر، ولا يقذف بأنصاره في غمرات صراعٍ خاسرٍ.
- أنّ الواجب يفرض عليه نشر مبادئ الملحمة الحسينيّة بين الناس في بيان أهدافها الإنسانيّة، وتبيان غايتها الربانيّة، وشرح أبعادها القياديّة، إتمامًا لمسيرتها، واستيعابًا لمفاهيمها، ودفاعًا عن مشروعيّتها.
- أنّ الواجب يفرض عليه كذلك الحفاظ على من معه من المجاهدين من أهل البيت وأتباعهم، وإيواء أهل الإخلاص والثبات من أصحابه، ورعاية أهل البصيرة من المؤمنين، قبالة التسلط الأموي الخانق للأنفاس، والمتعقّب للخطوات، وليس هناك من موجب شرعيّ يقذف به المسلمين في التهلكة.
- أنّ الواجب يفرض عليه أيضًا التأسيس لقاعدة صلبة من العلماء والعرفاء والصالحين الذين سوف يقفون سدًّا منيعًا أمام الانحرافات الأمويّة ويمهدون لتغيير

جذريّ يحفظ أصالة الإسلام ويُعيد له توهّجه وإشعاعه.

- أنّه كما تقوم الحركة الثوريّة بتغيير الواقع السياسي، تقوم الحركة الإصلاحيّة الهادفة بتغيير الواقع الاجتماعي، وكلاهما يقودان إلى إنفجار جماعي يحسم الأمور ويفرض الإرادة الإصلاحيّة في كيان الأمّة ووجودها.

بهذه البصيرة الربانيّة، المُحاطة بالألطاف الإلهيّة، استوعب الإمام علي زين العابدين عليه السلام الأمور فاتجه بالرسالة وَجهة جديدة، وأطّرها إطارًا جديدًا، وأضفى عليها فهمًا جديدا، وقدّم لها عرضًا جديدًا. قُدِّر له أن يتبنّى فلسفة الملحمة الحسينيّة وينشر أهدافها بمنظورٍ جديدٍ يتماشى ومتطلبات الظرف. سعى الإمام عليه السلام ، عبر خطبه القارّة فوق منبر جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله، ومواعظه في المواسم الدينيّة، ودروسه المسجديّة، ودعواته التوجيهيّة، ونقاشاته مع المخالفين..... سعى إلى نشر مفاهيم الملحمة الحسينيّة، وتبيان أهدافها، وتعبئة الجماهير بحصيلة غاياتها، وإثارة دفائن العقول بزبدة أفكارها، وتعرية المُغطّى من جرائم الحكم الأموي..... لو لم تكن تلك المجهودات الجبّارة لاختنقت النهضة الحسينيّة من حينها في كربلاء، ولوصلت إلى الناس – فيما بعد – مشوّهة ومزيّفة. لكن الإمام السجّاد، مع العقيلة زينب عليهما السلام وبقية الأسرى والسبايا، صنعوا الجانب المكمّل للملحمة قبلغوا وقائعها وكشفوا أحداثها كما حدثت يوم العاشر دون تشويه ولا تزييف. أدّت تلك الاستراتيجيا السجّاديّة إلى استثارة الهمم وشحذ العزائم لعزل الواقع المفروض واستبداله بآخر جديد يمثل روح الإسلام الأصيل. حقق الإمام عليه السلام بذلك استثمارًا حافلا بالمكاسب الرساليّة، وخلق مناخًا صالحًا لاستقطاب الجماعات الصامدة، ونجح في بناء نواة قاعدة تغييريّة صلبة. بنشره لأهداف الملحمة الحسينيّة، بتلك الحكمة والسلاسة، أيقظ الإمام علي زين العابدين عليه السلام الأمّة من سباتها، وحرّر فاعليّتها من جمودها، وضخّ دماء حبّ التغيير في شراييها؛ فتواتر على الحكم الأموي سيْلٌ كبير من الاستنكار المنظّم، يتّخذ سبيل الاحتجاج مرّة – كما فعل عبد الله بن عفيف الأزدي في مواجهة عبيد الله بن زياد في مسجد الكوفة – وينتهج نهج الانتفاضة المسلحة مرّة أخرى – كما فعل عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة في المدينة

المنوّرة – ويتّخذ من الثورة المسلحة القويّة خيارًا تارة – كما فعل التوّابون – ويراهن على التنظيم الثوري والتحرّك الجماهيري لتثبيت حكم انفصاليّ جديد تارة أخرى – كما صنع المختار الثقافيّ – لم تكن هذه الانتفاضات والتحرّكات والثورات، وما خلفها من ثورات عديدة أخرى، مؤثرة في السيرورة التاريخيّة للأمّة الإسلاميّة حتى سقوط النظام الأموي وما بعده..... لم تكن لتنطلق بزخم كبير، وتأتي أكلها، لولا الشعلة النورانيّة التي أوقد جذوتها بطل كربلاء وأنصاره في الفتح والشهادة وثبّتها المجاهدون الأبرار من بعدهم بدماءهم، وعرقهم، ودموعهم، وآهاتهم، وتضحياتهم ولولا استمرار المداد العقائدي والإمداد الجهادي لها – حتى تبقى متوهجة ومشرقة – متمثلا في خطب الإمام علي زين العابدين عليه السلام ، ومواعظه، ودروسه، ودعواته، ونقاشاته وهو ينشر أهداف الملحمة الحسينيّة، ويبيّن مفاهيمها، ويشرح غاياتها، ويعبّئ لها الجماهير بسلاسة تخاطب فطرته ونقاء يُجلّي مرآة قلبه، وصفاء يزكي أدران نفسه، وحكمة تثير دفائن عقله.

غيْض من فيْض أهداف الملحمة الحسينيّة

سبق لي أن تعرّضت في كتابي « الملحمة الحسينيّة في الذاكرة الجماعيّة » بشيء من التفصيل لدقائق أهداف الملحمة الحسينيّة، ممّا لا داعي لإعادته حرفيًّا في هذا الكتاب لأنّ إعادة ذلك تكرار مُمِلٌّ. من جهة أخرى، واتباعًا للمنهجيّة العلميّة وجب إعطاء القارئ الكريم بسطةً – ولو وجيزةً – عمّا سعى الإمام علي زين العابدين عليه السلام لنشره من أهدافٍ لهذه الملحمة الخالدة. لذلك نستلّ من كتابي « الملحمة الحسينيّة في الذاكرة الجماعيّة » غيْض من فيْض هذه الأهداف الإلهيّة ونسوقه بصيغة إجماليّة بعيدة عن التكرار المُمِلّ.

لو أمطنا اللثام على بعضٍ من حجب الملحمة الحسينيّة الخالدة لتجلّى لنا من أهدافها ما نسوقه إجمالا في العناوين التالية:

حِفظ الدّين

سعى معاوية بن أبي سفيان حتى إلى التأسيس لنظامٍ أوتوقراطيٍّ، ملكيٍّ، قلد فيه

استبدادية الإمبراطوريّة البيزنطيّة بثرائها وترفها ومجونها نظام سلطة مطلقة منبت عن المنهج الإسلامي. سعى إلى ترسيخه عبر تثبيت ابنه يزيد على هرم السلطة الجديدة من بعده..... نظام ملكيٍّ مستبدٍّ أحدث به قطيعة مع مجتمع المدينة بفضائله الروحية، ومناقبه الأخلاقية. إذا ما استتب ذلك النظام رسميًّا، ولم يعترض عليه أحد، ولم يبادر إلى فضحه أحد، وكُرّس واقعا مفروضا على الأمة..... إذا اكتفى المسلمون بمجرد الامتعاض، والانتقاد الجزئي، والاعتراض البارد..... حينها سوف تتشابه الأمور على المسلمين – بل على الناس جميعا – أجيال بعد أجيال، وسوف لن يعلموا أن ثمة نظامين متعارضين: نظام إسلاميّ أصيل، وآخر جاهليّ دخيل، وسوف لن يدركوا أن دورة النظام الأصيل قد انتهت وبدأت دورة النظام الدخيل..... القضيّة إذن ليست قضيّة شخصية، ولا شكليّة، بل تجاوزت بُعد الحكم، وتعدّت مسألة السلطة وصار لها أبعاد أخرى: يُحفظ الإسلام أو لا يحفظ تبقى الشريعة أو تندثر يبقى دين محمد أو تعود الجاهليّة لذلك أراد الإمام الحسين عليه السلام الشهادة، بل صمّم عليها وسعى لها، لأنّ استشهاده في تلك اللحظة الحرجة من تاريخ الأمّة الإسلاميّة، وبتلك الطريقة المأسويّة، كان أمرًا ضروريًّا لحفظ دين جدّه، وموقفًا بطوليًّا ورمزيًّا سجلته ذاكرة الأمّة وستتوارثه أجيال المسلمين إلى أن يفرج الله تعالى كربة أمّة سيد المرسلين حِفظ الدين من أهمّ الأهداف التي سعت إلى تحقيقها النهضة الحسينيّة. لولا تلك النهضة لإنهار معمار الدين الإسلامي، ولأفرغ من محتواه ولبقي إسمًا دون حقيقة، ولبقيت شريعته كلمات دون فاعليّة، وقرآنه رسمًا دون معانٍ، ولذهبت تضحيات الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله من أجل تثبيت أركان الدين أدراج الرياح؛ لذلك صدقت في الإمام الحسين عليه السلام مقولة: « الإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء ». هذا الحِفظ ليس للشريعة الإسلامية فقط، بل هو حِفظ لكل شرائع السماء، وتثبيت لكل جهود الأنبياء، وترسيخ لكل مساعي الأوصياء، وتجذير لكل تعب الأولياء في أرض كربلاء – بل وفي كل أرض مرّ بها – رفض الإمام الحسين عليه السلام الطاغوت، واجه الباطل وثبت على الحق، وذلك جوهر كلمة « لا إله إلا الله »..... كلمة التوحيد هي هدم للبنى الطاغوتيّة وبناء للقَيَم الحضاريّة..... جسّد الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء كلمة

التوحيد أفضل تجسيد، وثبّتها في ضمائر الأحرار أفضل تثبيت، وفي ذلك حِفظ للدين.

إحقاق الحقّ

تعلّم النهضة الحسينيّة كلّ الأحرار أنه لا يجب أن تكون أهداف الثورة – أيّ ثورة - مقاومة الظلم ومحاربة الظالم فقط، بل يجب أن تكون غايتها إحقاق الحق، ففي ذلك إنقاذ الأمة، وكشف الغمة، وتفريج الكربة عن المسلمين والمسلمات، وإعادة الاعتبار لدين الله ولقيم الإسلام المحمدي الأصيل. الفرق بين أن يقوم الإنسان ويثور من أجل إسقاط ظالم ودحْر ظلم وبين أن يقوم ويثور من أجل إحقاق حق فرق كبير جدًّا: فلو قاوم مستبدٌّ مستبدًّا آخر مثله وانتصر عليه، وآلت إليه أمور المسلمين، لانتقلت الأمّة من حالة جور إلى ظلم جديد ربّما يكون أكثر بطشا من سابقه لأنه لا يزال في عنفوان شبابه، ولبقيت دار لقمان على حالها. فمحاربة الظالم ربّما تكون في حدّ ذاتها ضرب من العصبيّة، لأنّ للعصبيّة أشكالا متعددة ووجوها مختلفة كحب السيطرة مثلا، أو الانتقام، أو الثأر، أو التعطش للحكم حتى وإن كان المراد به حكمًا ربانيًّا فلو كان (الحكم) غاية في حدّ ذاته لعُدَّ ضربا من العصبيّة.

مسؤوليّة الأمّة في تردّي الأوضاع

تسعى نهضة الإمام الحسين عليه السلام إلى تثبيت مفهومٍ مهمّ جدًّا: تتحمّل الأمّة جزء كبير من مسؤوليّة تردّي الأوضاع وتدهور الأحوال في ظل استبداد النظام الفاسد. بمعنى أن المسؤوليّة لا تقع على المجموعة المستبدة فقط، بل تقع أيضا على المحكومين الذين استسلموا للمستبد وأهواءه، ورضوا بجوره، ورضخوا لشذوذه. فلو كان جمهور الأمّة على يقظة من أمره، متمسك بدينه، مصرّ على تطبيق تعاليم شريعته، لما وجد الطغاة الفرصة سانحة للجور والاستبداد، والاستخفاف بحقوق الرعيّة؛ بل لما أتيحت لهم أصلا فرصة الوصول إلى سدّة الحكم، ومواقع القرار، ومراكز القيادة. فمتى غفلت الرعية وابتعدت عن روح الدين الذي فيه خير الحياة والممات، برز من بينها من يمسك زمام أمور البلاد، فيذل العباد، وينشر الدمار ويزرع الفساد.

التدرّج في المواجهة

تعلّمنا النهضة الحسينيّة أنّ المواجهة مواجهتان : سلبيّة وأخرى مسلحة. لم يبايع الإمام الحسين عليه السلام يزيد عندما أرغِم على ذلك، ولم يُعلن المواجهة المسلحة منذ اليوم الأول بل غادر المدينة المنورة وارتحل بأهله ليقيم بمكة المكرمة رافضا البيعة، ومعارضا لجبهة الهيمنة وقوى الاستبداد، وحاثا أهله وأصحابه على الالتزام بطريقه. يعلّمنا بذلك أنّ أولى خطوات المواجهة والتصدي لكل مستبد جائر تبدأ « بمقاومته سلبيا ». والمقاومة السلبية في واقعنا اليوم تعني:

- الإعراض عن برنامج أهل الجوْر؛
- هجر محافلهم؛
- رفض سياساتهم؛
- إنكار ممارساتهم؛
- عدم الالتزام بقراراتهم؛
- عدم مجاراة أطروحاتهم؛
- مقاطعة بضائعهم؛
- الابتعاد عن كل ما من شأنه أن يقوي شوكتهم.....

بكلمة موجزة، يدعو عليه السلام كل مستضعف لإحداث قطيعة كلية مع قوى الهيمنة والاستكبار، ويؤجل فكرة القتال إذا كان هناك طريقة ناجحة ومفيدة للحيلولة وأطماع الطغاة وكسر شوكتهم. فالقطيعة مع قوى الاستكبار وجبهة الهيمنة، تنظيميا، وفكريا، ومؤسساتيا، واقتصاديا سلاح فعال ومجدي يمكن أن يضعف من قوتها، ويقلل من شأنها، ويقلص من نفوذها، ويطمس إشعاعها، ويعجل دنو أجلها. إذا لم تأت « المقاومة السلبية » أكلها، ولم تأثر القطيعة الكلية على موقف الطغاة..... وإذا أصرت الأمة على استرداد عبوديتها لله تعالى، واشتاقت إلى الخروج من ضنك العيش وكدره إلى سعة الحياة وصفاءها، ومن جور العباد إلى عدل رب العباد..... وإذا صممت على انتزاع حقوقها وإعادة

الاعتبار لقِيَم دينها..... وإذا واصلت قوى الهيمنة والاستبداد تعنتها وتمادت في غيها..... عندئذ لا مفر من تصادم الجمعان، فتنتقل المقاومة السلبية إلى مواجهة مسلحة بين جبهة الحق وجبهة الباطل. أمّا وقد انتقلت الأمة إلى طور المواجهة المسلحة فلا يجوز التراجع عن الخط الجهادي، ولا يجب الاستسلام للظالم تحت أي ظرف مهما مالت كفة موازين القوى المادية أو تناقض الواقع الميداني مع التبريرات العقلانية وتعارض مع الخطط التكتيكية؛ بل يجب القتال ومواصلة القتال إلى النهاية..... إلى بلوغ إحدى الحسنيين: إما النصر أو الشهادة؛ حتى وإن أدى ذلك إلى فقدان المال والأهل والنفس.

المبادئ فوق كل إعتبار

خاض الإمام الحسين عليه السلام حربًا مصيريّة ضحّى من خلالها بكل « كوادره » وبجميع « إطاراته ». كان سلام الله تعالى عليه مُحاطًا بكل فئات الناس: شباب في عمر الزهور، نساء، رجال أشداء، شيوخ من خيرة المؤمنين، علماء أجلاء، عباد، زهاد، أتقياء، نجباء.....لم يسلك بهم، عليه السلام ، سبيل التخمينات والحسابات الضيقة، ولم يطرح مقولة « نتنازل عن القتال حفاظا على الكوادر ». ضحّى الإمام الحسين عليه السلام بأغلى ما عنده، بل بكل ما عنده، في معركة البضع يوم من أجل حفظ المبادئ والقيم.ؤ يريد أن يعلّمنا أنّ الرّبح الأكبر هو أن تفقد كل شيء ليبقى المبدأ حيا، وأن تضحي بكل شيء لتظل القِيَم نابضة، وذلك مقام لا يبلغه إلا الكمل من عباد الله. إنّ التنازل عن بعض من الحقوق في سبيل ربح شيء من المكاسب يتنافى ومفهوم التوحيد في الإسلام. ذلك أن الحق اسم من أسماء الباري عز وجل، والله واحد لا يتجزأ؛ وطالب الحق عليه أن يسعى للظفر به كاملا دون تجزئة؛ وإن وُضعت الحواجز وتراكمت الحجب وتعدّى ذلك طاقته فلا يجوز التضحية بشيء منه (الحق) من أجل الظفر ببعض المكاسب الآنية. الوحدانية منزهة عن كل نقص ومبرأة من كل زيادة. الجيل الذي لا يقدر على انتزاع حقوقه كاملة، تتمثل مسؤوليته في وجوب إبقاء المطالبة بتلك الحقوق حيّة متأججة في ضمير الأمّة، عسى أن تتمكن الأجيال اللاحقة من انتزاع ما عجزت عنه الأجيال السابقة.

بعض أهداف النهضة الحسينيّة من أقوال الإمام الحسين عليه السلام

من الكلمات النورانيّة للإمام الحسين عليه السلام ، نحاول أن نتعرّف على بعض أهداف النهضة الحسينية الخالدة. استقينا كلماته عليه السلام من أمّهات المصادر المعتبرة، ونسوقها في شكل حوار كأنه عليه السلام ماثلا أمامنا، نحن نسأل وهو – صلوات الله وسلامه عليه – يجيب:

- سيدي أبا عبد الله، لماذا لم تبايعوا يزيد بن معاوية؟
- «إنّا أهل بيت النبوّة، ومعدن الرسالة، ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا يختم. ويزيد رجل شارب الخمور، وقاتل النّفس المحرَّمة، معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله
- ما سبب وقوفكم في وجه يزيد بن معاوية؟
- «إنَّ رسول الله– صلى الله عليه وآله - قال: من رأى منكم سلطاناً جائراً، مستحلًّا لحرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر ما عليه بفعل ولا قول، كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله
- ما هي صفات معسكر بنو أمية؟
- «ألا وإنَّ هؤلاء القوم قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرّحمان، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله، وأنا أحقّ من غيَّر»
- لماذا خرجتم في ذلك الظرف بالذات؟
- «إنّي لم أخرج أشراً ولا بطراً، ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنّما خرجت لطلب الإصلاح في أمّة جدّي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدّي وأبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فمن قبلني بقبول الحقّ فالله أولى بالحقّ، ومن ردّ عليّ هذا أصبر حتّى يقضي الله بيني وبين القوم بالحقّ، وهو خير الحاكمين

- لماذا هذا الإصرار على إحياء سنة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟
- «ألا ترون أنّ الحقّ لا يعمل به، وأنّ الباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقّاً، فإنّي لا أرى الموت إلّا سعادةً، والحياة مع الظّالمين إلّا برماً
- هل فُرِض عليكم شيئا، وماذا كان الموقف؟
- «ألا وإنّ الدّعيّ ابن الدّعيّ قد ركز بين اثنتين؛ بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلّة! يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبيّة، من أن نؤثر طاعة اللّئام على مصارع الكرام. ألا وإنّي زاحف بهذه الأسرة على قلّة العدد وكثرة العدوّ وخذلان الناصر
- ماذا تقولون للطغاة المفسدين؟
- «إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد، فكونوا أحرارا في دنياكم
- ما نصيحتكم سيدي للأحرار؟
- موت في عزّ خير من حياة في ذلّ

ماذا قلتم لأنصاركم ولأهل بيتكم ليلة العاشر من محرم؟

- « فإني لا أعلم أصحاباً خيراً منكم، ولا أهل بيتٍ أفضل وأبر من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً
- ما وصيّتكم للناس عموما؟
- « أوصيكم بتقوى الله، فإنّ الله قد ضمن لمن اتّقاه أن يحوّله عما يكره إلى ما يحبّ ء
- ما وصيّتكم لكل من لم يلتحق بكم مع الاستطاعة؟
- « من لحق بي استشهد، ومن لم يلحق بي لم يُدرِك الفتح

إنهيار المنظومة الغربيّة الحديثة

إنهيار المنظومة

المنظومة الغربيّة الحديثة إنهارت الحضارة الغربيّة الحديثة سقطت وهَوَت قد ينقد

ناقد ويقول إنّ هذا مجرّد شعار لا أساس له من الصحّة على أرض الواقع حيث تعرف الحضارة الغربيّة أوج قوّتها الماديّة قد يسأل سائل: لماذا هذا التجنّي على منظومة تتولّى قيادة العالم قيادة مطلقة تغيب معها الأقطاب الأخرى نجيب، بموضوعيّة وبمنهجيّة علميّة، دعمًا لمقولتنا؛ وتأخذ الإجابة وجوهًا عديدةً ومبرّرات مختلفة:

- تسقط الحضارة – أيّ حضارة – حين تنافي المبادئ التي من أجلها قامت، والحضارة الغربيّة الحديثة في تعارض كبير، وغير مسبوق، مع مبادئها التي من أجلها قامت.
- بالرؤية الخلدونيّة: الحضارة الغربيّة الحديثة سقطت؛ لأنّ ابن خلدون يرى أنّ الحضارة (أو المُلك بمنطقه) تنقرض حين ترتكب المذمومات وتنتحل الرذائل. يقول في مقدّمته: « إذا تأذن الله بانقراض المُلك من أمّة، حملهم على ارتكاب المذمومات وإنتحال الرذائل وسلوك طريقها، وهذا ما حدث في الأندلس، وأدّى إلى ضياعه »
- بالفكر المقارب: إنهارت الحضارة الغربيّة لأنّ الذي يجري عليها الآن جرى على المسلمين في الأندلس حين انغمسوا في الترف والملذات، واتباع الشهوات، ومسايرة النزوات فأهملوا أحوال البلاد وضيّعوا مصالح العباد حتى دبّ الوهن في مفاصل مماليكهم فكانت لقمة سهلة في فمّ القشتاليين. انقضّوا عليهم ونكّلوا بهم قتلا وتشريدًا من أرضٍ فتحها الأجداد ولم يحافظ عليها الأحفاد؛ ممّا دفع أمّ الأمير أبو عبد الله محمد الثاني عشر – آخر ملوك الأندلس والمعروف بأبي عبد الله الصغير – تقول لإبنها عند تسليمه غرناطة للملك فرناندو: « نعم، ابكِ كالنساء مُلكًا لم تدافع عنه كالرجال »
- بنفس الفكر المقارب: إنهارت الحضارة الغربيّة لأنّ الذي يجري عليها الآن جرى كذلك على المسلمين نهاية العصر العبّاسي حيث انغمس الملوك وحواشيهم وأعيان الدولة في الملذات والترف فأهملوا أحوال البلاد والعباد فعمّت الفوضى، واختلط الحق بالباطل، وإنهار ميزان القسط والعدل تاركًا المكان إلى الظلم والجور حتى دخل المغول، بقيادة هولاكوخان، بغداد، عاصمة الخلافة، يوم ٩ صفر سنة ٥٥٦ هجري (الموافق لتاريخ ١٠ فيفري ١٢٥٨ ميلادي) معلنًا على أفول نجم حضارة أشعّت على العالم قرونًا عديدة.

-
- برؤية المؤرّخ الإنجليزي « إدوارد جيبون » (Edward Gibbon) (١٧٣٧ - ١٧٩٤) وبالرجوع إلى كتابه « اضمحلال الإمبراطوريّة الرومانيّة وسقوطها » إنهارت الحضارة الغربيّة؛ حيث بحث « جيبون » في كتابه عن أسباب إنهيار الإمبراطوريّة الرومانيّة فأرجعها إلى فساد المؤسّسات السياسيّة والاقتصاديّة والعسكريّة وغيرها؛ وأنّ ذلك الفساد منشؤه الإغراق في الترف والملذات، والإكثار من المجون واتباع الشهوات ممّا مكّن قبائل الوندال للإنهاء على إمبراطوريّة مترامية الأطراف حكمت نصف العالم لقرون عديدة.
- بشهادة شاهد من أهلها، أقصد بذلك الفيلسوف الإنجليزي « بيرتراند راسل » (Bertran arthur William Russel) (١٨٧٢ - ١٩٧٠)، إنهارت الحضارة الغربيّة حيث صرخ الفيلسوف الإنجليزي صرخته المدوّية أواسط القرن الماضي: « لقد انتهى العصر الذي يسود فيه الرجل الأبيض. وبقاء تلك السيادة إلى الأبد ليس قانونًا طبيعيًّا من قوانين الطّبيعة. وأعتقد أنّ الرجل الأبيض لن يلقى أيّامًا رضيّة كتلك التي لقيها خلال أربعة قرون .... » في واقع الأمر، لم يكن « بيرتراند راسل » يتنبّأ ولا يرجم بالغيب، بل كان يكشف اللثام عن سنّة اجتماعيّة اهتدى إليها بذهنه الثاقب وغابت عن كثير من المثقفين غيره. السنّة الاجتماعيّة التي استشرف « بيرتراند راسل » وقوعها تتلخص في أنّ كل ما في حضارة « الرجل الأبيض » مؤذن بالسقوط والإنهيار لأنّها بلغت مداها في الانحراف والانحطاط الأخلاقي، ومن ثمّ لابدّ لها أن تنهار.

نعم، إنهارت الحضارة الغربيّة وقُضِي أمر سقوطها عندما سقطت أخلاقيًّا وبمناقضة المبادئ والقِيَم التي من أجلها – وعلى أساسها – قامت، ويبقى أمر اندثارها مسألة وقت لا أكثر ولا أقل. ذلك أنّه لا يكون إنهيار الحضارات بشكل آنيٍّ، بل تأخذ عمليّة السقوط ما قُدّر لها من الوقت لتوافي أجلها المحتوم.

من علامات سقوط الحضارة الغربيّة، ومظاهر إنهيارها، أنّها لم تدع شيئًا في عالم عقيدة الإنسان وتصوّره إلا أفسدته أفسدت كل عقائده وتصوّراته، ولوّثت جميع

ارتباطاته بالله والكون والحياة وحتى بالإنسان نفسه نعم:

- أفسدت عقيدة الإنسان بالحقيقة الإلهيّة، ولوّثت علاقته بربّه.
- أفسدت تصوّر الإنسان في الكون، وعلاقة الأخير بالله، وعلاقة الإنسان به وعلاقته بالإنسان.
- أفسدت تصوّر الإنسان في الحياة الدنيا وقيمتها، ومكانتها، وارتباطاتها، وأهميّتها بالنسبة للحياة الآخرة.
- لوّثت نظرة الإنسان للنفس البشريّة، وانحرفت بارتباطات الإنسان بالإنسان، ذكرًا وأنثى، فردًا وجماعة.

أضحت عقيدة الإنسان، في المنظومة الغربيّة، فاسدة لا تستند إلى منطق قويّ؛ وأمست تصوّراته ملوّثة لا تهتدي إلى حق وإنّما تتحكم فيها الأهواء وتسيّرها النزوات.

ألقى الفساد في العقيدة والتصوّر بظلاله على فسادٍ من نوع آخر هو فساد في السلوك، لأنّه من غير الممكن أن تفسد العقيدة ويتلوّث التصوّر بهذه الكيفيّة الكليّة ثم يستقيم السلوك. إلتصق فساد السلوك بالإنسان في المنظومة الغربيّة بالرغم من أنّ له (أي الإنسان في المنظومة الغربيّة) أخلاقًا حميدة في بعض المجالات، ونزاهة شريفة في بعض المعاملات، ورأفة ظاهريّة في بعض المواقف، وعدالة جزئيّة تصيب بعض الناس في بعض الأمور. لكنّه في واقع الأمر خيْرٌ محدودٌ لأنّ استمداده من الخير الحقيقي المطلق (الله سبحانه وتعالى) استمداد محدود، وسيره على الصراط المستقيم والنهج القويم سيرٌ منقوصٌ.

لو تتبّعنا الفساد والانحراف في المنظومة الغربيّ الحديثة لوجدنا أنّهما يشملان جميع المجالات ..... العقيدة والتصوّر..... النفس والمجتمع..... السلوك والمعاملات..... السياسة والاقتصاد..... التربية والمجتمع..... النون والأخلاق.....

لو توقفنا مع كل مجال من هذه المجالات لطال الحديث، ولو طال الحديث لخرجنا عن محدوديّة دراستنا، ولو خرجنا عن محدوديّة دراستنا لأضعنا بوصلة ما نبحث عنه من عناصر للإجابة عن السؤال المطروح في المقدّمة.حتى لا نضيّع بوصلة الإجابة، ولا

نغرق في تفاصيل جانبيّة، لن نسلط الضوء إلا على الفساد والانحراف في المجال الأخلاقي. لمّا كان الفساد الأخلاقي في المنظومة الغربيّة الحديثة مستشري في جميع مفاصل الحضارة الغربيّة ويشمل مظاهر عديدة يشكّل الشذوذ الجنسي بأنواعه، هدم أسس نظام الأسرة، المصداقيّة في التعامل، الإقبال على تعاطي المخدّرات، الإغتصاب، والإقدام على الإنتحار أهمّها..... لمّا كان ذلك كذلك، نكتفي بتسليط الضوء على نموذجين إثنين فقط:

- مصداقيّة المنظومة الغربيّة الحديثة في تعاطيها مع مسألة « حقوق الإنسان ».
- تعاطي المنظومة الغربيّة الحديثة مع مسألة « الشذوذ الجنسي ».

أكذوبة حقوق الإنسان الغربيّة: النموذج الأول

نادت المنظومة الغربيّة الحديثة، المختفية وراء ستار الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة ، بـ « حقوق الإنسان » واعتبرتها « المستوى المشترك الذي ينبغي أن تستهدفه كافّة الشعوب والأمم حتى يسعى كل فرد وهيئة في المجتمع واضعين على الدوام هذا الإعلان نصب أعينهم إلى توطيد احترام هذه لحقوق والحريّات » سنّت لها قوانين، وقننت لها مبادئ، ونصّبت (المنظومة الغربيّة) نفسها سلطانًا على شعوب العالم، وشرطيًّا يسعى لفرض تلك المبادئ، وقاضيًا يفصل بين الشعوب على أساس تلك القوانين.

بالرغم من النقائص الكبيرة التي تحتوي عليها تلك القوانين، إلا أنّنا نتمنّى لو عملت الجمعيّة العامّة للأمم المتّحدة بموجبها، وذلك أضعف الإيمان، ونَسْعد لو طبّقتها القوى الغربيّة العظمى بنزاهة وعدالة وأمانة على جميع شعوب العالم بنفس الكيفيّة. نلمس عمليًّا هُوّةً عميقة بين بريق تلك المبادئ وتجسيدها، وبوْنًا شاسعًا بين جاذبيّة تلك الحقوق وتطبيقها على أرض الواقع؛ حيث تتولّى القوى الغربيّة العظمى، التي استماتت في التأسيس لتلك المبادئ وفي سنّ قوانينها، خرْق ما وضعته، والتنكّر لما دعت إليه، وإتباع سياسة النفاق والكيل بمكياليْن. تطبّق القوى الغربيّة العظمى الحقوق واللوائح بحزم وصرامة على الشعوب والمجتمعات التي لا تُساير توجّهاتها ولا تنخرط في حفظ مصالحها، بينما تغضّ الطرف وتلوي عنق تلك المبادئ تأويلا، وتوجيهًا، وتبريرًا، وخرقًا صارخًا، على

الشعوب التي تشاركها نفس المسار وتشاطرها نفس التوجّهات ولا تعارض مصالحها.

افتضحت ثقافة المنظومة الغربيّة الحديثة، وعرّت عن ذاتها بذاتها، وكشفت عن وجهها القبيح بنفسها فبان زيف دعاويها، وانكشف نفاق مساعيها. لقد تأكّدت جميع الإنسانيّة، بما لا يدعو إلى الشك والرّيبة، أنّ القوى الغربيّة العظمى تكيل بمكياليْن، وتتلاعب بما تسمّيه مبادئ « حقوق الإنسان » عندما يتعلّق الأمر بالقضايا العربيّة عمومًا، والإسلاميّة خصوصًا، والقضيّة الفلسطينيّة بالأخصّ، من أجل الحفاظ على الغُدّة السرطانيّة التي زرعتها في القلب النابض للأمّة الإسلاميّة.نعم، أضحت المبادئ التي سنت لها المنظومة الغربيّة الحديثة قوانين أكذوبة تلوكها شعاراتها، وأمست القِيَم التي تنادي بها سرابًا زائفًا يراود كل عطشانٍ، ولا تزال مسألة « حقوق الإنسان » سيْفًا مسلّطًا على رقاب كل المعارضين لتوجّهاتها. ما نطرحه – ونقول به – ليس إدّعاءً باطلا، ولا تجنٍّ زائفًا، بل حقيقة ظهر شعاع من أنوارها من وراء حجب الزيف والنفاق وبان لجميع الإنسانيّة محتواها، وانكشف للمواطن الغربي مضمونها.خير دليلٍ، وأفضل نموذج، على مقولتنا هذه ما تشاهده البشريّة رؤية عين من تناقض في مواقف الدول الغربيّة تجاه قضيّتين: الحرب في أوكرانيا والإبادة الجماعيّة التي يمارسها الكيان الصهيوني الغاصب على الشعب الفلسطيني. وضعت الولايات المتحدة الامريكيّة، ومن وراءها كلّ المعسكر الغربي، جميع إمكاناتها، وعلى مدار سنتين تقريبًا، للوقوف إلى جانب النظام الأوكراني في وجه خصم لدودٍ هو النظام الروسي، بينما تعاملت بنفاقٍ ومكرٍ ودهاءٍ مع الحقّ الفلسطيني، فهرولت (تلك الدول)، منذ اللحظة الأولى، إلى دعم الكيان الغاصب وإمداده بكلّ ما يحتاجه من سلاح، وخبرات ميدانيّة، وإمكانات لوجيسيتيّة، وغطاء سياسيّ في المحافل الدوليّة ذهب إلى حدّ استعمال ما يسمّى بـ«حق النقض في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة (الفيتو) « لعدّة مرّات، وغضّ الطرف على التجويع والإبادة الجماعيّة التي يمارسها في حق الشعب الفلسطيني.أصبحت أوكرانيا، أحببنا أم كرهنا، جزءً من المنظومة الغربيّة، وهي تعمل جاهدة للانضمام الرسمي للاتحاد الأوروبي ولحلف الناتو، بينما الشعب الفلسطيني المجاهد يمثل القلب النابض للأمّة الإسلاميّة، ويعيش

صراع وجود مع كيانٍ غاضبٍ زرعته المنظومة الغربيّة في ذلك الجزء الحيوي من جسد الأمّة خدمة لأهدافها الإمبرياليّة، وتأمينًا لمطامعها الاستعماريّة، وسعيًا لتفتيت شمل الأمّة الإسلاميّة ولمحوها من الوجود.

٤٠ ٢٠٧ شهيدًا ومفقودًا..... ٢٠٧٣٣ شهيدًا ممّن وصلوا المستشفيات: من بينهم ١٤٥٢٠ شهيدًا من الأطفال، ٥٨٠٩ إمرأة شهيدة، ٤٨٥ شهيدًا من الطواقم الطبيّة..... ٩٣٣٧٥ مصابًا..... ٧٠٠٠ مفقودًا..... ٣٠ طفلا استشهدوا نتيجة المجاعة..... دمارًا هائلا بالبنى التحتيّة من جسور وشوارع ومستشفيات ودور تعليم ودور عبادة..... نسف كامل للممتلكات..... مجاعة مستمرّة أدّت بحياة أطفال ومسنّين..... تلك حصيلة مؤسفة ومؤلمة لـ ١٨٥ يومًا من العدوان السافر للكيان الصهيوني، تاريخ كتابة هذه السطور تلك حصيلة مؤسفة تبقى وصمة عارٍ على جبين قوى الهيمنة الغربية..... تلك حقيقة مخجلة تظلّ حجّة بالغة على جبهة النفاق والتجارة بمشاعر وعواطف الناس. تعاني « حقوق لإنسان » في المنظومة الغربيّة من مشكلتين مشينتين:

- نقص فادح في التشريع ومنهج خاطئ في مقاربة سنّ القوانين حيث عالجت بعض المسائل بصيغة إطلاقيّة دون تحفّظ ولا تأطير ممّا أحدث نتيجة عكسيّة عصفت بما يُسمّى مكتسبات حقوقيّة، التي تمّ التأسيس لها بعد معاناة طويلة، إلى فوهة بركان. لو أخذنا مسألة « الحريّة الجنسيّة » مثالا لأدركنا أنّ الإفراط في إطلاق عنان الحريّة لهذه المسألة أدّى إلى تجاوز حدّها الأخلاقي والتربوي والاجتماعي والسلوكي؛ والشيء إذا زاد عن حدّه انقلب إلى ضدّه. نتيجة لذلك انهدمت أسس نظام الأسرة، وانتشر التحلّل الأخلاقي، وتفشّى الشذوذ الجنسي بأنواعه، وغيرها من الظواهر الخطيرة.
- هوّة سحيقة بين سنّ قوانين المواثيق الدوليّة لحقوق الإنسان وتطبيقها، وبوْن شاسع بين النظري والعملي، يدللان على نفاق المنظومة الغربيّة وعدم مصداقيتها في دعاويها لرفع راية « حقوق الإنسان » وسقوطها الأخلاقي.

إذن، كشفت المنظومة الغربيّة الحديثة عن نفسها، وكشرت عن أنيابها، وعرّت ذاتها

بذاتها، وفضحت نفسها بنفسها، فاتضح للجميع فسادها، وتطرّفها، وانحرافها، وظلمها، ونفاقها، وسقوطها الأخلاقي، وتلاعبها بما تسمّيه « حقوق الإنسان »؛ وأنّ مسألة « حقوق الإنسان » – في المنظومة الغربيّة – أكذوبة كبيرة ومسألة حقٍ وُظِفت لباطل.

المثليّة الجنسيّة: النموذج الثاني

« المثليّة الجنسيّة » صنف من أصناف « الشذوذ الجنسي »، بل شكل من أحطّ أشكاله – وكل أشكاله منحطّة – تخرج بالإنسان عن قوانين فطرته الإنسانيّة وتنحدر به إلى مقامٍ أدنى من مقام الحيوان؛ « أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا » (الفرقان : ٤٤). « المثليّة الجنسيّة » خطر مدمّر للوجود الإنساني، وعلامة خِزي وعار وإفلاس الحضارة الغربيّة التي تمثل حاضنة لها، وداعمًا بل وتتفاخر بها وتمجّدها وتسعى لفرضها على بقيّة أمم العالم. اكتسحت هذه الظاهرة الشيطانيّة المجتمعات الغربيّة منذ مطلع الألفيّة، بل وصل الأمر إلى درجة تقنينها في معظم الدول الغربيّة، فكانت هولندا هي الدولة الأولى التي أقرّت بهذا النوع من الزواج سنة ٢٠٠١ ثم توسّعت الدائرة لتضمّ سنة ٢٠١٧ خمسة وعشرون (٢٥) دولة غربيّة اتجهت تلك الدول إلى إعادة تعريف مفهوم الأسرة في دساتيرها. واصلت الحضارة الغربيّة انحطاطها الأخلاقي وسقوطها الحضاري ليتطوّر التصوّر لهذه الظاهرة من مجرّد مطلب حقوقيّ فئويّ في إطار « الحريّة الفرديّة » إلى خطاب أيديولوجي رسمي تستغله بعض الأحزاب كورقة إنتخابيّة رابحة. تطوّرت الأمور نحو الأسوء، وتدحرجت كرة الثلج، لتتجاوز مجرّد تقنين هذه الممارسات الشيطانيّة وفرضها على الثقافة المجتمعيّة كجزءٍ منها يجب احترامه، لتصبح بعض الدول الغربيّة تبحث عن قوانين تجرّم من يرفضون هذه الظاهرة الشيطانيّة الهجينة. يتواصل الانحدار الأخلاقي للحضارة الغربيّة لتتجاوز ظاهرة « المثليّة الجنسيّة » خصوصًا، و» الشذوذ الجنسي « عمومًا ليتجاوز إطار الدول الغربيّة ويصبح أحد القضايا الهامّة المطروحة على أجندة منظمة الأمم المتحدة التي » عملت بمؤسّساتها على دعم الشذوذ وحمايته وأطلقت النداءات للدفاع عن حقوق

الشواذ، واعتمدت يوما عالميًّا في ١٧ ماي تحت مُسمّى « اليوم العالمي لمناهضة كراهية المثليّة الجنسيّة »، وقد تمّ اختيار هذا اليوم لأنّه يوافق تاريخ قرار منظمة الصحّة الدوليّة بإزالة الشذوذ الجنسي من قائمة الأمراض العقليّة عام ١٩٩٠ « لم يقتصر الأمر على شرعنة هذا الانحراف من وجهة نظر قانونيّة وثقافيّة، وفرض التطبيع معه اجتماعيًّا، بل دخل إلى المؤسّسة الدينيّة الغربيّة حيث صرّح البابا « فرانسيس » في أكتوبر ٢٠٢١، في منطقٍ يتناقض مع جوهر المسيحيّة، بأنّ « المثليّون أبناء الربّ ولهم الحق في تكوين أسرة ... حيث قام بالموافقة رسميًّا على مباركة » الأزواج المثليين « أكد الفاتيكان رسميًّا على السماح للقساوسة بمباركة الأزواج المثليين، بحسب ما جاء في وثيقة جديدة في ١٨ ديسمبر ٢٠٢٣ ويأتي إصدار الوثيقة بعد يوم من مباركة قسٍّ في كنيسة بروتستانتيّة بإنجلترا، زواج كاهنتين تعملان في نفس الكنيسة، أي أنّنا لا نتحدّث عن انحراف عادي، بل داخل الكنيسة نفسها ويتمّ مباركته باسم الدين « لم تكتف المجتمعات الغربيّة بفعل ما فعلته بتلك الظواهر، بل تسعى جاهدة « لعولمتها » ونشرها على نطاق عالميّ، رغم الاختلافات العميقة بين أديان الشعوب وثقافاتها وأعرافها وتقاليدها. أصبحت هذه الظواهر الشيطانيّة، المخالة للطبيعة البشريّة السليمة، والمتعارضة مع الأديان والأعراف والتقاليد لغالب شعوب البشريّة، تشكل تهديدًا جديًّا للجنس البشري، وتثير في الشرفاء وأهل العفّة فيه القلق العميق والاضطراب النفسي وعدم الشعور بالطمأنينة. ما يمكن إستخلاصه في هذا الموضع: أنّ الحضارة الغربيّة الحديثة، بسقوطها الأخلاقي، سرّعت في عمليّة إنهيارها وأنّ هذا الإنهيار سيعصف بها إلى ذيل قافلة الحضارات الإنسانيّة مخلّفًا، بالنسبة للشرفاء وأصحاب العفّة من الغربيّين خصوصًا ومن جميع حضارات البشريّة خصوصًا، فراغات ثلاثة:

- قلقٌ دائمٌ، وعدم طمأنينة، ونفوس مهتزّة داخليًّا.
- ضربٌ لمصداقيّة ما تطرحه المنظومة الغربيّة من مبادئ وقِيَم وقوانين وخاصّة فيما يتعلّق بمسألة « حقوق الإنسان ».
- نقصٌ في القوانين المنبثقة عن القِيَم الإنسانيّة الأصيلة، وفي المبادئ المتماهية مع

الفطرة البشريّة

- يمثل الشكل التالي تلخيصًا، في شكل رسمًا بيانيًّا، لما توصلنا إليه في شأن إنهيار

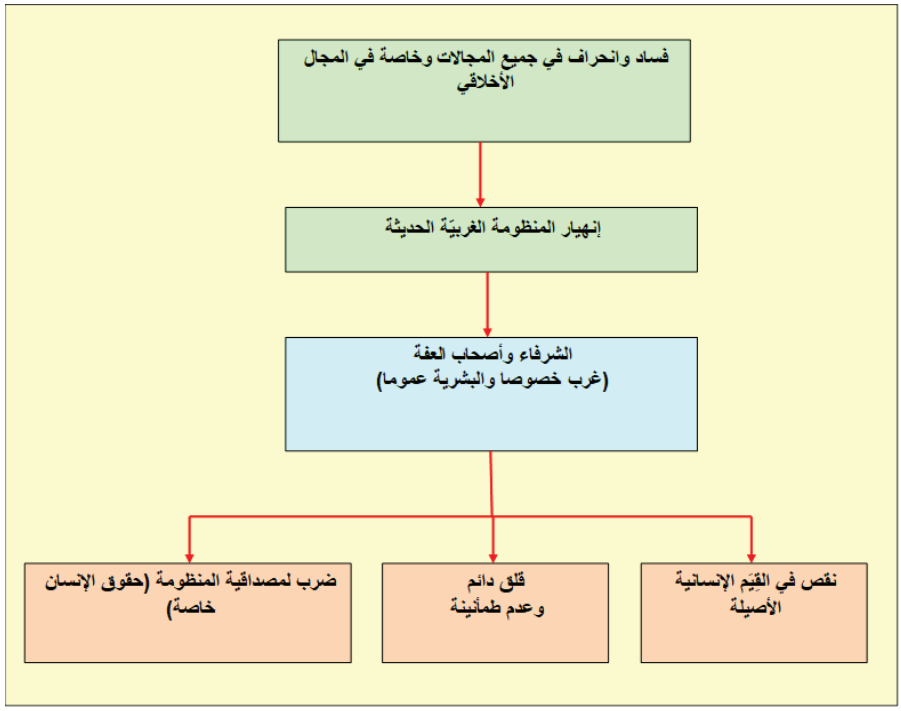

شكل (٦) : إنهيار المنظومة الغربيّة الحديثة

خاتمة المطاف والجواب عن السؤال

بعد هذه الجولة المباركة في جنّة آثار الإمام علي زين العابدين عليه السلام من أدعية ومناجاة « الصّحيفة السجّاديّة »، ومبادئ وقِيَم « رسالة الحقوق »؛ وبعد هذه المسيرة الحافلة في رحاب قوانين المواثيق العالميّة لحقوق الإنسان؛ وبعد هذه الرحلة المضنية في دراسة البحوث التحليليّة والنصوص النقديّة لما يتعلق بإنهيار المنظومة الغربيّة الحديثة وسقوطها الأخلاقي، وفي استنطاق أمّهات المصنفات الشارحة والمحللة لآثار الإمام علي زين العابدين عليه السلام من كتب ومقالات؛ ووضع الجميع في ميزان التحقيق العلمي، وتحت مجهر البحث الموضوعي..... بعد كل هذا، أعتقد أنّني أحطت ببعض مباحث البحث، وأصبت شيئًا من أهدافه، وأصبحت قادرًا على تقديم إجابة علميّة، دقيقة، جريئة، موضوعيّة، وبعيدة عن الانحياز والتعصّب للسؤال الجوهريّ المطروح:

هل نحن في حاجة إلى الإمام علي زين العابدين عليه السلام ؟

- مُجمَل ما يجب أن نستحضره أنّه إذا نظرنا إلى الحياة الشريفة لأئمّة أهل البيت عليهم السلام على أساس نظرة كليّة كوحدة مترابطة، اتّضح أنّ هدفهم واحد يتمثل في حِفظ الدين، وأنّ وسائلهم متنوّعة تتنوّع استجابة لمتطلبات الظروف وتتبدّل بتبدّل الأحوال. من هذا المنظار تأخذ فترة إمامة الإمام علي زين العابدين عليه السلام موضعًا برزخيًّا مهمًّا حيث تتموضع في آخر المرحلة الأولى (أطلق عليها الشهيد السعيد السيد محمد باقر الصدر، قدس الله سره، مرحلة « تفادي صدمة الانحراف » فتوّجها بنجاح وكانت خير مُمهّدٍ لبداية المرحلة الثانية (أطلق عليها الشهيد الصدر، قدس الله سره، مرحلة « بناء الجماعة الرائدة » أمام الأخطار الجسيمة والعقبات الكبيرة التي كانت تهدّد وجود الأمّة عصر تحمّله أعباء الإمامة، وتفاديًا لصدمة الانحراف، وإيقافًا لزحف الانحطاط، وتمهيدًا لبناء الجماعة الرائدة، طبّق الإمام علي زين العابدين عليه السلام استراتيجيا تُجلِّي نفاذ بصيرته، وحدّة ذكائه، وسلامة منهجه.

استراتيجيا انبنت أساسًا على أربعة ركائز:

- **مدرسة الدّعاء**: تجسّدت في ذات مسحة روحانيّة، إيمانيّة، تعبديّة، خاطب من خلالها الروح، وقرع بها باب الوجدان، وأثار بها دفائن العقول..... أدعية جُمِعت في « الصحيفة السجّاديّة » التي ختم عليها ببصماته السجّاديّة المباركة، ووظّف من خلالها الدّعاء لإصلاح النفوس، لأنّه في تزكية النفوس وإصلاحها صلاح وإصلاح للمجتمع؛ كما وظّفه أيضًا لعلاج المشاكل الاجتماعيّة والتربويّة والاقتصاديّة والعسكريّة ولحلّ المعضلات المعرفيّة والفكريّة والثقافيّة. كانت أدعيته عليه السلام ذات وجهين يتسقان مع روح الحركة الإصلاحيّة التي قادها في تلك الظروف العصيبة: وجه عِباديٌّ تعبديٌّ وآخر اجتماعيٌّ معاملاتيٌّ.
- **مدرسة الحقوق**: من خلال تأليفه لرسالة فريدة ضمّنها كافة الحقوق المترتبة على الإنسان المسلم نحو ذاته، ونحو أخيه المسلم الآخر، وكذلك نحو الإنسان الآخر الذي يمثل نظيره في الخلق. تُعرَف هذه الرسالة الفريدة بـ « رسالة الحقوق ».
- **انبنى معمارهذه الرسالة** – المدرسة وفق دائرتين: دائرة عقائديّة وأخرى إجتماعيّة. عالج الإمام، سلام الله تعالى عليه، في الدائرة العقائديّة أساسًا مسألة التوحيد كأساس أوّل لبناء الشخصيّة الإسلاميّة المؤمنة. أمّا الدائرة الاجتماعيّة فكانت أوسع الدائرتين؛ حدّد من خلالها الإمام، عليه السلام ، بدقة شديدة الأسس التي يجب أن تربط مختلف الشرائح الإجتماعيّة فكانت شاملة لروابط القربى والدين والعمل وغيرها، مُغطية لشبكة علاقات الناس بعضهم بعض، أفرادًا وأزواجًا، حكامًا ومحكومين، مِللا ونحلا، ودولا وأجناسا.
- **مدرسة العبيد**: حيث كان عليه السلام يلحّ في شراء العبيد ليعتقهم لوجه الله بعد أن يقضوا سنة في بيته. في تلك السنة،. كان عليه السلام يهتمّ بتربيتهم على القِيَم الدينيّة الأصيلة، ويتولى تزكية نفوسهم وتعلميهم وتثقيفهم. بلغة أخرى كان يحوّلهم كوادر يحملون العقيدة السليمة، والفكر الصّحيح، والسلوك السليم. بعد أن يعتقهم كانوا يعودون الى مناطقهم أحرارًا، علماء، مبلغين ودعاة على الولاء للإمام ولخط

مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

- **توظيف مأساة كربلاء:** حيث سعى عليه السلام ليثبّت في وجدان وعقول المسلمين أنّ فاجعة الطفّ عِبرة وعَبرة، فعمل على بثّ ألم وحرقة الفجيعة في نفوس المسلمين ليستثمر تلك المشاعر ويخوض بها معركة مصيريّة كبيرة جاعلا من أصحاب الحرقة واللوعة جنودًا في جبهة الخير والصلاح مقابل جبهة الخير الشرّ والفساد المتمثلة في جهاز السلطة ومن دار في فلكه. وظّف مأساة كربلاء، وفلسفة الملحمة الحسينيّة، لخدمة مشروعه الإصلاحي الذي يتلاقى في جوهره وأهدافه مع مشروع وأهداف صاحب الفجيعة، أبوه الإمام الحسين عليه السلام .
- من أهمّ الخلاصات التي إنتهينا إليها أيضًا أنّ السقوط الأخلاقي للحضارة الغربيّة خلّف، للشرفاء وأصحاب العفّة من الغربيّين خصوصًا ومن جميع حضارات البشريّة خصوصًا، فراغات ثلاثة:
- قلقٌ دائمٌ، وعدم طمأنينة، ونفوس مهتزّة داخليًّا.
- ضربٌ لمصداقيّة ما تطرحه المنظومة الغربيّة من مبادئ وقِيَم وقوانين وخاصّة فيما يتعلّق بمسألة « حقوق الإنسان ».
- نقصٌ في القونين المنبثقة عن القِيَم الإنسانيّة الأصيلة، وفي المبادئ المتماهية مع الفطرة البشريّة
- إذا أصبح إنسان القرن الواحد والعشرين يعاني من إضطرابات نفسيّة، وقلق داخلي، وعدم طمأنينة، وهلع وجزع دائمين ومتلازمين، فإنّ أدعية « الصّحيفة السجّاديّة » تمثل دواءً ناجعً وفعّالا يُنزِل السكينة على النفوس، ويُجلِي مرآة القلوب، ويلج إلى داخل الإنسان فينفض الغبار على فطرته.
- نعم، ببلاغتها الفريدة، وبقدرتها التعبيريّة الفائقة، وبما تتفتق عنه من معانٍ دقيقة وغزيرة تحسن تصوير صلة الإنسان بربّه وتذكره بفقره وفاقته إلى خالقه وبسيره نحو معاده..... بكل ذلك تُحدِث الأدعية السجّاديّة داخل الإنسان صدمة إيجابيّ بفضلها تتكشف له حقائق عديدة كان غافلا عنها، لعلّ أهمّها تبيان حجم هذه

الدنيا الدنيّة، ومكانتها، وأنّها دار ممرّ وليست دار مقرّ، وأنّ وراءها مواطن وأهوال كثيرة، وأنّه من الحكمة أن لا يكون ارتباط الإنسان إلا بها وبمشاغلها. متى تغيّرت نظرة الإنسان لهذه الدنيا ولطريقة تعاطيه معها، تحوّل هلعه وجزعه إلى سكينة وطمأنيمة، واضطرابه إلى هدوء، ولهفته إلى قناعة، وحرصه إلى زهد، وتسرّعه إلى تأنٍّ، وسخطه إلى رضى، وخوفه من المستقبل إلى تسليم لأمر الله عز وجل..... متى كان ذلك كذلك خرج الإنسان المعاصر من ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن حالة الاضطراب النفسي والقلق الداخلي الدائم إلى الرصانة والاتزان، فيتخلص بذلك من أمراضه النفسيّة.

إذا أصبحت قوانين ولوائح المواثيق الدوليّة المتعلقة بـ « حقوق الإنسان » فاقدة للمصداقيّة بالنسبة للإنسان المعاصر لأنّها تشريعات ناقصة، مجانبة للفطرة الإنسانيّة، ومنهجها خاطئ، ويقود كل ذلك إلى كوارث كبيرة قادرة على إخراج الإنسان من صفته البشريّة، إضافة إلى الهوّة السحيقة بين ما تسنّه من قوانين وما تطبّقه على أرض الواقع؛ إذا كان ذلك كذلك فإنّ « رسالة الحقوق » للإمام علي زين العابدين عليه السلام اتخذت من فطرة الإنسان مدارًا، ومن مشكاة الإيمان إطارًا، ومن ألطاف الرحمان أنوارًا، فجاءت مبادئها شاملة حيث عالجت باتزان جميع جوانب الإنسان، وتطرّقت بحكمة إلى شبكة علاقاته بأبعادها المتعدّدة، متجاوزة صرامة القانون إلى رحابة الإيثار، ومتعدية أسلوب الجفاء والتسلط إلى أسلوب اللين وإثارة الوازع الديني. يكفي الإنسان المعاصر أن يطّلع، بتجرّد ودقة، على خصائص مبادئ « رسالة الحقوق » فسينجذب إليها، حينها سوف تعوّضه بصدقها نفاق قوانين المواثيق الدوليّة، وبشموليّتها نقائص لوائح المواثيق، وتمنحه الأمان والمصداقيّة التي يبحث عنها. أمّا ما يشكو منه إنسان القرن الواحد والعشرين، المتخذ من المنظومة الغربيّة مرجعًا لجميع المجالات، من نقص كبير في القِيَم الإنسانيّة الأصيلة والمبادئ المتماشية مع الفطرة البشريّة، فإنّ في المبادئ و القِيَم التي استشهد من أجلها الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء، وأحياها الإمام علي زين العابدين عليه السلام شرحًا، تبيانًا، وتجسيدًا، ونشرًا، ما هو كفيل بسدّ ذلك الفراغ وتعويض تلك

النقائص، ومنح الإنسان جرعة قِيَميّة، وطاقة إيمانيّة، وفرصة ذهبيّة ليتصالح مع ذاته وربّه والكون والحياة وأخيه الإنسان. في ظلّ السقوط المدوّي للحضارة الغربيّة، والأخطار المحيطة بالإنسانيّة، وبناءً على ما بيّناه من عمق وثراء آثار الإمام علي زين العابدين عليه السلام وما يمكن جنيه من تلك الآثار، يشكل ذلك دليلا قويًّا على أنّ الآثار السجّاديّة أصبحت ضرورة وليس خيارًا دواءً وليس ترفًا يُعدّ ذلك دليلا على أنّ الإنسانيّة في حاجة إلى الإمام علي زين العابدعليه السلام . نعم، إنّ في ما قدّمه الإمام عليه السلام بديل جديّ للخروج بالإنسانيّة التائهة من أوحال الحضارة الغربيّة، ودواء ناجع لما تعانيه من أمراض، وحلول أصيلة لما تعترضها من مصاعب ومعوّقات. ما أحوج الإنسانيّة اليوم، في عصر تتساقط فيه الأخلاق، وتُفقد فيه الثقة، ويتعاظم فيه النفاق، ويستشري فيه الظلم والجور ما أحوج الإنسانيّة جمعاء إلى مدرسة الدّعاء، ومدرسة « حقوق الإنسان » التي بنى صرحهما الإمام علي زين العابدين عليه السلام ، وإلى مبادئ وقِيَم الملحمة الحسينيّة الخالدة التي استشهد من أجلها الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء وأحياها ونشرها الإمام السجّاد عليه السلام . يمكننا اعتبار، بثبات ويقين، أنّ زبدة ما توصّلنا إليه دليل علميّ، موضوعيّ ودقيق على أنّ الإنسانيّة جمعاء في حاجة إلى الإمام علي زين العابدين عليه السلام . يمكننا إذن أن نعيد رسم الشكل (٥) – الذي عرضناه سابقًا – ونضيف عليه الحلول السجّاديّة لعلاج مشاكل الإنسانيّة: بقيت مسألة أخيرة وجبت الإشارة إليها، في السؤال « هل نحن في حاجة إلى الإمام علي زين العابدين عليه السلام ؟ »، نقصد بكلمة « نحن » أطراف ثلاثة:

الموالون لمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

عامّة المسلمين من غير الموالين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام.(المدارس الأخرى).

الإنسان غير المسلم

للموالين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، الذين يردّدون أدعية « الصّحيفة السجّاديّة » صباحًا ومساءً وفي المناسبات، ربّما بتدبّر أو بغير تدبّر، نقول: أنتم محتاجون إلى إعادة فهم، وحسن استيعاب، وتجسيد، ما قدّمه الإمام العظيم علي زين العابدين عليه السلام ، لأنّه مظلوم حتى في مدرسته حيث غطّت الملحمة الحسينيّة بمآسيها وأحزانها، وحجبت مظلوميّة

الزهراء عليها السلام بأشجانها ولوعتها، وسترت شخصيّة أمير المؤمنين عليه السلام بما قدّمه من معاجز، وغطّت مدرسة الإمامان الباقر والصادق عليهما السلام يزخمها المعرفي غطّت أفعال أولئك الأطهار، وأبعدت الأنظار، على ما قدّمه الإمام علي زين العابدين عليه السلام من آثار تعادل آثار سابقيه في العصمة والإمامة وتأسّس لما قام به لاحقيه من أبنائه الميامين (وكل ما قدّمه أولئك الأخيار خير ويمن وبركة). مسؤوليّة إعادة فهم وحسن استيعاب الآثار السجّاديّة ملقاة على عاتق الحوزات العلميّة والأفاضل المنتسبين إليها وعلماء المدرسة عمومًا.

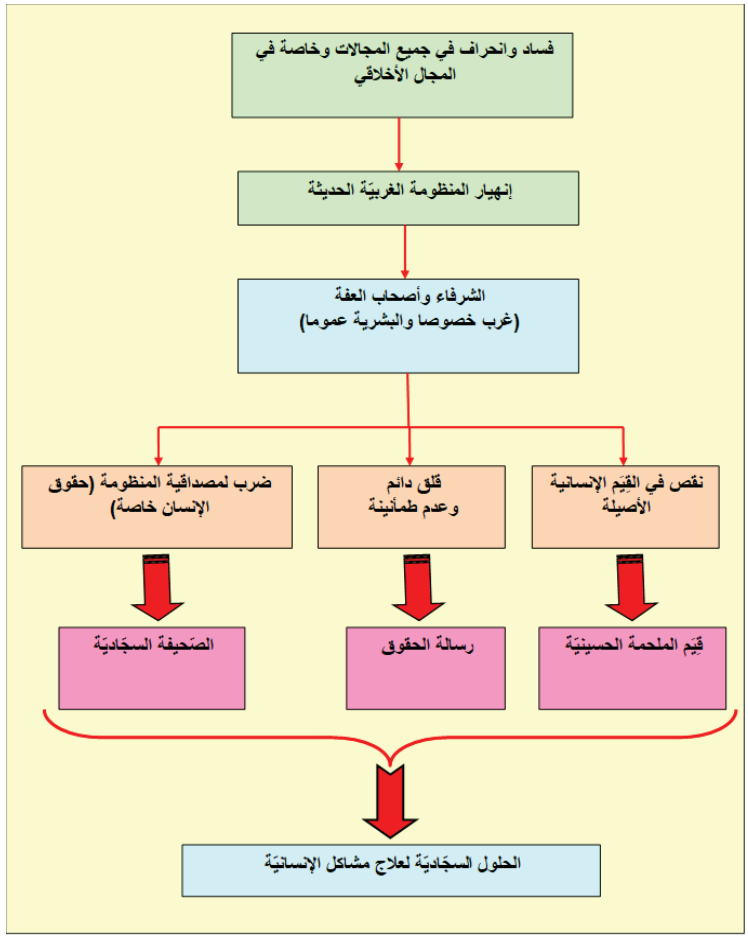

للمسلمين غير المنتسبين لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، وأصحاب المذاهب الأخرى نقول: من العيب أن يظل عارف، عظيم، عالم، زاهد، مصلح، تقيّ، مجاهد..... من طراز الإمام علي زين العابدين A مجهولا عند السواد الأعظم من عامّة المسلمين، وقليل الفاعليّة عند النخب المطّلعة..... لننزع نظارة الطائفيّة، ونتحرّر من سجن المذهبيّة، وننظر إلى المسائل بموضوعيّة وتجرّد، فالإمام علي زين العابدين A – وكل أئمّة أهل البيتD– ليس ملكا لمدرسة دون أخرى، ولا خاصًّا بمذهب دون غيره، بل هو ملك للجميع، وما قدّمه من عطاء عظيم مائدة طيّبة الثمار والمآكل تتغذى عليها كل المذاهب وجميع الطوائف..... أما آن لهذا الجليد المُصطنع أن يُذاب، ولهذه الجدران المصفحة أن تُهدَم؟..... تُهدَم بالعطاء العالمي، المستنير، العابر للمذهبيّة، المفارق للطائفيّة، والإمام علي زين العابدين A رائد من روّاده.

للإنسانيّة جمعاء نقول: إنّ ما قدّمه الإمام علي زين العابدين عليه السلام من قِيَم، ومبادئ، وحلول، وخيْر ويُمْن وبركة..... يتجاوز محدوديّة المذهبيّة والطائفيّة، ويتعدّى إطار الديانة الإسلاميّة ليحلق في سماء الكونيّة والعالميّة فتستفيد من بركاته جميع الإنسانيّة، فالإمام علي زين العابدين عليه السلام مثل جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله « رحمة للعالمين » ومثل آباءه وأبناءه أمانٌ لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمانٌ لأهل السماء.

هذا ما أفاض به الحق سبحانه وتعالى علينا، وما توصّل به البحث في جملة من نتائجه ضمن منهج علميّ سلكنا فيه درب الدقّة والتجرّد والموضوعيّة. ربّنا تقبّل منّا هذا القليل، اجعله خالصًا لوجهك، وهديّة متواضعة منّي إلى الإمام علي زين العابدين عليه السلام ، وسبيلا لنيل شفاعة إمام عظيم من أئمّة أهل البيت عليهم السلام، إنّك عليم بذات الصّدور اللهمّ نمِّه بمنّك وادّخره لي يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتاك بقلب سليم والله من وراء القصد، وهو الهادي السبيل، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

فهرس الأحاديث النبويّة الشريفة وتخريجها

« .ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه أو ينصرّانه أو يمجّسانه » ...١١

في المدرسة السنيّة :

أخرجه البخاري رقم (١٣١٩) ومسلم رقم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة قال : قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ: « كل مولود يولد على الفطرة. فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كمثل البهيمة تنتج البهيمة، هل ترى فيها جدعاء ».

- أخرج مسلم الحديث النبوي الشريف بصيغ عديدة منها :
- الحديث رقم (٢٢/ ٢٦٥٨): «ما من مولود إلا ولد على الفطرة أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء».
- الحديث رقم (٠٠/ ٢٦٥٨): ولفظه « ما من مولود إلا يولد على الفطرة».
- الحديث رقم (٢٤/ ٢٦٥٨) ولفظه «من يولد على هذه الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه».
- الحديث رقم (٢٥/ ٢٦٥٨). ولفظه « كل إنسان تلده أمة على الفطرة فأبواه بعد يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه فإن كانا مسلمين فمسلم »
- فى « الدر المنثور » أخرج البخاري، ومسلم، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم: « ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟ قال أبو هريرة: اقرؤا ان شئتم (فطرة الله التي فطر الناس عليها) الآية.
- رُوِي الحديث الشريف أيضا عن مالك، وأبى داود، وابن مردويه عن أبي هريرة عنه صلى الله عليه [وآله] وسلم ولفظه : « كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه كما تنتج الإبل من بهيمة جمعاء هل تحس من جدعاء ».

في مدرسة أهل البيت عليهم السلام :

- رُوِي الحديث الشريف أيضا في الكافي بإسناده عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام في حديث قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: » كل مولود يولد على الفطرة يعنى على المعرفة بأن الله خالقه.» الحديث. وفى التوحيد باسناده عن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « لا تضربوا أطفالكم على بكائهم فان بكاءهم أربعة أشهر شهادة أن لا إله إلا الله، وأربعة أشهر الصلاة على النبي وأربعة أشهر الدعاء لوالديه.»
- ورد الحديث النبوي الشريف أيضا في تفسير « الميزان في تفسير القرآن » (ج ١٦، ص ١٨٨) للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي
- « يا أيّها الناس! والله ما من شيء يقرّبكم من الجنّة ويُباعدكم عن النار إلا وقد أمرتكم به؛ وما من شيء يقرّبكم من النار ويُباعدكم عن الجنّة إلا وقد نهيتكم عنه »..... ١١

في المدرسة السنيّة :

- الحديث مروي باختلاف يسير في الألفاظ لكن المعنى نفسه.
- رواه عبد الله بن مسعود
- أورده:
- ابن أبي شيبة (في مصنفه) ٣٥٤٧٣
- البيهقي (في شعب الإيمان) ١٠٣٧٦
- الحاكم ٢١٣٦
- الألباني (المتفرقات) ٢٠٢

في مدرسة أهل البيت عليهم السلام :

- ذكره:
- المحدث المجلسي في « مرآة العقول »، ج ٨ – ص ٤٨

- الشيخ محمد بن يعقوب الكليني في « الأصول من الكافي »، ج ٢ – ص ٧٤
- محمد صالح المازندراني في « شرح أصول الكافي »، ج ٨ – ص ٢٣٥
- « إنّي تركت فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فاظروا كيف تخلفوني فيهما » .....١٤ - ٦١
- في رواية أخرى: « إنّي تارك فيكم خليفتين »؛
- في رواية ثالثة عن أبي سعيد الخذري: « إنّي أوشك أن أُدعى فأجيب » ثم يأتي بالحديث إلى أن يصل « وإنّ اللطيف أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض ».
- حديث الثقلين صحيح متواتر بين المسلمين بجميع مدارسهم. عالجه كثير من الأعلام حيث استقصوا طرقه وأسانيده وضبطوا مصادره وصيغه، وناقشوا آثاره. ربما أهم معالجة تلك التي طرحها السيد حامد حسين اللكهنوي (١٢٤٦ – ١٣٠٦ هجري) في موسوعته « نفحات الأزهار في خلاصة عبقات الأنوار » حيث خصص لحديث الثقلين ثلاث مجلدات (من الأول إلى الثالث). انتهى السيد اللكهنوي أن من رواة حديث الثقلين أكثر من ثلاثين صحابيا، وما لا يقل عن ثلاثمائة عالم من كبار علماء أهل السنة في مختلف العلوم

في المدرسة السنيّة :

- أخرجه الترمذي والنسائي عن جابر ونقله عنهما المتقي الهندي في كتابه « كنز العمال »، ج ١، ص ٤٤.
- أخرجه الترمذي عن زيد بن الأرقم ونقله المتقي الهندي في كتابه « كنز العمال »، ج ١، ص ٤٤
- أخرجه أحمد بن حنبل من حديث زيد بن ثابت
- أخرجه الطبراني في « الكبير » عن زيد بن ثابت أيضا (حديث ٨٧٣)
- أخرجه الحاكم في « المستدرك » ج٣، ص ١٤٨

في مدرسة أهل البيت عليهم السلام :

- أحصى السيد هاشم البحراني، رحمة الله تعالى عليه، في كتابه « غاية المرام وحجة الخصام » مصادر مدرسة أهل البيت عليهم السلام التي أوردت حديث الثقلين، بألفاظه المختلفة، فكانت ٨٢, أهمّ تلك المصادر: « الأصول من الكافي »، « كمال الدين »، « أمالي المفيد »، « عيون أخبار الرضا »، « غيبة النعماني »، « بصائر الدرجات » وغيرها كثير من المصادر المعتبرة.
- « النجوم أمانٌ لأهل السماء، وأهل بيتي أمانٌ لأهل الأرض، فإذا ذهبت النجوم ذهب أهل السماء، وإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض » ..... ١٤ - ٦١

في المدرسة السنيّة :

- أخرج:أحمد بن حنبل من طريق عليّ (عليه السلام) مرفوعاً: « النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض، فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض».
- أخرج الحاكم من طريق ابن عبّاس مرفوعاً: « النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمّتي من الاختلاف ».
- أخرج الحفّاظ: مسدّد، وابن أبي شيبة، وأبو أحمد الفرضي، وأبو عمرو ابن أبي عرزة، وأبو يعلى الموصلي، وأبو القاسم الطبراني، والحكيم الترمذي، والمحبّ الطبري، وابن عساكر، وآخرون من طريق سلمة بن الأكوع مرفوعاً: « النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمّتي ».
- في المستدرك على الصحيحين للحاكم (ج٢ / ص٤٨٦) ح٣٦٧٦ حدثنا أبو القاسم الحسن بن محمد السكوني بالكوفة، ثنا عبيد بن كثير العامري، ثنا يحيى بن محمد بن عبد الله الدارمي، ثنا عبد الرزاق، أنبأ ابن عيينة، عن محمد بن سوقة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم {وإنه لعلم للساعة} [الزخرف: ٦١] فقال: « النجوم أمان لأهل السماء، فإذا

ذهبت أتاها ما يوعدون، وأنا أمان لأصحابي ما كنت، فإذا ذهبت أتاهم ما يوعدون وأهل بيتي أمان لأمتي، فإذا ذهب أهل بيتي أتاهم ما يوعدون »

- قال السيوطي في الجامع الصغير ح٩٣١٣ : حسن، وقال محمد جار الله الصعدي في النوافح العطرة ح٤٢٣ : حسن
- وضع الحكيم الترمذي الحديث تحت باب « فِي أَن النُّجُوم أَمَان لأهل السَّمَاء – وَالْعُلَمَاء الصديقين أهل بَيت النُّبُوَّة أَمَان للْأمة » في نوادر الاصول ج٣

في مدرسة أهل البيت عليهم السلام :

- في ترتيب الأمالي للشجري (ج١ / ص٢٠٠) ح٧٤٢ أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن علي بن أحمد الأرجي، بقراءتي عليه، قال: أخبرنا أبو القاسم عمر بن محمد بن إبراهيم بن سنبك البلخي، قال: أخبرنا أبو الحسين عمر بن الحسن بن علي بن مالك الأشناني، قال: حدثنا أبو بكر محمد بن زكريا المروزي، قال: حدثنا موسى بن إبراهيم المروذي الأعور، قال: حدثنا موسى بن جعفر بن محمد، قال: حدثنا أبي جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه، عن علي عليهم السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء فويل لمن خذلهم وعاندهم »
- ورد في « نثر الدر في المحاضرات » للآبي (ج٥ / ص١٤٠).سمعت عمرو بن دينار عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه. قال : « النجوم أمان لأهل السماء، وأهل بيتي أمان لأمتي »
- في « بحار الأنوار » للمجلسي ج٣٦، نص ١٢٤ عن علي بن الحسين، عن أبي جعفر محمد بن الحسين البزوفري، عن جعفر بن الحسين البلخي، عن شقيق بن أحمد البلخي، عن سماك ، عن زيد بن أسلم، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : « أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء »

- « مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق » ..... ١٤ - ٦١
- حديث السفينة منقول عن جملة من الصحابة: أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، أبو ذر الغفاري، أبو سعيد الخذري، ابن عباس، أنس بن مالك
- في المدرسة السنيّة :
- ذكره كثير من الأعلام منهم:
- الحاكم النيسابوري في « المستدرك على الصحيحين »، ج ٢ – ص ٣٧٣ و ج ٣ – ص ١٦٣
- أحمد بن حنبل في « فضائل الصحابة »، ج ٢ – ص ٧٨٥ و ص ١٤٠
- الطبراني في « المعجم الصغير »، ج ١ – ص ٢٤٠
- جلال الدين السيوطي في « الجامع الصغير »، ج ١ – ص ٣٧٣ وكذلك ج ٢ – ص ٥٣٣
- نور الدين الهيثمي في « مجمع الزوائد ومنبع الفوائد »، ج ٩ – ص ١٦٨ باب فضل أهل البيت

في مدرسة أهل البيت عليهم السلام :

- ذكره كثير من الأعلام منهم:
- الشيخ الصدوق في « الخصال »، ج ٢ – ص ٥٧٣
- المجلسي في « بحار الأنوار »، ج ٧ – ص ٤٨ حديث رقم ١٠٥
- الحسن بن محمد الديلمي في « إرشاد القلوب »، ج ٢ – ص ٤٧
- الحر العاملي في « وسائل الشيعة ».
- أبو جعفر محمد بن القاسم الطبري في « بشارة المصطفى صلى الله عليه وآله لشيعة المرتضى

« أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب » ٢٣

في المدرسة السنيّة :

في المدرسة السنيّة يثير الحديث جدلا كبيرا حيث صرّح جمع من كبار علماء المدرسة بضعفه (من بينهم البخاري والترمذي والدارقطني والألباني) وذهب بعضهم إلى اعتباره غريب منكر بينما حسّنه وصحّحه بعض آخر منهم محمد بن جرير الطبري، الحاكم النيشابوري والخطيب البغدادي. نذكر كذلك أنّ الأميني، صاحب موسوعة الغدير، أدرج قائمة تضم إحدى محدثا من أهل السنة بين محسّن ومصحّح للحديث [ج ٦، ص ٧٨ - ٧٩]

في مدرسة أهل البيت عليهم السلام :

أجمع أعلام مدرسة أهل البيت عليهم السلام على تواتر الحديث حيث ذكره كثير من الأعلام منهم:

محمد عبد الرؤوف المناوي في « فيض القدير »، ج ٣ – ص ٤٦

المتقي الهندي في « كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال »، ج ٥ – ٦٠٠

المجلسي في « بحار الأنوار »، ج ٤٠ – ص ٢٠٦

القاضي النعماني المغربي في « شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار »، ج ١ – ص ٨٩

الأميني في « الغدير »، ج ٦ – ص ٧٨

« حسين مني وأنا من حسين أحبّ الله من أحبّ حسينا » ٢٣

في المدرسة السنيّة :

ذكر الحديث جملة من أعلام المدرسة من بينهم:

أحمد بن حنبل في مسنده، ج ٢٩ – ص ١٠٣

ابن ماجة في سننه، ج ١ – ص ١٠١

الترمذي في سننه، ج ٥ – ص ٦٥٨

الحاكم النيسابوري في « المستدرك على الصحيحين »، ج ٣ – ص ١٩٤

في مدرسة أهل البيت عليهم السلام :

ذكر الحديث جملة من أعلام المدرسة من بينهم:

الشيخ المفيد في « الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد »، ج ٢ – ص ١٢٧

القاضي النعماني المغربي في « شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار »، ج ٣ – ص ١١٢

ابن قولويه القمي في « كامل الزيارات »، ص ٥٣

« اللهمّ إنّ هذا ابني وأنا أحبّه فأحبّه وأحبّ من يحبّه » ٢٣

في المدرسة السنيّة :

الحديث صحيح ثابت، أخرجه البخاري ومسلم، رواه النسائي في المناقب، حسّنه الألباني في اسناده في صحيح سنن ان ماجه، وذكره يحيى الشيباني في « الإفصاح عن معاني الصحاح » وكذلك أحمد بن محمد المصري في « إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري ».

في مدرسة أهل البيت عليهم السلام :

الحديث صحيح ثابت، ذكره العديد من أعلام المدرسة من بينهم:

المجلسي في « بحار الأنوار »، ج ٤٣ – ص ٢٩٤

محمد الريشهري في « ميزان الحكمة »، ج ١ – ص ١٥٦

الحر العاملي في « وسائل الشيعة »، ص ٣٦

المتقي الهندي في « كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال »

« .ما إذا كان يوم القيامة يُنادي منادٍ أين زين العابدين؟ فكأنّي أنظر إلى ولدي علي بن ابن علي بن أبي طالب يخطّ بين الصّفوف ».....٢٤

الحديث مذكور في المدونة الحديثية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، ذكره كل من:

محمد الريشهري في « ميزان الحكمة »، ج ١ – ص ١٦٠

المجلسي في « بحار الأنوار »، ج ٤٦ حديث ٣

الشيخ الصدوق في « علل الشرائع »، ج ١ – ص ٢٣٠

« أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر » ٣٦

الحديث صحيح في المدرستين.

في المدرسة السنيّة :

أخرجه أبو داوود والترمذي عن أبي سعيد الخذري.

رواه النسائي بإسناد صحيح عن طارق بن شهاب

في مدرسة أهل البيت عليهم السلام :

أورده محمد الريشهري في « ميزان الحكمة »، ج ٣ – ص ١٩٤

المتقي الهندي في « كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال »، حديث رقم ٥٥٧٦

« إنّ ابني هذا سيّد و لعلّ الله أن يُصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين » ٥٤

الحديث صحيح في المدرستين.

في المدرسة السنيّة :

أخرجه البخاري (٢٧٠٤) مرفوعا إلى البراء.

رواه الحسن بن أبي الحسن البصري التابعي

ذكره المحدث ابن حجر العسقلاني في « المطالب العالية »

ذكره ابن بطال في « شرح صحيح البخاري »

في مدرسة أهل البيت عليهم السلام :

ذكر الحديث كثير من أعلام المدرسة من بينهم:

المجلسي في « بحار الأنوار »، ج ٤٣ – ص ٢٩٨

ابن شهر آشوب في « مناقب آل أبي طالب »، ج ٣ – ص ١٨٥

السيد هاشم البحراني في « مدينة المعاجز »، ج ٣ – ص ٢٥٦

الشيخ الطبرسي في « إعلام الورى بأعلام الهدى »، ج ١ – ص ٤١٢

ابن أبي الفتح الإربلي في « كشف الغمة »، ج ٢ – ص ١٤٢ - ١٤٣

« الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا ».....٦٣

الحديث مذكور في المدونة الحديثية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام. ذكره جملة من

الأعلام: الشيخ الصدوق في « علل الشرائع »، المجلسي في « بحار الأنوار »، الشيخ المفيد في « الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد »، وغيرهم

« لو يعلم المؤمن ما عند الله من العقوبة ما طمع بجنّته أحد، ولو يعلم الكافر ما عند الله من الرّحمة ما يئس من رحمته أحد » ١١٠

رواه أحمد بن حنبل في مسنده ج٢ – ص ٣٣٤؛ أخرجه مسلم (حديث ٢٧٥٥) والترمذي (حديث ٣٥٤٢)

« من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه.....١١٢

في المدرسة السنيّة :

لهذا الحديث النبوي الشريف في المدرسة السنيّة صيغ عديدة وطرق متعددة، نكتفي بصيغتين :

عَن رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ قَالَ : «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا، فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيء أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيء أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ».

أخرجه البخاري في «صحيحه» - في كتاب الرقاق، باب التواضع – (٥ / ٢٣٨٥ / ٦١٣٧) عن أبي هريرة أخرجه أحمد بن حنبل في «مسنده» (١٠ / ١١٢ / ٢٦٢٥٣) عن السيدة عائشة أخرجه البزار في «مسنده» (حديث رقم : ٨٧٥٠) عن مُحَمد بن عُثْمَانَ بنِ كَرَامَةَ، به. أخرجه أبو نُعيم في «حلية الأولياء» (ج ١، ص ٤) من طريق أبي عبيدة محمد بن أحمد بن المؤمل ومحمد بن إسحاق السراج، كلاهما عن محمد بن عثمان بن كرامة، به.

أخرجه اللالكائي في «كرامات الأولياء» (ص٩٤) من طريق محمد بن علي بن بركة عن خالد بن مخلد. أخرجه ابن حبّان في «صحيحه» (ج ٢، ص ٥٨) عن محمد بن إسحاق بن

إبراهيم مولى ثقيف عن محمد بن عثمان العجلي، به. عنه صلّى الله عليه و آله : إنَّ اللهَ عَزَّوجَلَّ يَقولُ :... ما يَزالُ عَبدي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتّى أُحِبَّهُ ؛ فَأَكونَ أنَا سَمعَهُ الَّذي يَسمَعُ بِهِ ، وبَصَرَهُ الَّذي يُبصِرُ بِهِ ، ولِسانَهُ الَّذي يَنطِقُ بِهِ ، وقَلبَهُ الَّذي يَعقِلُ بِهِ ، فَإذا دَعا أجَبتُهُ ، وإذا سَأَلَني أعطَيتُهُ. أخرجه الطبراني في كتابه « المعجم الكبير »(ج ٨، ص ٧٨٣٣/٢٠٦ وص٧٨٨٠/٢٢٢) وكلاهما عن أبي أُمامة. أخرجه المتقي الهندي في كتابه «كنز العمال في الأقوال والأفعال» (١ / ٢٢٩ / ١١٥٥) عن أبي أُمامة

في مدرسة أهل البيت عليهم السلام :

لهذا الحديث النبوي الشريف في مدرسة أهل البيت عليهم السلام صيغ عديدة وطرق متعددة، نكتفي بصيغة واحدة : عن رسول الله صلّى الله عليه و آله : « قالَ اللهُ عَزَّ و جَلَّ : مَن أهانَ لي وَلِيّاً فَقَد أرصَدَ لِمُحارَبَتي، وما تَقَرَّبَ إلَيَّ عَبدٌ بِشَيءٍ أحَبَّ إلَيَّ مِمَّا افتَرَضتُ عَلَيهِ، وإنَّهُ لَيَتَقَرَّبُ إلَيَّ بِالنّافِلَةِ حَتّى أُحِبَّهُ، فَإذا أحبَبتُهُ كُنتُ سَمعَهُ الَّذي يَسمَعُ بِهِ، وبَصَرَهُ الَّذي يُبصِرُ بِهِ، ولِسانَهُ الَّذي يَنطِقُ بِهِ، ويَدَهُ الَّتي يَبطِشُ بِها، إن دَعاني أجَبتُهُ، وإن سَأَلَني أعطَيتُه ». أخرجه الشيخ الكليني في « الكافي » (ج ٢ / ٣٥٢ / ٧) عن حمّاد بن بشير عن الإمام الصادق عليه السّلام، وكذلك عن أبان بن تغلب عن الإمام الباقر عليه السّلام عنه صلّى الله عليه و آله. أخرجه محمد بن خالد البرقي في كتابه « المحاسن »

(ج ١ / ٤٥٤ / ١٠٤٧)عن حنان بن سدير عن الإمام الصادق عليه السّلام عنه صلّى الله عليه وآله وفيه «تحبّب» بدل «تقرّب» و «ليتحبّب» بدل «ليتقرّب». أخرجه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتابه « التوحيد » (ج ١، ص ٣٩٩) عن أنس أخرجه الشيخ الصدوق في كتابه « علل الشرايع » (ج ١٢، ص ٧) : عن أنس. أخرجه المجلسي في كتابه « بحار الأنوار » (ج ٧٠، ص ٢١ و ٢٢) عن الإمام الصادق عليه السّلام أخرجه المتقي الهندي في كتابه «كنز العمال في الأقوال والأفعال» (١٠ / ١١٢ / ٢٦٢٥٣) عن السيدة عائشة

« يا أيّها الناس إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربيّ على عجميّ ولا لعجميّ على عربيّ ، ولا أحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلاّ بالتّقوى » ١٢٥

في المدرسة السنيّة :

ذكره الشيخ على بن محمد الشهير باأخرجه أحمد في مسنده، والبيهقي في شعب الإيمان، وابن المبارك في الزهد، والحارث في المسند، وأبو نعيم في حلية الأولياء، والألباني في السلسلة الصحيحة

في مدرسة أهل البيت عليهم السلام :

ذكره محمد الريشهري في « ميزان الحكمة »، ج ٤ – ص ٣٦٢٩، المتقي الهندي في « كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال »، حديث رقم ٥٦٩٥، المجلسي في « بحار الأنوار »، ج ٧٠ – ص ٢٨٧

فهرس المصادر والمراجـــــع

القرآن الكريم

آثار الإمام علي زين العابدين عليه السلام

- الصحيفة السجادية الكاملة – من أدعية الإمام زين العابدين عليه السلام
- تقديم سماحة الإمام السيد محمد باقر الصدر، قدس الله سره، الطبعة الأولى ٢٠٠٠ ميلادي، دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان
- شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين عليه السلام
- السيد طاهر عيسى درويش، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٤، دار البحار ودار ومكتبة الهلال، بيروت - لبنان

تفاسير القرآن الكريم

- الميزان في تفسير القرآن
- العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، قدس سره، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ١٩٩٧، لبنان – بيروت

- التحرير والتنوير
- الأستاذ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، سنة ١٩٨٤، الدار التونسية للنشر - تونس

مؤلفات الدكتور محمد الصادق بوعلاق

- الحضارة الإسلامية – من سقوط سرحها إلى افول نجمها
- د. محمد الصادق بوعلاق، الطبعة الأولى ٢٠٠٥، دار ومكتبة الهلال، لبنان – بيروت
- علم السنن الإلهية

د. محمد الصادق بوعلاق، الطبعة الأولى ٢٠٠٩: دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان

- الملحمة الحسينية في الذاكرة الجماعية

د. محمد الصادق بوعلاق، الطبعة الأولى ٢٠٢٢، نقوش عربية – تونس. حائز على « الجائزة العالمية الحادية والثلاثين لكتاب العام في إيران » (فيفري – فبراير – ٢٠٢٤)

الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد

الفقيه المحقق محمد بن محمد بن النعمان العسكري البغدادي – الملقب بالشيخ المفيد – رحمة الله تعالى عليه، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان

اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها

إدوارد جيبون، نقله إلى العربية: لويس اسكندر، راجعه وقدم له: أحمد نجيب هاشم، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر

الإمام زين العابدين عليه السلام القائد... الداعية... الإنسان...

الدكتور محمد حسين علي الصغير، الطبعة الثالثة ٢٠٠٢ ميلادي، مؤسسة المعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان

أهل البيت

– تنوع أدواروووحدة هدف

الشهيد آية الله السيد محمد باقر الصدر، ميلادي، دار التعارف للمطبوعات، بيروت - لبنان

البداية والنهاية

عماد الدين إسماعيل بن كثير الدمشقي، راجع نصه وضبطه وقدم له الأستاذ الدكتور سهيل زكار، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان

تاريخ الخلفاء

جلال الدين عبد الرحمان بن أبي بكر السيوطي، من مطبوعات وزارة اأوقاف والشؤون الإسلامية، دولة قطر

تاريخ الطبري – تاريخ الأمم والملوك

أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، راجعه وقدم له نواف الجراح، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان

تحف العقول عن آل الرسول

الشيخ أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين بن شعبة الحراني، قدم له وعلق عليه الشيخ حسين الأعلمي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،بيروت – لبنان

جاهلية القرن العشرين

محمد قطب، دار الشروق – مصر

حضارة العرب في العصر الأموي

الدكتور حسين الحاج حسن، الطبعة الأولى ١٩٩٤، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان

حقوق الإنسان، رهانات وتحديات

الدكتور أحمد بلحاج السند، سنة ١٩٩٦، شركة بابل للطباعة، الرباط - المغرب

السيرة النبوية

أبو محمد عبد الملك بن هشام، قراءة وضبط وشرح دكتور نبيل طريفي، الطبعة الأولى ٢٠٠٣ ميلادي، دار صادر

الطبقات الكبرى

محمد بن سعد بن منتع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد، دراسة وتحقيق الدكتور محمد عبد القادر عطاء، الطبعة الأولى، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان

على أعتاب الحبيب

آية الله الشيخ محمد تقي مصباح اليزدي، تدوين وتحقيق السيد عباس قاسميان، ترجمة السيد عباس نور الدين، الطبعة الثانية ٢٠٢١، دار المعارف الحكمية، بيروت – لبنان

فلاح السائل ونجاح المسائل في عمل اليوم والليلة

السيد علي بن طاووس، تحقيق غلام حسين المجيدي، الطبعة الأولى ١٣٧٧ هجري، مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي

مروج الذهب ومعادن الجوهر

أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، شرحه وقدمه الدكتور مفيد محمد قميحة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان

المفيد في ذكرى السبط الشهيد – الحسين بن علي عليه السلام

السيد عبد الحسين ابراهيم العاملي، الطبعة الثالثة ١٩٨٤، منشورات دار ومكتبة الهلال، بيروت – لبنان

مقتل الحسين عليه السلام

السيد عبد الرزاق المقرم، الطبعة الأولى ١٤٢٥ هجري، انتشارات المكتبة الحيدرية، قم – الجمهورية الإسلامية الإيرانية

مقتل الحسين عليه السلام – المسمى الملهوف على قتلى الطفوف

علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس، الطبعة الأولى ١٤١٤ هجري، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان

مقتل الحسين عليه السلام – المسمى بمقتل الخوارزمي

أبو المؤيد الموفق بن أحمد – أخطب خوارزم، تحقيق الشيخ السماوي، دار أنوار الهدى

المقالات

مقال بعنوان : « أهداف الدعاء في مدرسة الإمام السجاد عليه السلام » الوارد في « شبكة المعارف الإسلامية على موقعها : www.almaaref.org مقال بعنوان : « حقوق الإنسان في الإسلام من التأصيل إلى التقنين »، محمد دكير الأستاذ محمد، مجلة المنهاج، ص ١٨٩، العدد ١١، السنة ٣، خريف ١٤١٩ هجري – ١٩٩٨ ميلادي (أنظر موقع « المركز

الإسلامي للدراسات الاستراتيجية – قسم دراسات وبحوث ») مقال بعنوان : « وعي حقوق : جذور التطور والحماية »، المحامي حسين ضناوي، ص ٢، جريدة النهار البيروتية

بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٩٩٠ ميلادي مقال بعنوان : « بعد انضمام أستراليا.. ما هي الدول التي تسمح بزواج المثليين؟، موقع : قناة دي دبليو عربية، بتاريخ ٧ ديسمبر ٢٠١٧، متاح عبر الرابط التالي : ٤٨gaI٧Q/https://bit.ly مقال بعنوان : « فرض الشذوذ على العالم... الخطر القادم من الغرب »، بقلم محمد الشبراوي حسن، بتاريخ ٣٠ جون ٢٠٢٣، موقع الجزيرة مباشر متاح عبر الرابط الرابط :

٣٠/٠٦/٢٠٢٣/https://www.aljazeeramubasher.net/opinions

مقال بعنوان : « البابا فرانسيس: المثليون أبناء الرب ولهم الحق في تكوين أسرة »، موقع : بي بي سي عربي، بتاريخ٢١ أكتوبر ٢٠٢١، متاح عبر الرابط التالي :

٤aBQbRt/https://bit.ly

مقال بعنوان : « تغيير جذري.. بابا الفاتيكان يوافق رسميا على مباركة الأزواج المثليين! »، موقع « قناة روسيا اليوم »، بتاريخ ١٨ ديسمبر ٢٠١٣، متاح عبر الرابط التالي:

٣s٢a٧kz/https://bit.ly

الفهرست

مقدّمة : طرح السؤال ٤
قبس من حياة الإمام علي زين العابدين عليه السلام ١١
التعريف والنشأة ١١
علاقة الإمام زين العابدين عليه السلام مع حكام الجور ١٧
الحكّام الذين عاصرهم الإمام عليه السلام ١٧
سلوك حكّام بنو أميّة مع الإمام زين العابدين عليه السلام ٢٢
تعامل الإمام زين العابدين عليه السلام مع حكّام بنو أميّة ٢٥
موقع الإمام علي زين العابدين بين الأئمّة الأطهارD ٢٨
مستويات دراسة حياة الأئمّة عليهم السلام ٢٨
الإنقلاب على الأعقاب ٣٠
الانحراف عن النهج المحمّدي الأصيل ٣٤
موقع الإمام السجّاد بين الأئمّة عليهم السلام ٣٦
المرحلة الأولى: « تفادي صدمة الانحراف » ٣٧
المرحلة الثانية: « بناء الجماعة الرائدة » ٣٩
المرحلة الثالثة: « ردود فعل خلفاء الجور » ٤١
الهدف المشترك للأئمّة عليهم السلام ٤٣
الاستراتيجيا السجاديّة للتغيير والإصلاح ٤٨
سؤال يُطرَح ٤٨
واقع الأمّة عصر الإمام السجّاد عليه السلام ٤٩
حياة اللهو والمجون ٤٩
العصبيّة القبليّة ٥٠
تتابع الثورات الدمويّة ٥١
الإستبداد وإنتهاك الحريّات ٥٥
مدرسة الدّعاء: « الصّحيفة السجاديّة » ٥٨
توظيف مأساة كربلاء ٦٠
(مدرسة حقوق الإنسان): » رسالة الحقوق » ٦١
مدرسة العبيد المحرّرين ٦٣
من ثمار الاستراتيجيا السجاديّة ٦٥
قراءة تحليليّة للصّحيفة السجاديّة ٦٩
أهميّة الصّحيفة ٦٩
مكوّنات الصّحيفة ٧٠
جزء الأدعية: ٧٠
الملحقات: ٧٠
أدعية الأيّام: ٧١
المناجاة الخمسة عشر: ٧١
سند الصّحيفة ٧١

مستدركات الصّحيفة ٧٣
الدعاء منهج الصّحيفة ٧٣
بعض المضامين التربويّة في الصّحيفة ٧٦
المؤمن متأرجح بين الخوف والرجاء ٧٨
الحبّ مدار توجّه العابد ٨٠
قراءة تحليليّة لرسالة الحقوق ٨٣
أهميّة الرّسالة ٨٣
مصادر الرّسالة ٨٤
محتوى الرّسالة ٨٥
خصائص تفرّدت بها الرّسالة ٨٧
بين « رسالة الحقوق » والمواثيق العالميّة لحقوق الإنسان ٩١
الخلفيّة الفلسفيّة للفكر الحقوقي الغربي ٩١
المواثيق العالميّة لحقوق الإنسان ٩٤
الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ٩٥
العهد الدولي الخاصّ بالحقوق المدنيّة والسياسيّة ٩٧
الإتفاقيّات والمواثيق والإعلانات الدوليّة الخاصّة ٩٨
الهُوّة العميقة بين سنّ المبادئ وتطبيقها ٩٩
مقارنة بين مضامين المواثيق الدوليّة ومحتوى رسالة الحقوق ١٠١
شموليّة الحقوق الإنسانيّة بين المواثيق والرسالة ١٠١
. الفطرة الإنسانيّة بين التغييب في المواثيق والإحياء في الرسالة ١٠٢
مدارَ مسؤوليّة تجسيد الحقوق ١٠٤
بين أسلوب المواثيق ومنطق الرسالة ١٠٤
مسألة الحريّة الجنسيّة في الرؤيتين ١٠٥
المبادئ الأُسريّة والأخلاقيّة في الرؤيتين ١٠٦
نشر أهداف الملحمة الحسينيّة ١٠٧
البصيرة السجّاديّة ١٠٧
غيْض من فيْض أهداف الملحمة الحسينيّة ١١٠
حِفظ الدّين ١١٠
إحقاق الحقّ ١١٢
مسؤوليّة الأمّة في تردِّي الأوضاع ١١٢
التدرّج في المواجهة ١١٣
المبادئ فوق كل إعتبار ١١٤
بعض أهداف النهضة الحسينيّة من أقوال الإمام الحسين عليه السلام ١١٥
إنهيار المنظومة الغربيّة الحديثة ١١٦
إنهيار المنظومة ١١٦
أكذوبة حقوق الإنسان الغربيّة: النموذج الأول ١٢٠
المثليّة الجنسيّة: النموذج الثاني ١٢٣
خاتمة المطاف والجواب عن السؤال ١٢٦
هل نحن في حاجة إلى الإمام علي زين العابدين عليه السلام ؟ ١٢٦

فهرس الأحاديث النبويـّة الشريفة وتخريجها ١٣٣
« .ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهوِّدانه أو ينصـِّرانه أو يمجـِّسانه » ...١١ .... ١٣٣
في المدرسة السنيـّة : ١٣٣
في مدرسة أهل البيت عليهم السلام : ١٣٤
القرآن الكريم ١٤٤
آثار الإمام علي زين العابدين عليه السلام ١٤٤
تفاسير القرآن الكريم ١٤٤
مؤلفات الدكتور محمد الصادق بوعلاق ١٤٥
الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد ١٤٥
اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها ١٤٥
الإمام زين العابدين عليه السلام القائد... الداعية... الإنسان... ..... ١٤٥
أهل البيت ١٤٦
– تنوع أدوار ووحدة هدف ١٤٦
البداية والنهاية ١٤٦
تاريخ الخلفاء ١٤٦
تاريخ الطبري – تاريخ الأمم والملوك ١٤٦
تحف العقول عن آل الرسول ١٤٦
حضارة العرب في العصر الأموي ١٤٧
حقوق الإنسان، رهانات وتحديات ١٤٧
السيرة النبوية ١٤٧
الطبقات الكبرى ١٤٧
على أعتاب الحبيب ١٤٧
فلاح السائل ونجاح المسائل في عمل اليوم والليلة ١٤٧
مروج الذهب ومعادن الجوهر ١٤٨
المفيد في ذكرى السبط الشهيد – الحسين بن علي عليه السلام ١٤٨
مقتل الحسين عليه السلام ١٤٨
مقتل الحسين عليه السلام – المسمى الملهوف على قتلى الطفوف ١٤٨
مقتل الحسين عليه السلام – المسمى بمقتل الخوارزمي ١٤٨
المقالات ١٤٨